هذا الكتاب من وقف الشيخ مصطفى
غفر الله له ولوالديه واصطفى

يا من يريد الاستفادة من هذا الكتاب
اقرأ لواقفه كل اسبوع فاتحة الكتاب

[illegible]

سورة الانعام مكية غير ست آيات وثلث من قوله قل تعالوا وهي مائة وخمس وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور انشأهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اي يسوونها به هو الذي خلقكم من طين اي ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف ثم قضى اجلا اجل الموت

وافرد النور لقصد الجنس

واجل

واجل مسمى عنده اجل القيمة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن يأتي واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستيناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اي مثبت معين لا يقبل التغير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه ثم انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وابداع الحيوة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المري وهو استخراج اللبن من الضرع وهو الله الضمير لله والله خبره في السموات وفي الارض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا بمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لا تتقدم ويعلم ما تكسبون من خير او شر فيثيب عليه او يعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح وما تأتيهم من آية من آيات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اي ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او آية من آيات القرآن الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يعني القرآن وهو كاللازم لما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه بمعنى انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيرها ولذلك رتب عليه بالفاء

فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون اى سيظهر لهم ما كانوا به يستهزءون عند نزول العذاب بهم
فى الدنيا والاخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن
اى من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهى سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل
القرن اهل عصر فيه نبى او فائق فى العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم فى
الارض جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها واعطيناهم من القوى والالات ما تمكنوا بها من
انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم من السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من
القوة والسعة فى المال والاستظهار بالعدد والاسباب وارسلنا السماء عليهم اى المطر او
السحاب او المظلة فان مبداء المطر منها مدرارا مغزارا وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم فعاشوا فى
الخصب والريف بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم اى لم يغن ذلك عنهم شيئا وانشأنا و
احدثنا من بعدهم قرنا آخرين بدلا منه والمعنى انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشئ
مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده قدر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس مكتوبا فى
ورق فلمسوه بايديهم فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت
ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدى لدفع التجوز فانه قد يتجوز به
للفحص كقوله وانا لمسنا السماء لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا
انزل عليه ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبى كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه
نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضى الامر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه
والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله جرت
بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا
وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو
اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا
لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينوه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا

رجلا كما مثل جبرئيل فى صورة دحية فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك
فى صورته وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف
اى ولو جعلناه رجلا للبسنا اى لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا
الا بشر مثلكم وقرئ لبسنا بلا لام ولبّسنا بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل
من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه فحاق بالذين
سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون فاحاط بهم الذى كانوا يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله
او فنزل بهم وبال استهزائهم قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة
المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال كى تعتبروا والفرق بينه وبين قوله
قل سيروا فى الارض فانظروا ان السير ثمة لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل
معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر فى آثار الهالكين قل لمن ما فى السموات
والارض خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب
بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا
والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب
الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم القيمة استيناف وقسم
للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اى ليجمعنكم فى القبور مبعوثين فيجازيكم على شرككم او فى
القيمة والى بمعنى فى وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه
اياكم وانعامه عليكم لا ريب فيه فى اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم بتضييع رأس
مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم او رفع على
الخبر اى وانتم الذين او على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على ان عدم
ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى التقليد
واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع عن الايمان وله عطف على الله

ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين
ظلموا والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون اي ما سكن فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين
عن الآخر وهو السميع لكل مسموع العليم فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين
على اقوالهم وافعالهم قل اغير الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي
فلذلك قدم واولى الهمزة والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر
السموات والارض مبدعهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت معنى الفاطر
حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتداتها وجره على
الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح
وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ
ولا يطعم بفتح العين وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن
هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل على ان
الله من اطعم بمعنى استطعم او على انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط
قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي سابق امته في الدين ولا تكونن من
المشركين وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه على قل قل اني اخاف ان عصيت ربي
عذاب يوم عظيم مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون
للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة من يصرف
عنه يومئذ اي يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم
يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف او يومئذ بحذف
المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه وذلك الفوز المبين اي الصرف او الرحمة وان
يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا كاشف له فلا قادر على كشفه الا هو وان
يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر

غيره على دفعه لقوله فلا راد لفضله وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة
والقدرة وهو الحكيم في امره وتدبيره الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل اي شيء اكبر شهادة
نزل حين قال قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس
لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله والشيء يقع على كل
موجود وقد سبق القول فيه في سورة البقرة قل الله اي الله اكبر شهادة ثم ابتدئ
شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان
الشهيد كان اكبر شيء شهادة واوحي الي هذا القرآن لانذركم به اي بالقرآن واكتفى
بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا
اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون
ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله
ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ بها من لم تبلغه ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى تقرير
لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد اي بل اشهد
ان لا اله الا هو وانني بريء مما تشركون يعني الاصنام الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه
يعرفون رسول الله بحليته المذكورة في التورية والانجيل كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين
خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب الايمان
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند
الله او كذب بآياته كان كذب القرآن والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا
بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس انه الضمير
للشان لا يفلح الظالمون فضلا عمن لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا
للامر ومبالغة في التخويف ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها
شركاء لله وقرأ يعقوب يحشر ويقول بالياء الذين كنتم تزعمون اي تزعمونهم شركاء فحذف

المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها في
الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكأنهم غيّب عنهم
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اي كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التي يتوهمون ان يتخلصوا
بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا
به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها الاسم
ونافع وابو عمرو وابو بكر عنه بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتانيث للخبر
كقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون
ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها
وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف
كذبوا على انفسهم اي بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم في الدنيا تعسف يخل بالنظم ونظير
ذلك قوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة والكسائي ربنا
بالنصب على النداء او المدح وضل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء ومنهم من
يستمع اليك حين تتلو القرآن والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو
جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فقالوا للنضر ما يقول
فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين
مثل ما حدثتكم وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشيء ان يفقهوه
كراهة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك في اول البقرة وان
يروا كل آية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاؤك يجادلونك اي
بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤك يجادلونك وحتى هي التي تقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا
وجوابه وهو يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين فانه جعل اصدق الحديث
خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز ان تكون الجارة واذا جاؤك

في

في موضع الجر ويجادلونك جواب ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة
او اسطارة او اسطار جمع سطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه اي ينهون الناس عن القرآن
او الرسول والايمان به وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وينأون عنه فلا يؤمنون به كابي طالب وان يهلكون وما يهلكون بذلك
الا انفسهم وما يشعرون ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على النار
جوابه محذوف اي لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او
يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من
وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون
من المؤمنين استيناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعني ولا اعود اي انا لا اعود
تركتني او تتركني او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكون في حكم التمني وقوله وانهم لكاذبون
راجع الى ما تضمنه التمني من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد
الواو واجراءها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثاني
على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم
من التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبائح اعمالهم
فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا اي الى الدنيا بعد الوقوف
والظهور لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم
وقالوا عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا او استيناف بذكر ما قالوه
في الدنيا ان هي الا حياتنا الدنيا الضمير للحيوة وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على
ربهم مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم وجزائه
او عرفوه حق التعريف قال اليس هذا بالحق كأنه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة
للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا

اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
بسبب كفرهم او ببدله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب
المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا
غاية له بغتة فجاة ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجئ قالوا يا حسرتنا اي تعالي
فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها في الحيوة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او
في الساعة يعني في شانها والايمان بها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم
آصار الآثام الاساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب
ولهو اي وما اعمالها الا لهو ولعب يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو
جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وللدار الآخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص
منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو
وقرا ابن عامر ولدار الآخرة افلا يعقلون اي الامرين خير وقرا نافع وابن عامر ويعقوب
بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذي
يقولون معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه
للشان وقرئ ليحزنك من احزن فانهم لا يكذبونك في الحقيقة وقرا نافع والكسائي لا
يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين بايات الله
يجحدون آيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او
جحد والتسمية لهم على الظلم والباء لتضمن الجحود معنى التكذيب روي ان ابا جهل كان يقول
ما نكذبك وانك عندنا لصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل من
قبلك تسلية لرسول الله وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا
فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء
بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا

لعبادنا المرسلين الآيات ولقد جاءك من نبإ المرسلين اي من قصصهم وما كابدوا
من قومهم وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به فان
استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية منفذا تنفذ فيه الى جوف
الارض فتطلع لهم آية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها آية وفي الارض صفة لنفقا
وفي السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن وجواب
الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ
على اسلام قومه وانه لو قدر ان ياتيهم بآية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها
رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اي لو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان
حتى يؤمنوا ولكن لم تتعلق به مشيته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء لجمعهم على
الهدى بان ياتيهم بآية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين بالحرص
على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون
بفهم وتامل كقوله او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم
الله فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه
اي آية مما اقترحوه او آية اخرى سوى ما انزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا
قل ان الله قادر على ان ينزل آية مما اقترحوه او آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او
آية ان جحدوا بها هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب
عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرا ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد
وما من دابة في الارض تدب على وجهها ولا طائر يطير بجناحيه في الهواء وصفه به قطعا
لمجاز السرعة ونحوها وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة
ارزاقها وآجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة
تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم للحمل على المعنى ما فرطنا

في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في العالم من جليل ودقيق
لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القرآن فانه قد دوّن فيه ما يحتاج اليه من امر الدين
مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشيء في موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه
وقد عدي بفي الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون يعني الامم كلها
فينصف بعضها عن بعض كما روي انه ياخذ الجماء بالقرناء وعن ابن عباس حشرها
موتها والذين كذبوا باياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الايات الدالة على ربوبيته
وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات خبر ثالث
اي خابطون في ظلمات الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا
من المستكن في الخبر من يشأ الله يضلله من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على
المعتزلة ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه قل ارأيتكم استفهام
تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتأكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول ارأيتك زيدا
ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلث مفاعيل وللزم في
الاية ان يقال ارأيتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره ارأيتكم الهتكم تنفعكم اذ
تدعونها ان اتيكم عذاب الله كما اتى من قبلكم او اتتكم الساعة وهولها ويدل عليه اغير الله
تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم صادقين ان الاصنام الهة وجوابه محذوف اي فادعوه
بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء كما حكى عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص
فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان يتفضل عليكم ولا يشاء في الاخرة
وتنسون ما تشركون وتتركون الهتكم في ذلك الوقت لما ركز في العقول على انه القادر على كشف
الضر دون غيره او تنسونه من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك ومن زائدة
فاخذناهم اي فكفروا وكذبوا المرسلين فاخذناهم بالبأساء بالشدة والفقر والضراء الضر
والافات وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم فلو

فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم
ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان للصارف
لهم عن التضرع وانه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما
نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء من انواع
النعم مراوحة عليهم بين نوبتي الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة و
ازاحة للعلة او مكرا بهم لما روي انه عليه السلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرأ ابن عامر
فتحنا بالتشديد في جميع القرآن ووافقه يعقوب فيما عدا هذا والذي في الاعراف حتى اذا فرحوا
اعجبوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم والقيام بحقه
اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون متحسرون آيسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي آخرهم
بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه والحمد لله رب العالمين على اهلاكهم
فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم واعمالهم
نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اصمكم واعماكم وختم على
قلوبكم بان يغطي عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم من اله غير الله يأتيكم به اي بذاك او بما اخذ
وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف الايات نكررها تارة من جهة المقدمات
العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين
ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الايات وظهورها قل
ارأيتكم ان اتيكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة او جهرة بتقدمها امارة تؤذن بحلوله وقيل
ليلا ونهارا وقرئ بغتة او جهرة هل يهلك اي ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب الا القوم
الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا
مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم
فمن آمن واصلح ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم فلا خوف عليهم من العذاب ولا هم يحزنون بفوت

الثواب والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا لهم كأنه الطالب للوصول
اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة
قل لا اقول لكم عندي خزائن الله مقدوراته او خزائن رزقه ولا اعلم الغيب ما لم يوح
الي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ولا اقول لكم اني ملك اي من جنس
الملائكة او اقدر على ما يقدرون عليه ان اتبع الا ما يوحى الي تبرأ عن دعوى الالوهية
والملكية وادعى النبوة التي هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على
فساد مدعاه قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي والجاهل
والعالم او مدعي المستحيل كالالوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة افلا تتفكرون فتهتدوا
او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحي مما لا محيص عنه وانذر به
الضمير لما يوحى الي الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المؤمنون المفرطون في
العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم
دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال
من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون لكي يتقوا ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي بعد ما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين
وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش روي انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون
فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحدثناك فقال ما انا بطارد
المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئنا قال نعم وروي ان عمر قال له لو فعلت حتى ننظر الى ما ذا
يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل
صلوتا الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة يريدون وجهه حال من يدعون اي يدعون
ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهي عليه اشعارا بانه
يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء اي

اي ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله اعظم من ايمان من تطردهم بسوا
لهم طمعا في ايمانهم لو آمنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين
وان كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم
اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اي من
فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا تؤاخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتى يهمك ايمانهم
بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفي فتكون من الظالمين
جواب النهي ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر وكذلك فتنا بعضهم ببعض
ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم
ببعض في امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى الايمان ليقولوا
اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اي هؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم
دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء
من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او
للتعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلنا اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يقع منه الايمان
والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام
عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان
بالقرآن واتباع الحجج بعد ما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأ بالتسليم
او يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله بعد النهي عن طردهم ايذانا
بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان يقرب ولا يطرد
ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الآخرة وقيل ان قوما
جاؤوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا
فنزلت انه من عمل منكم سوءا استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب

بالفتح على البدل منها بجهالة في موضع الحال اي من عمل وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضار
والمفاسد كعمر فيما اشار اليه او ملتبس بفعل الجهلة فان ارتكاب ما يؤدي الى الضرر من افعال
اهل السفه والجهل ثم تاب من بعده بعد العمل او السوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا
يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدأ او خبر اي فامره او فله غفرانه
وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الايات ايات القرآن في صفة المطيعين
والمجرمين المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين قرأه نافع بالتاء ونصب السبيل
على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن
عامر ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير
السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اي نفصل الايات ليظهر الحق و
ليستبين قل اني نهيت صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الايات في امر
التوحيد ان اعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تعبدون من دون الله او ما
تدعونها آلهة اي تسمونها قل لا اتبع اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهي وعلة
الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس بهدى
وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت
وما انا من المهتدين اي في شيء من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك قل اني
على بينة تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل
الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحي او الحجج العقلية او ما يعمها من ربي من معرفته
وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم به الضمير لربي اي كذبتم به حيث اشركتم
به غيره او للبينة باعتبار المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر
علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تعجيل العذاب وتاخيره يقضي الحق
اي القضاء الحق او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل و

وتاخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه منع الباطل وقرأ ابن
كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين قل لو ان
عندي اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم
عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك كانه
قال ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ وبمن ينبغي ان يمهل منهم وعنده
مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار من
المفتاح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل
الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتاخيرها من الحكم
فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم
ما في البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات
به وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض
ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول
بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف
على المحل من ورقة او للابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفيكم بالليل ينيمكم فيه
ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس و
التمييز فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار
بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه في النهار ليقضى اجل مسمى
ليبلغ المتيقظ آخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة
عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار
وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم
بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على

اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل
عليكم حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان
اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا
وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المتطلعين عليه حتى اذا
جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرأ حمزة توفاه بالف ممالة وهم لا
يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان
ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ
بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق في
مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما
استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم
ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى
واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقرأ ابو بكر خفية بالكسر
لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اي تقولون لئن انجيتنا و
قرأ الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله ينجيكم منها شدده
الكوفيون وخففه الباقون ومن كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك
ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك في
عبادة الله فكانه لم يعبده رأسا قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل
قوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون
وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا
فرقا متحزبين على اهواء شتى فينشب القتال بينكم قال وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت
لها يدي ويذيق بعضكم بأس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الآيات بالوعد والوعيد لعلهم

لعلهم يفقهون وكذب به قومك اي بالعذاب او بالقرآن وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق
قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل اليّ امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم انما انا منذر
والله الحفيظ لكل نبأ خبر يريد اما العذاب او الايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع
وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا او في الآخرة واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا
بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره
اعاد الضمير على معنى الآيات لانها القرآن واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته
حتى تنسى النهي وقرأ ابن عامر ينسّينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره
مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء
موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين من قبائح اعمالهم
واقوالهم الذين يجالسونهم من حسابهم من شيء مما يحاسبون عليه ولكن ذكرى و
لكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها
وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شيء
لان من حسابهم يأباه ولا على شيء لذلك ولان من لا تزاد في الاثبات لعلهم يتقون
يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى
لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تنثلم بمجالستهم روي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما
استهزؤوا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم
لعبا ولهوا اي بنوا امر دينهم على التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة
الصنم وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او
جعلوا عيدهم الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال
بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله
منسوخا بآية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحياة الدنيا حتى

انكروا البعث وذكر به اي بالقرآن ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك
وترتهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا
تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام ليس لها
من دون الله ولي ولا شفيع يدفع عنها العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل
فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدر لا
يؤخذ منها الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به
اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اي سلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقايدهم الزائغة
لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون تاكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء
مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم قل اندعوا انعبد من دون الله ما
لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ
هدينا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به
مردة الجن في المهامه استفعال من هوى يهوي هويا اذا ذهب وقرأ حمزة استهواه بالف ممالة
ومحل الكاف في النصب على الحال من فاعل نرد اي مشبهين الذي استهوته او على المصدر اي ردا
مثل رد الذي استهوته في الارض حيران متحيرا ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوى رفقة
يدعونه الى الهدى الى ان يهدوه الطريق المستقيم او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية
للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى وحده وما
عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر
اي امرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء وقيل هي زائدة وان اقيموا الصلوة واتقوه عطف
على لنسلم اي للاسلام ولاقامة الصلوة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا روي
ان عبد الرحمن بن ابي بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول
بهذا القول اجابة عن الصديق تعظيما لشأنه واظهارا للاتحاد الذي كان بينهما وهو الذي اليه

تحشرون يوم القيمة وهو الذي خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق والحكمة
ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اي قوله الحق يوم يقول كقولك
القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارضين وقوله الحق نافذ في الكائنات
وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او الهاء في واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق
وقوله الحق مبتدأ وخبره او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اي لقضائه
كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيمة فيكون التكوين
حشر الاموات واحياءها وله الملك يوم ينفخ في الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار عالم الغيب والشهادة اي هو عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للآية واذ
قال ابراهيم لابيه آزر هو عطف بيان لابيه وفي كتب التواريخ ان اسمه تارخ فقيل هما
علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارخ وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج
ولعل منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه او نعت مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه علم
اعجمي على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف
المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اي تعبد آزر ثم قال اتتخذ
اصناما آلهة تفسيرا وتقريرا ويدل عليه انه قرئ أأزرا تتخذ اصناما بفتح الهمزة وكسرها
وهو اسم صنم وقرئ آزر بالضم على النداء وهو يدل على انه علم اني اراك وقومك في ضلال
عن الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك نري ابراهيم ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال
ماضية وقرئ ترى بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات
والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة
وليكون من الموقنين اي ليستدل وليكون او وفعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل
رأى كوكبا قال هذا ربي تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف على قال ابراهيم وكذلك نري اعتراض
فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم

الى الحق من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة
او المشتري وقوله هذا ربي على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم
ثم يكر عليه بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول اوان
بلوغه فلما افل اي غاب قال لا احب الآفلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب
بالاستار يقتضي الامكان والحدوث وينافي الالوهية فلما راى القمر بازغا مبتديا في الطلوع
قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين استعجز نفسه واستعان
بربه في درك الحق فانه لا يهتدي اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم على ان القمر ايضا
لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال فلما راى الشمس بازغة قال هذا
ربي ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التانيث هذا اكبر كبره استدلالا و
اظهارا لشبهة الخصم فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة
الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به ثم لما تبرأ عنها توجه الى موجدها ومبدعها الذي
دلت هذه الممكنات عليه فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من
المشركين وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه راى
الكوكب الذي يعبدونه في وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه في
التوحيد قال اتحاجوني في الله في وحدانيته وقرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون وقد هداني الى
التوحيد ولا اخاف ما تشركون به اي لا اخاف معبوداتكم في وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان
يشاء ربي شيئا ان يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه عن آلهتهم وتهديد لهم
بعذاب الله وسع ربي كل شيء علما كانه علة الاستثناء اي احاط به علما فلا يبعد ان يكون في علمه
ان يحيق بي مكروه من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز
وكيف اخاف ما اشركتم ولا يتعلق به ضر ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهو حقيق بان يخاف منه
كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز بالقادر الضار النافع ما لم

ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا فاي الفريقين
احق بالامن اي الموحدون او المشركون وانما لم تقل اينا ام انتم احترازا من تزكية
نفسه ان كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف منه الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك
لهم الامن وهم مهتدون استيناف منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا
الشرك لما روي ان الاية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه
فقال عليه السلام ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمن لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك
لظلم عظيم وليس الايمان به ان تصدق بوجود الصانع الحكيم وتخلط بهذا التصديق الاشراك
به وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابرهيم على قومه من قوله فلما جن الى قوله
وهم مهتدون او من قوله اتحاجوني اليه حجتنا آتيناها ابرهيم ارشدناه اليها وعلمناه اياها
على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدله اي آتينا ابرهيم حجة على قومه
نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان ربك حكيم في رفعه
وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا اي كلا منهما ونوحا
هدينا من قبل من قبل ابرهيم عد هداه نعمة على ابرهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد
يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابرهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس
ولوطا ليسا من ذرية ابرهيم فلو كان لابرهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك الاية والتي
بعدها والمذكورون في الاية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمن وايوب ايوب بن
آموص من اسباط عيص بن اسحق ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين اي
ونجزي المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابرهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا
ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفي ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت والياس.
قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الاية الاولى وقيل هو من
اسباط هرون اخي موسى كل من الصالحين الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي

والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل واليسع هو اليسع بن اخطوب وقرأ حمزة والكسائي والليسع
وعلى القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام كما ادخل على اليزيد في قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا
شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس هو يونس بن متى ولوطا هو ابن هارون اخي ابرهيم
وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق ومن آبائهم وذرياتهم
واخوانهم عطف على كلا او نوحا اي فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم
واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم الى
صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدي به من يشاء
من عباده دليل على انه متفضل بالهداية ولو اشركوا اي لو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو
شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين آتيناهم
الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة فان يكفر بها
اي بهذه الثلثة هؤلاء يعني قريشا فقد وكلنا بها اي بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم
الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار او اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم او كل من آمن
به او الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم
اقتده فاختص طريقتهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين
دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التأسي بهم جميعا فليس
فيه دليل على انه عليه السلام متعبد بشرع والهاء في اقتده للوقف ومن اثبتها في الدرج ساكنة
كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف واشبعها ابن عامر على انها كناية
المصدر قل لا اسئلكم عليه اي على التبليغ او القرآن اجرا جعلا من جهتكم كما لم يسأل من قبلي
من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو اي التبليغ او القرآن او الغرض
الا ذكرى للعالمين الا تذكيرا وعظة لهم وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة
والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء حين انكروا الوحي وبعثة الرسل وذلك

من عظائم رحمته وجلائل نعمته او في السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على
هذه المقالة او القائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن بدليل نقض
كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وقراءة
الجمهور تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانما قرأ بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا
على قالوا وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء حملهم للتورية وذمهم على تجزيتها بابداء
بعض انتخبوه وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه روي ان مالك بن الصيف
قاله لما اغضبه الرسول عليه السلام بقوله انشدك بالذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها
ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم انت الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية لانه كان من
المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم
وعلمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم زيادة على ما في التورية وبيانا لما
التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر
الذي هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل الله اي انزله الله او الله انزله
امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا
يقدرون على الجواب ثم ذرهم في خوضهم في اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون
حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من مفعوله او فاعل يلعبون او
من هم الثاني والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق
الذي بين يديه يعني التورية او الكتب التي قبله ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك
اي للبركات ولتنذر او علة لمحذوف اي ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة
بذلك لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان الارض دحيت من
تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرأ ابو بكر عن عاصم بالياء اي لينذر
الكتاب ومن حولها اهل المشرق والمغرب والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم

على صلوتهم يحافظون فان صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر
والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلوة لانها
عماد الدين وعلم الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة و
الاسود العنسي او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء
كعبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين فلما بلغ قوله ثم انشاناه خلقا آخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا
من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن
كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال
سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون
حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمين في غمرات الموت شدائده من غمره الماء
اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضي الملظ او بالعذاب اخرجوا
انفسكم اي يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من
العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم يريد به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما
لا نهاية له تجزون عذاب الهون اي الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى
الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك له ودعوى
النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون ولقد
جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من
الدنيا او عن الاعوان والاوثان التي زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث
ككسالى وقرئ فرادا كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل منه
اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية ان تجوز التعدد فيها او حال من
الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اي مجيئا

كخلقنا لكم

كخلقنا لكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم
ما قدمتموه منه شيئا ولم تحملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء
اي شركاء لله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم اي تقطع وصلكم وتشتت
جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف اسند اليه
الفعل على الاتساع والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص
عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد
تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم ضاع وبطل ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا
بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذي
في الحنطة والنواة يخرج الحي يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله من الميت
مما لا ينمو كالنطف والحب ومخرج الميت من الحي ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره
بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحي واقع موقع البيان له ذلكم الله اي
ذلكم المحيي المميت هو الذي يحق له العبادة فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح
شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي
يليه والاصباح في الاصل مصدر اصبح اذا دخل في الصبح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع
وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته
فيه من سكن اليه اذا اطمان اليه استيناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا
فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه في معنى الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل
الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان
المراد منه جعل مستمر في الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا
على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئا بالرفع على الابتداء
والخبر محذوف اي مجعولان حسبانا اي على ادوار مختلفة تحسب بهما الاوقات ويكونان

علم الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل
جمع حساب كشهاب وشهبان ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اى ذلك التسيير
بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذى قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص العليم بتدبيرهما و
الانفع من التداوير الممكنة لهما وهو الذى جعل لكم النجوم خلقها لكم لتهتدوا بها فى ظلمات
البر والبحر فى ظلمات الليل فى البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او فى مشتبهات الطرق و
سماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما اجملها بقوله لكم قد فصلنا
الايات بيناها فصلا فصلا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به وهو الذى انشأكم من
نفس واحدة هو آدم عليه السلام فمستقر ومستودع اى فلكم استقرار فى الاصلاب او
فوق الارض واستيداع فى الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع و
قرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع مفعول اى فمنكم قار و
منكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون ذكر
مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بنى آدم يفقهون لان انشاءهم من
نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق
نظر وهو الذى انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين
الخطاب به بالماء نبات كل شىء نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة فى
انبات الانواع المفتنة بماء واحد كما فى قوله يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى
الاكل فاخرجنا منه من النبات او الماء خضرا شيئا اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج
من الحبة المتشعب نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان
اى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان او من النخل شىء من طلعها قنوان ويجوز ان
يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو
الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع

اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما
اقتصر على ذكرها عن مقابلها كدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف
على نبات كل شىء وقرئ بالرفع على الابتداء اى ولكم او ثم جنات او من الكرم جنات ولا
يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون والرمان ايضا عطف على
نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه
حال من الزيتون او من الجميع اى بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه فى الهيئة والقدر
واللون والطعم انظروا الى ثمره اى ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائى بضم الثاء
والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يثمر
ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال نضجه او الى نضيجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو
فى الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو
لغة فيه ويانعه ان فى ذلكم لايات لقوم يؤمنون اى لايات على وجود القادر الحكيم وتوحيده
فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفتنة من اصل واحد ونقلها من حال الى
حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها
ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه
فقال وجعلوا لله شركاء الجن اى الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم
جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله او عبدوا الاوثان
بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو
رأى الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله
متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على
الاضافة للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس
من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اى وما يخلقونه من الاصنام او على

شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع
بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرّفوا وزوّروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان
يعلموا حقيقة ما قالوا او يروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو او المصدر اي خرقا
بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض من
اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيها
وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدا محذوف او على الابتداء
وخبره انى يكون له ولد اي من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد
وقرئ بالياء للفصل او لان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شيء وهو بكل
شيء عليم لا يخفى عليه خافية وانما لم تقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الآية استدلال على
نفي الولد من وجوه الاول انه من مبدعاته السموات والارضون وهي مع انها من جنس
ما يوصف بالولادة مبراة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها او ان ولد
الشيء نظيره ولا نظير له فلا ولد والثاني ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين
والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفو الوالد ولا كفو له لوجهين الاول ان
كل ما عداه مخلوقه فلا يكافيه والثاني انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع
ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدا الله ربكم لا اله الا هو خالق
كل شيء اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم
مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو على كل شيء وكيل
اي وهو مع تلك الصفات متولي اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب
على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه لا تحيط به الابصار جمع بصر وهي حاسة النظر وقد يقال للعين
من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك

مطلق

مطلق الرؤية ولا النفي في الآية عاما في الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في
الاشخاص فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع وهو يدرك
الابصار يحيط علمه بها وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا يدركه الابصار كالابصار ويجوز ان
يكون من باب اللف اي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير
فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد
جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها
تجلي لها الحق وتبصرها فمن ابصر اي ابصر الحق وآمن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمي عن
الحق وضل فعليها وباله وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم
ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول وكذلك نصرف الآيات ومثل ذلك
التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من
حال الى حال وليقولوا درست اي وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس
القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اي دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن
عامر ويعقوب درست من الدروس اي قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين
وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت
ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم
بالدراسة ودرسن اي عفون ودرس اي درس محمد ودارسات اي قديمات او ذات دروس
كقوله عيشة راضية ولنبينه اللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار
المعنى او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحي
اليك من ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من
ربك بمعنى منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى
آرائهم ومن جعله منسوخا بآية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله توحيدهم

وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع
وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون
من دون الله اي ولا تذكروا الهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبايح فيسبوا الله عدوا
تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب عدوا
يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روي انه عليه السلام كان يطعن في الهتهم
فقالوا لتنتهين عن سب الهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا
لئلا يكون سبهم سببا لسب الله وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة
وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث
ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام
فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة
عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتاكيد فيه
التحكم على الرسول في طلب الايات واستحقار ما راوا منها لئن جاءتهم اية من مقترحاتهم ليؤمنن
بها قل انما الايات عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وارادتي
وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها ان الاية المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون اي لا
تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها
لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها
وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال وما يشعركم ما
يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الاية طمعا في ايمانهم فنزلت
وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم انها اذا
جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اي وما يشعرهم ان قلوبهم حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت
عند نزول القران وغيره من الايات فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا

يؤمنون

يؤمنون اي وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه
فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به اي بما انزل من الايات اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون
وندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء
للمفعول والاسناد الى الافئدة ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء
قبلا كما اقترحوه فقالوا لولا انزل علينا الملائكة فاتوا باباءنا او تاتي بالله والملائكة قبيلا و
قبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اي كفلاء بما بشروا به وانذروا او جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى
جماعات او مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من
كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء
من اعم الاحوال اي لا يؤمنون في حال الا حال مشية الله ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة
على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اوتوا بكل اية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما
لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين
يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الاية طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
اي كما جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء
بفعل الله وخلقه شياطين الانس والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا او اول
مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق به او حال منه يوحي بعضهم الى بعض يوسوس شياطين
الانس وبعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض زخرف القول الاباطيل المموهة
من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له او مصدر في موقع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه
اي ما فعلوا ذلك يعني معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء
او الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى
اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف
اي وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام

القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون او لام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير
في فعلوه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من الاثام افغير الله ابتغي
حكما على ارادة القول اي قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا
من المبطل وغير مفعول ابتغي وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لا
يوصف به غير العادل وهو الذي انزل اليكم الكتاب القرآن المعجز مفصلا مبينا فيه الحق و
والباطل بحيث ينفي التخليط والالتباس وفيه تنبيه على ان القرآن باعجازه وتقريره مغن
عن سائر الايات والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق تأييد لدلالة
الاعجاز على ان القرآن حق منزل من عند الله تعالى يعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه
عليه السلام لم يمارس كتبهم ولم يخالط علمائهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن
لم يعلم فهو متمكن منه بادنى تأمل وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن
عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل لجحود اكثرهم
وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكن من المشركين او خطاب الرسول عليه السلام
لخطاب الامة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي
لاحد ان يمتري فيه وتمت كلمات ربك بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا في
الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز والحال والمفعول له
لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل او لا احد يقدر ان يحرفها
تحريفا شائعا ذائعا كما فعل بالتوراة على ان المراد بها القرآن فيكون ضمانا لها من الله بالحفظ
كقوله وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها وقرأ الكوفيون ويعقوب
كلمة ربك اي ما تكلم به او القرآن وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع
اكثر من في الارض اي اكثر الناس يريد الكفار او الجهال او متبعي الهوى وقيل الارض
ارض مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه فان الضال في غالب الامر لا يأمر الا

بما فيه ضلال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان آباءهم كانوا على الحق او جهالاتهم
وآراؤهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم الا يخرصون يكذبون على الله
تعالى فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم
البحائر او يقدرون انهم على شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل
عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب بفعل
دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر
يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل اي يضله الله فيكون من منصوبة
بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم اليه اي اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من اضللته
اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه
وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون
الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف
انفه ان كنتم باياته مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله تعالى واجتناب ما حرمه
وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه وقد
فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل
على البناء للمفعول ويعقوب وحفص عن عاصم حرم على البناء للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما
حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال وقرأ
الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم
ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر
الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ
الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكتسبون ولا تأكلوا مما لم يذكر
اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله

وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه
وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر غير اسم الله عليه لقوله وانه لفسق
فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه لا تاكلوا وان
الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم تاكلون ما قتلتم انتم
وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال ما حرم
انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك وانما حسن حذف
الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضي او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في
الناس مثل به من هداه الله وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والايات يتامل بها في
الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن
مثله صفته وهو مبتدأ خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف لا
الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمن
ايمانه زين للكافرين ما كانوا يعملون والاية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عمر او عمار
وابي جهل وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها
ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها
على تقديم المفعول الثاني او في كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر
الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها
وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون الا بانفسهم
لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى
مثل ما اوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي ان ابا جهل قال تزاحمنا بني عبد مناف
حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان يأتينا وحي كما
يأتيه فنزلت الله اعلم حيث يجعل رسالاته استيناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب

والمال

والمال وانما هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من
علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي فيه يضعها وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته
سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل تقديره من
عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه
يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن
جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار عليه السلام حين
سئل عنه فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا هل لذلك امارة يعرف
بها فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن
يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرأ ابن كثير
ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا
بالمصدر كانما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان
صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع عليه
الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل
يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك
اي كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب
او الخذلان عليهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذي جاء
به القران او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك اي الطريق
الذي ارتضاه او عادته او طريقه الذي اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا
وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا
الايات لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله وان كل ما يحدث من خير او شر فهو
بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد وحكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله

اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم
في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم او ناصرهم بما كانوا يعملون بسبب
اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر او نقول
والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء يا معشر الجن
يعني الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم
اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم
ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها
والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون
بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم وبلغنا
اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى
وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم منزلكم او ذات مثواكم خالدين فيها حال
والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله الا الاوقات
التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كانه قيل النار
مثواكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك نولي
بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم الى بعض او نجعل بعضهم يتولى بعضا فيغويهم او اولياء بعض
وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن
والانس الم يأتكم رسل منكم الرسل من الانس خاصة لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح
ذلك ونظيره يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان يخرج من الملح دون العذب وتعلق
بظاهره قوم وقالوا بعث الى كل من الثقلين رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن
رسل الرسل اليهم كقوله ولوا الى قومهم منذرين يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم
هذا يعني يوم القيمة قالوا جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر

واستجاب

واستيجاب العذاب وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم
على سوء نظرهم وخطاء رأيهم فانهم اغتروا بالحيوة الدنيوية واللذات المخدجة واعرضوا
عن الآخرة بالكلية حتى كان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر
والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى ارسال
الرسل وهو خبر مبتداء محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها
غافلون تعليل للحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اي الامر ذلك لانتفاء كون ربك
او لان الشأن لم يكن ربك مهلكا اهل القرى بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم او ظالما
وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك ولكل من المكلفين درجات مراتب مما
عملوا من اعمالهم او من جزائها او من اجلها وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل او
قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب وقرأ ابن عامر بالتاء على تغليب الخطاب على الغيبة وربك
الغني عن العباد والعبادة ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه
تنبيه على ان ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتأسيس لما بعده وهو
قوله ان يشأ يذهبكم اي ما به اليكم حاجة ان يشاء يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من
بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشأكم من ذرية قوم آخرين اي قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم ترحما
عليكم ان ما توعدون من البعث واحواله لآت لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين طالبكم به
قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن
او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرأ ابو بكر عن
عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القرآن وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم اني عامل
ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد
كان المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضي اليه وتسجيل بان المهدد لا يأتي منه
الا الشر كالمأمور به الذي لا يقدر ان يتفصى عنه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار

ان جعل من استفهامية بمعنى اينا يكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدار فمحلها
الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون اي فسوف تعرفون الذي يكون
له العاقبة وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه
محق وقرأ حمزة والكسائي يكون بالياء لان تانيث العاقبة غير حقيقي انه لا يفلح الظالمون
وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة وجعلوا اي مشركوا العرب لله مما ذرأ
خلق من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا
يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم روي انهم كانوا يعينون شيئا من
حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيئا منهما لآلهتهم وينفقون على
سدنتها ويذبحون عندها ثم ان رأوا ما عيّنوا لله ازكى بدلوه بما لآلهتهم وان رأوا ما لآلهتهم
ازكى تركوه لها حبا لآلهتهم وفي قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق في خلقه
جمادا لا يقدر على شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزاكي له وفي قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه
لم يأمرهم الله به وقرأ الكسائي بالضم في الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء فيه الكسر ايضا كالود وساء
ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين في قسمة القربات زين لكثير من المشركين قتل اولادهم
بالوأد ونحرهم لآلهتهم شركاؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على البناء
للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله
وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزادة
وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم
بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل او ما وجب عليهم ان
يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة
ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك
فذرهم وما يفترون افتراءهم او ما يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل لآلهتهم انعام و

حرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ
حجر بالضم وحرج اي مضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون
النساء بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعني البحائر والسوائب والحوامي وانعام
لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون على
ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر لان ما قالوه تقول على الله والجار متعلق بقالوا او
بمحذوف هو صفة له او على الحال او المفعول له والجار متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا
يفترون بسببه او بدله وقالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة
لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن
ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث فيه سواء وتأنيث الخالصة للمعنى فان ما في معنى الاجنة
ولذلك وافق عاصم في رواية ابي بكر ابن عامر في تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير في ميتة
فنصب كغيرهم او التاء فيه للمبالغة كما في راوية الشعر او هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص
وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي هو في الظرف لا
من الذي في لذكورنا ولا من الذكور لانها لا تتقدم على العامل المعنوي وعلى صاحبها المجرور وقرئ
خالص بالرفع والنصب وخالصه بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ
ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر
سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل من قوله وتصف السنتهم
الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها يريد به العرب الذين كانوا يقتلون
بناتهم مخافة السبي والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر قتّلوا بالتشديد بمعنى التكثير بغير علم لخفة عقلهم
وجهلهم بان الله رازق اولادهم لا هم ويجوز نصبه على الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم
الله من البحائر ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة في مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين
الى الحق والصواب وهو الذي انشأ جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها

وغير معروشات ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير
معروشات ما نبت في البراري والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذي يؤكل في الهيئة
والكيفية والضمير للزرع والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه او
للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء
والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما في اللون والطعم ولا
يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم يينع بعد
وقيل فائدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده يريد به
ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكوة المقدرة فانها فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل
الزكوة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء
وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي حصاده بكسر
الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين لا
يرتضي فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال
وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل
والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا ما احل لكم
منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين ظاهر
العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل
دل عليه او حال بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال
لمجموعهما والمراد الاول من الضأن اثنين زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من
ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن
كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو
عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب او حارس وحرس وقرئ معزى قل

الذكرين

آلذكرين ذكر الضأن وذكر المعز حرم ام الانثيين ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين
بحرم اما اشتملت عليه ارحام الانثيين او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى نبئوني بعلم
بامر معلوم يدل على ان الله حرم شيئا من ذلك ان كنتم صادقين في دعوى التحريم عليه ومن
الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام
الانثيين كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم من الاجناس الاربعة ذكرا او انثى او ما تحمل
اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف كانت
تارة زاعمين ان الله حرمها ام كنتم شهداء بل أكنتم حاضرين شاهدين اذ وصاكم الله بهذا
حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا
المشاهدة والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم
المقررون لذلك او عمرو بن لحي المؤسس له ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم
الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي اي في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم
انما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون الطعام
ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالياء ورفع ميتة على ان
كان هي التامة وقوله او دما مسفوحا عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما
مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال او لحم خنزير فانه رجس فان الخنزير
او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث مخبث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض
للتعليل اهل لغير الله به صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز
ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه
المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى تناول شيء من ذلك غير باغ على مضطر مثله
ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما
اوحي الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها

على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الأشياء غيرها إلا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا
كل ذي ظفر كل ما له إصبع كالإبل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر
ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم
الكلى والإضافة لزيادة الربط إلا ما حملت ظهورهما إلا ما علقت بظهورهما أو الحوايا أو ما اشتمل على
الأمعاء جمع حاوية أو حاوياء كقاصعاء وقواصع أو حوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف
على شحومهما وأو بمعنى الواو أو ما اختلط بعظم هو شحم الألية لاتصالها بالعصعص ذلك التحريم أو
الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وإنا لصادقون في الأخبار أو في الوعد والوعيد فإن كذبوك
فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بإمهاله فإنه لا يهمل ولا يرد بأسه عن
القوم المجرمين حين ينزل أو ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو بأس شديد للمجرمين فأقام
مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على إنزال البأس عليهم مع الدلالة على أنه لازب لهم لا يمكن
رده عنهم سيقول الذين أشركوا إخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على إعجازه لو شاء الله
ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء أي لو شاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله فلو شاء
لهداكم أجمعين لما فعلنا نحن ولا آباؤنا أرادوا بذلك أنهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار
عن ارتكاب هذه القبائح بإرادة الله إياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك
قوله كذلك كذب الذين من قبلهم أي مثل هذا التكذيب لك في أن الله منع من الشرك ولم يحرم
ما حرموه كذب من قبلهم الرسل وعطف آباؤنا على الضمير في أشركنا من غير تأكيد للفصل بلا حتى
ذاقوا بأسنا الذي أنزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من أمر معلوم يصح الاحتجاج به على ما
زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا إن تتبعون إلا الظن ما تتبعون في ذلك إلا الظن وإن أنتم إلا
تخرصون تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما في الأصول ولعل ذلك
حيث يعارضه قاطع إذ الآية فيه قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة
على الإثبات أو بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهي من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد إثبات الحكم وتطلبه

فلو شاء لهداكم أجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين
قل هلم شهداءكم أحضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف عند أهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بني تميم
وأصله عند البصريين ها لم من لم إذا قصد حذفت الألف لتقدير السكون في اللام فإنه الأصل
وعند الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة بإلقاء حركتها على اللام وهو بعيد لأن هل لا يدخل الأمر
ويكون متعديا كما في الآية ولازما كقوله هلم إلينا الذين يشهدون أن الله حرم هذا يعني قدوتهم
فيه استحضرهم لتلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وأنه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد
الشهداء بالإضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم فإن شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه
وبين لهم فساده فإن تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع أهواء الذين
كذبوا بآياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على أن مكذب الآيات متبع الهوى لا غير وأن
متبع الحجة لا يكون إلا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الأوثان وهم بربهم
يعدلون يجعلون له عديلا قل تعالوا أمر من التعالي وأصله أن يقوله من كان في علو لمن كان
في سفل فاتسع فيه بالتعميم أتل أقرأ ما حرم ربكم منصوب بأتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز
أن تكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول أتل لأنه بمعنى أقل أي أتل أي شيء حرم ربكم عليكم متعلقة
بحرم أو أتل أن لا تشركوا به أي لا تشركوا ليصح عطف الأمر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر
بما حرم فإن التحريم باعتبار الأوامر يرجع إلى أضدادها ومن جعل أن ناصبة فمحلها النصب بعليكم
على أنه للإغراء أو بالبدل مما أو من عائده المحذوف على أن لا زائدة أو الجر بتقدير اللام
أو الرفع على تقدير المتلو أن لا تشركوا أو المحرم أن تشركوا شيئا يحتمل المصدر والمفعول
وبالوالدين إحسانا أي وأحسنوا بهما إحسانا وضعه موضع النهي عن الإساءة إليهما للمبالغة
والدلالة على أن ترك الإساءة في شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا أولادكم من إملاق
من أجل فقر ومن خشية كقوله خشية إملاق نحن نرزقكم وإياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلون لأجله
واحتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب أو الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل

قوله تعالى ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن
ذلكم اشارة الى ما ذكر مفصلا وصيكم به بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون فان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا
مال اليتيم الا بالتي هي احسن الا بالفعلة التي هي احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشده حتى
يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد كصر واصر وقيل مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان بالقسط
بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء
الحق عسر عليكم فعليكم بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم في حكومة ونحوها فاعدلوا فيه ولو كان ذا قربى
ولو كان المقول له او عليه من ذوي قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتادية
احكام الشرع ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون تتعظون به وان هذا صراطي مستقيما الاشارة فيه الى ما
ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائي
ان بالكسر على الاستيناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف والباقون به مشددة بتقدير اللام
على انه علة لقوله فاتبعوه وقرأ ابن عامر صراطي بفتح الياء وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط ربكم وهذا
صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى
الهوى متعدد لاختلاف الطبايع والعادات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي
واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع وصيكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم آتينا موسى
الكتاب عطف على وصاكم وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به
قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن على من
احسن القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا او على الذي احسن تبليغه وهو موسى او تماما على
ما احسنه اي اجاده من العلم والشرايع اي زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف
اي على الذي هو احسن او على الوجه الذي هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شيء
وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه في الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر
وهدى ورحمة لعلهم لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون اي بلقائه للجزاء وهذا كتاب يعني القرآن

(هامش: اي المذكور الذي هو حكومة ونحوها)

انزلناه

انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه
ان تقولوا علة لانزلناه انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل
الاختصاص في انما لان الباقي المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا ان
هي المخففة ولذلك دخلت اللام الفارقة خبر كان اي وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين
لا ندري ما هي اذ لا نعرف مثلها او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى
منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار و
الخطب على انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تامل فيه
وعمل به فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها وصدف اعرض او
صد عنها فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون
باعراضهم او صدهم هل ينظرون اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك
ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تأتيهم الملائكة ملائكة الموت او
العذاب وقرأ حمزة والكسائي بالياء او يأتي ربك اي امره بالعذاب او كل آية يعني آيات القيمة
والهلاك الكلي لقوله او يأتي بعض آيات ربك يعني اشراط الساعة وعن حذيفة والبراء بن
عازب رضي الله عنهما كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تذاكرون
قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا
بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج
ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام ونارا تخرج من عدن يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع
نفسا ايمانها كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان برهانيا وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان
الى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا او كسبت في ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى
انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة في ايمانها خيرا وهو
دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط

النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا
ايمانها الذي احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اي انتظروا
اتيان احد الثلثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل ان الذين فرقوا دينهم بددوه
فآمنوا ببعضه وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة
كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة
وتفترق امتي على ثلث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائي فارقوا اي
باينوا وكانوا شيعا فرقا تشيع كل فرقة اماما لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم او
من عقابهم او انت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ باية السيف انما امرهم الى الله
يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اي عشر حسنات
امثالها فضلا من الله وقرأ يعقوب عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد
من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون
العدد ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة
العقاب قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم بالوحي والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا بدل من
محل الى صراط اذ المعنى هداني صراطا كقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ
قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم باعتبار الصيغة وقرأ
ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فاعل لاعلال
فعله كالقيام ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابراهيم وما كان من المشركين عطف
عليه قل ان صلوتي ونسكي عبادتي كلها او قرباني او حجي ومحياي ومماتي وما انا عليه في حيوتي
واموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية
والتدبير او الحيوة والممات انفسهما وقرأ نافع محياي باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف
لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك القول والاخلاص امرت

وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا فاشركه
في عبادتي وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة الهتهم وهو رب كل شيء حال في موقع
العلة للانكار والدليل له اي وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل
نفس الا عليها فلا ينفعني في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة وزر
اخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة فينبئكم بما كنتم
فيه تختلفون يبين الرشد من الغي ويميز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف
الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او
خلفاء الامم السالفة على ان الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم فوق بعض درجات في
الشرف والغنى ليبلوكم فيما آتاكم من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب لان ما هو آت
قريب او لانه يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف
ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على
انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون
الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون
الف ملك بعدد كل اية من سورة الانعام يوما وليلة

سورة الاعراف

مكية الا ثمان ايات من قوله واسئلهم الى قوله واذ نتقنا الجبل محكم كلها وقيل الا قوله واعرض عن الجاهلين وايها مائتان وخمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر محذوف اي هو كتاب او خبر المص والمراد به
السورة او القرآن انزل اليك صفة فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك فان

الشاك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان يكذب فيه او يقصر في القيام بحقه
وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا اريتك ههنا والفاء تحتمل العطف والجواب وكانه قيل اذا
انزل اليك لتنذر به فلا يحرج صدرك منه لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن
انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين
يحتمل النصب باضمار فعلها اي لتنذر وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل تنذر و
الرفع عطفا على كتاب او خبرا لمحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القرآن والسنة لقوله تعالى
وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس
وقيل الضمير في من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء وقرئ ولا
تبتغوا قليلا ما تذكرون تذكرا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما
مزيدة لتاكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ حمزة والكسائي وحفص
عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبي صلى الله عليه وسلم
وكم من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان فجاءها فجاء
اهلها باسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون عطف عليه
اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفي عطف فانها
واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم وامنهم
عن العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجئ العذاب فيهما افظع
فما كان دعويهم اي دعاؤهم او استغاثتهم او ما كانوا يدعونه من دينهم اذ جاءهم باسنا الا
ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه فلنسألن الذين
ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسألن المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا
السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال
الاستعلام او الاول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة ولنقصن عليهم على الرسل

حين

حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه
بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شيء من احوالهم
والوزن اي القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال
توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم
من اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ما روي ان الرجل يؤتى به
الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة
فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن
الاشخاص لما روي عنه عليه السلام انه قال ليأتي العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله
جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدأ الذي هو الوزن الحق صفته او خبر محذوف ومعناه العدل
السوي فمن ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات
وتعدد الوزن فهو جمع موزون او ميزان فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب
ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت
عليها واقتراف ما عرضها للعذاب بما كانوا باياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق ولقد
مكناكم في الارض اي مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا
تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف قليلا ما
تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا اباكم ادم طينا غير مصور ثم
صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدانا خلقكم ثم تصويركم بان
خلقنا ادم ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم وقيل ثم لتاخير الاخبار فسجدوا
الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لادم قال ما منعك الا تسجد اي ان تسجد
ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه
ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد

اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استئناف
استبعاد ان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه قال المانع انى خير منه ولا يحسن للفاضل
ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذى سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين
اولا خلقتنى من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط فى ذلك بان راى
الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما منعك ان
تسجد لما خلقت بيدى اى بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحى
فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم
منهم وان له خواص ليس لغيره والاية دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة
ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب
قال فاهبط منها من السماء او الجنة فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها وتعصى فانها مكان
الخاشع المطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه للتكبر
لا لمجرد عصيانه فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لتكبره قال عليه السلام من تواضع
لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرنى الى يوم يبعثون امهلنى الى يوم القيمة فلا تمتنى
او لا تعجل عقوبتى قال انك من المنظرين يقتضى الاجابة الى ما سأله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء
به مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلم الله انتهاء اجله فيه
وفى اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته قال فبما اغويتنى اى بعد ان امهلتنى
لاجتهدن فى اغوائهم باى طريق يمكننى بسبب اغوائك اياى بواسطتهم تسمية او حملا على
الغى او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن فان اللام
تصد عنه وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة صراطك
المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره على
صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم

وعن شمائلهم اى من جميع الجهات الاربع مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من
اى وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم
وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش
وعن ابن عباس من بين ايديهم من قبل الاخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم
وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون
ويقدرون التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم
من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل
الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الاخرين بحرف المجاوزة فان الاتى
منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين
وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير
واحدا وقيل سمعه من الملائكة قال اخرج منها مذؤما مذموما من ذامه اذا ذمه وقرئ
مذوما كمسول فى مسئول او كمكول فى مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا مطرودا لمن
تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لاملان جهنم منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط
وقرئ لمن بكسر اللام على انه خبر لاملان على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج و
لاملان جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا ادم اى وقلنا يا ادم
اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذى وهو الاصل
لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم
وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اى فعل الوسوسة
لاجلهما وهى فى الاصل الصوت الخفى كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلى وقد سبق
فى البقرة كيفيته وسوسته ليبدى لهما ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته
ان يسوئهما بانكشاف عورتهما ولذلك عبر عنهما بالسوأة وفيه دليل على ان كشف العورة فى

الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع ما وري عنهما من سوآتهما ما غطي عنهما
من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة
في المشهور كما قلبت في أُوَيْصِل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سوّتهما بحذف الهمزة
والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال ما نهيكما ربكما عن هذه
الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون
في الجنة واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقايق لا تنقلب
وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن
الاطعمة والاشربة مطلقا وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين اي
اقسم لهما على ذلك واخرجه عن زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين
فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدليهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك
من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشيء من اعلى الى اسفل
بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او متلبسين بغرور فلما
ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اي فلما وجدا طعمها آخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة
وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة
او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حللا او ظفرا وطفقا يخصفان اخذا يرقعان و
يلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وقرئ يُخْصِفان من
اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصّفان من خصّف ويِخِصِّفان واصله يختصفان وناديهما
ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين عتاب على مخالفة
النهي وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهي للتحريم قالا ربنا
ظلمنا انفسنا اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج عن الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين دليل على ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا يجوز المعاقبة

عليها

عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام الصغير
من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما
ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر عما قال لهم متفرقا بعضكم لبعض عدو في موقع
الحال اي متعادين ولكم في الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وتمتع الى
حين الى ان تنقضي آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء يا بني آدم قد انزلنا
عليكم لباسا اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام
وقوله وانزلنا الحديد يواري سوآتكم التي قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق
روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها
فنزلت ولعله ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان
من الشيطان وانه اغواهم في ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا تتجملون به والريش الجمال
وقيل مالا ومنه ترّيش الرجل اذا تموّل وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباس
التقوى خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء
وخبره ذلك خير او خير وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر
والكسائي ولباس بالنصب عطفا على لباسا ذلك اي انزال اللباس من آيات الله الدالة
على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بني آدم لا
يفتننكم الشيطان لا يمحننكم بان يمنعكم صح دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان
اخرجهما منها النهي في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما لباسهما
ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب انه يراكم هو و
قبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهي وتاكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من
حيث لا نراهم في الجملة لا تقتضي امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين
لا يؤمنون بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا

لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية واذا فعلوا فاحشة فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم
وكشف العورة في الطواف قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بامرين
تقليد الآباء والافتراء على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثاني بقوله قل ان الله
لا يامر بالفحشاء لان عادته تعالى جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة
فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلي فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم و
يستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مرتبين كانه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا
وجدنا عليها اباءنا فقيل ومن اين اخذ اباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد
اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهي عن الافتراء
على الله قل امر ربي بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافي عن طرفي الافراط والتفريط
واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد
في كل وقت سجود او مكانه وهو الصلوة او في اي مسجد حضرتكم الصلوة ولا تؤخروها حتى تعودوا
الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اي الطاعة فان اليه مصيركم كما بدأكم كما
انشأكم ابتداء تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها
والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون
وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى
القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اي وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين
اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على
ان الكافر المخطئ والمعاند سواء في استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر يا بني
آدم خذوا زينتكم ثيابكم لمواراة عورتكم عند كل مسجد لطواف او صلوة ومن السنة ان ياخذ
الرجل احسن هيئة للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة وكلوا واشربوا ما
طاب لكم روي ان بني عامر في ايام حجهم كانوا لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما

يعظمون

يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال وبالتعدي الى الحرام او
بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك
خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب في نصف آية فقال
وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا يرضى فعلهم قل من حرم زينة الله من
الثياب وسائر ما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير
والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب
وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام
في من للانكار قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع
خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها خبر
بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون اي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم
قل انما حرم ربي الفواحش ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن جهرها
وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغي الظلم او الكبر افرده
بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغي مؤكد له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم
بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد
في صفاته والافتراء عليه كقولهم الله امرنا بها ولكل امة اجل مدة او وقت لنزول العذاب بهم
وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم او حان وقتهم لا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون اي لا يتأخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التأخر والتقدم
لشدة الهول يا بني آدم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي شرط ذكر حرف الشك
للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما لتاكيد معنى
الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى

التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا باياتنا منكم واد خال الفا في الجزء الاول دون الثاني
للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته ممن
تقول على الله ما لم يقله وكذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ما كتب لهم من الارزاق
والاجال وقيل الكتاب اللوح اي مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اي يتوفون
ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية نيلهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب اذا
اينما كنتم تدعون من دون الله اين الالهة الذين كنتم تعبدونها وما وصلت باين في خط
المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا
كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا اي قال الله لهم يوم القيمة او
احد من الملائكة في امم قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم يوم القيمة
من الجن والانس يعني كفار الامم الماضية من النوعين في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت
امة اي في النار لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا
وتلاحقوا في النار قالت اخريهم اي دخولا او منزلة وهم الاتباع لاوليهم اي لاجل اولاهم اذ
الخطاب مع الله لا معهم ربنا هولاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فاتهم عذابا
ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم
واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل فريق وقرأ عاصم بالياء على
الانفصال وقالت اوليهم لاخريهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله
لاخريهم ورتبوه عليه اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون في الضلال و
استحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قول الفريقين
ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم و
اعمالهم او لارواحهم كما تفتح لاعمال المومنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء في تفتح لتانيث
الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وقرأ حمزة والكسائي به وبالياء لان التانيث

غير حقيقي والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للايات
وبالياء على ان الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل ما هو مثل
في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا
ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل
وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو و
الخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين لهم من جهنم
مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف
عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف وكذلك نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة
وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الايات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم
مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين امنوا وعملوا
الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه وتعالى
في ان يشفع الوعد بالوعيد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا وخبره للترغيب
في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم
من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل ونطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن علي
رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة
في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا
الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرأ ابن
عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم
يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا في الدنيا صار لهم عين اليقين في الاخرة و
نودوا ان تلكم الجنة اذا راوها من بعيد او بعد دخولها والمنادي له بالذات اورثتموها بما كنتم
تعملون اي اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة

صفة تلكم وان في المواقع الخمسة هي المخففة او المفسرة لان المناداة والتأذين من القول
ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا
انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم تقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما
ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعدا بهم كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم
وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم بين الفريقين
ان لعنة الله على الظالمين وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي انّ لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ
إن بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة
للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر
في المعاني والاعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح في المنتصبة كالحائط والرمح وهم بالآخرة
كافرون وبينهما حجاب اي بين الفريقين كقوله فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع
وصول اثر احديهما الى الاخرى وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه وهو السور المضروب
بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون لظهوره
اعرف من غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي
الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء او الشهداء او خيار المؤمنين او علماؤهم
او ملائكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم
الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم على القلب
كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام
عليكم اي اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو وعلى الوجه الاول من
الاصحاب على الوجوه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا تعوذا بالله ربنا لا تجعلنا
مع القوم الظالمين اي في النار ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء
الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون عن الحق او على الخلق وقرئ

تستكثرون

يحتقرونهم حالة

تستكثرون من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم
للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم في الدنيا
ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اي فالتفتوا
الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف
ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا
وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله او بعض
الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ أُدخِلوا ودَخلوا على الاستيناف وتقديره دخلوا
الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء اي
صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة
او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين منعهما عنهم
منع المحرم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو
صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به وغرتهم
الحيوة الدنيا فاليوم ننسيهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم
يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا بآياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها من عند الله
ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بيّنا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم
عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون
حالا من المفعول وقرئ فضلناه اي على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى ورحمة
لقوم يؤمنون حال من الهاء هل ينظرون الا تأويله الا ما يؤول اليه امره من
تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من
قبل تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم جاؤا بالحق فهل
لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على

فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤل احد الامرين وعلى الثانى ان يكون لهم شفعاء
اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل غير الذى كنا نعمل جواب الاستفهام الثانى وقرئ بالرفع
اى فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم فى الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم
ينفعهم ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام اى فى ستة اوقات كقوله ومن
يولهم يومئذ دبره او فى مقدار ستة ايام فان المتعارف زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم
يكن حينئذ وفى خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل الاختيار واعتبار للنظار
وحث على التانى فى الامور ثم استوى على العرش استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء
على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى ان له تعالى استواء على الوجه الذى عناه منزها عن الاستقرار
والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمى به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان
الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشى الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او
لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرأ حمزة
والكسائى ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفى الرعد للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا
يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شىء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر
محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر
كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين
تعالى بالوحدانية والالوهية وتعظم بالتفرد فى الربوبية وتحقيق الاية والله اعلم ان الكفرة
كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذى له الخلق
والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما
اشار اليه بقوله فقضيهن سبع سموات فى يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما
قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الاثار والافعال

والافعال واشار اليه بقوله وخلق الارض فى يومين اى ما فى جهة السفل فى يومين
ثم انشأ انواع المواليد الثلثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله خلق
الارض فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة
ايام اى مع اليومين الاولين لقوله فى سورة السجدة الله الذى خلق السموات والارض وما
بينهما فى ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير
المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالى و
الايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين
ثم امرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اى ذوى تضرع وخفية
فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به فى الدعاء وغيره
نبه به على ان الداعى ينبغى ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل
هو الصياح فى الدعاء والاسهاب فيه وعن النبى صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء
وحسب المرء ان يقول فى الدعاء اللهم انى اسئلك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ
بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا فى الارض
بالكفر والمعاصى بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوى خوف
من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع فى اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته ان رحمة
الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة
بمعنى الرحم او لانه صفة محذوف اى امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذى بمعنى مفعول او الذى
هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره وهو الذى ارسل
الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح على الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ
ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائى نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر
فى موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا

وهو تخفيف بُشُر جمع بشير وقد قرئ به وبَشْرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات او بشرى
للبشارة بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب
تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا
ثقالا بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحائب سقناه اي السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد
ميت لاجله او لاحيائه او لسقيه وقرئ مَيْت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق
او بالريح وكذلك فاخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق في
الاول وللظرفية في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية فيهما من كل الثمرات من كل انواعها
كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد اي كما نحييه باحداث
القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد
النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون ان من
قدر على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيئته
وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة والذي خبث اي كالحرة
والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذي خبث لا
يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يُخرج اي
يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونَكَدا على المصدر اي ذا نكد ونكْدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف
الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل
لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها راسا ولم يتأثر بها لقد ارسلنا نوحا الى قومه
جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب
اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس اول نبي بعد
بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده لقوله
ما لكم من اله غيره وقرأ الكسائي غيره بالكسر على اللفظ وقرئ بالنصب على الاستثناء اني اخاف

عليكم عذاب يوم عظيم ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي الى عبادته واليوم
يوم القيامة او يوم نزول الطوفان قال الملأ من قومه اي الاشراف فانهم يملؤن
العيون رواء انا لنريك في ضلال زوال عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة
اي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في الاثبات وعرض لهم به ولكني رسول
من رب العالمين استدراك باعتبار ما لزمه وهو كونه على هدى كانه قال ولكني على
هدى في الغاية لاني رسول من الله ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا
تعلمون صفات لرسول او استيناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ ابو
عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها كالعقائد و
المواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحي اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث و
ادريس وزيادة اللام في لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفي اعلم من الله تقرير لما
اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشياء لا علم لكم بها
او عجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اي اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم
ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل على لسان رجل منكم من جملتكم او من جنسكم
فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا
في آبائنا الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منهما بسبب الانذار ولعلكم
ترحمون بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على ان التقوى غير موجب والترحم من الله
تفضل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله فكذبوه فانجيناه
والذين معه وهم من آمن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل عشرة بنوه سام
وحام ويافث وستة ممن آمن به في الفلك متعلق بمعه او بانجيناه او حال من الموصول او
الضمير في معه واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين
واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف

على نوح الى قومه هوداً عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب فانه
هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل
هود بن شالخ بن سام ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم بقوله واعرف بحاله وارغب
في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره استئناف به ولم يعطف كانه جواب
سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله وكان قومه
كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال قال الملأ الذين كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم
من آمن به كمرثد بن سعد انا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت
دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب
العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل
منكم لينذركم سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن
مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله
وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح
اي في مساكنهم من رمل عالج الى بحر عمان او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن
عاد ممن ملك معمورة الارض خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة
قامة وقوة وهو تعميم بعد تخصيص فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها
المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا اختصاص
الله تعالى بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء
في اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم
ذهب يسبني فأتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين
فيه قال قد وقع عليكم قد وجب او حق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس
عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم

انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اي في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى
الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله
تعالى اما بانزال آية او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير
دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم
وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم تكن كذلك
لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر
فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول العذاب اني معكم من المنتظرين
فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا اي
استاصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض لمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من
نجا ومن هلك هو الايمان روي انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه
وازدادوا عتوا فامسك الله القطر عنهم ثلث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم
ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن
عنتر ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن
لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم كانوا
اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما راى ذهولهم
باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين
الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما • فيسقي ارض عاد ان عادا • قد امسوا ما
يبينون الكلاما • حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم
نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود
وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات
ثلثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال

اخضرت السوداء فانها اكثر من ماء فخرجت على عاد من واد المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا
عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة وعبدوا الله
فيها حتى ماتوا والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام
وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحي او باعتبار
الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى اخاهم صالحا صالح بن عبيد
بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم
بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله هذه ناقة الله لكم آية استئناف لبيانها
وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له آية ويجوز ان تكون ناقة
الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها
جاءت من عنده بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية فذروها تاكل في ارض الله
العشب ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى
مبالغة في الامر وازاحة للعذر فياخذكم عذاب اليم جواب للنهي واذكروا اذ جعلكم خلفاء من
بعد عاد وبوأكم في الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا اي تبنون في سهولها او من
سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح
وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا
من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال
الملأ الذين استكبروا من قومه اي عن الايمان للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم
واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل
البعض ان كان للذين أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء قالوا انا بما
ارسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان
يشك فيه عاقل ويخفى على ذي رأي وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال قال الذين

الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون على المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به
ردا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة او
لانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح بقوله فذروها
وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة الزلزلة فاصبحوا
في دارهم جاثمين خامدين ميتين روي انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا
وعمروا اعمارا طوالا لا تفي بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة
فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم
فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو آلهتنا
فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة
منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان
فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى
ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء
وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع في جماعة
ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صعر
كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى
تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون و
كانت تصيف بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره
فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي
سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم
يقدروا عليه اذ انفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد
محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله

الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من
السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن
لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد
هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا
حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ولوطا اي وارسلنا لوطا اذ قال
لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه اتاتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة
المتمادية في القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن
الاولى لتاكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استيناف مقررة للانكار كانه وبخهم
اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوء انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بيان
لقوله اتاتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستانف
وشهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان
العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر بل انتم قوم
مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد
الاسراف في كل شئ او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر
لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي ما
جاؤا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه فيمن معه من المومنين من
قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون اي من الفواحش فانجيناه واهله اي من
آمن به الا امراته استثناء من اهله فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا في ديارهم
فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله
فامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روي ان لوط بن هاران
بن تارخ لما هاجر مع عمه ابرهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم

الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا
وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اي
وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابرهيم شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان
يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعة قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم
بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له وليس في القران انها ما هي وما روي من محاربة
عصا موسى التنين وولادة الغنم التي دفعها الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها
ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع متاخر عن هذه المقاولة يحتمل ان يكون كرامة
لموسى او ارهاصا لنبوته فاوفوا الكيل اي آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال
كالعيش على المعاش لقوله والميزان كما قال في سورة هود او الكيل ووزن الميزان ويجوز ان
يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما
قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل
كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد
اصلاحها بعد ما اصلح امرها او اهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة
اليها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم مومنين اشارة الى العمل بما امرهم
به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال
ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان
كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا راوا احدا يسعى في
شئ منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب
فلا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون
عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة
على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله من آمن به اي بالله او

الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانقطاع فاتتهم صيحة من
السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن
لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد
هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا
حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم ولوطا اي وارسلنا لوطا اذ قال
لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه اتأتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة
المتمادية في القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن
الاولى لتاكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استئناف مقررة للانكار كانه وبخهم
اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بيان
لقوله اتأتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستأنف
وشهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان
العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر بل انتم قوم
مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد
الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر
لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي ما
جاؤا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصيحته بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين من
قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون اي من الفواحش فانجيناه واهله اي من
آمن به الا امراته فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم
فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله
فامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روي ان لوط بن هاران
بن تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم

الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا
وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اي
وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان
يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعة قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم
بينة من ربكم يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن انها ما هي وما روي من محاربة
عصا موسى التنين وولادة الغنم التي دفعها الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها
ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع متاخرة عن هذه المقاولة يحتمل ان يكون كرامة
لموسى او ارهاصا لنبوته فاوفوا الكيل اي آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال
كالعيش على المعاش لقوله والميزان كما قال في سورة هود اوفوا الكيل والميزان ويجوز ان
يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما
قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل
كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا في الارض بالكفر والحيف بعد
اصلاحها بعد ما اصلح امرها او اهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة
اليها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم
به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال
ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان
كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا احدا يسعى في
شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب
فلا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون
عن سبيل الله يعني الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة
على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله من آمن به اي بالله او

بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه في موقع الحال من الضمير في تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عَددكم فكثركم بالبركة في النسل والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم من القرية او عودكم في الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب في قوله قال اولو كنا كارهين اي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا في حال كراهتنا قد افترينا على الله كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقربه من الحال اي قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئة وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شيء علما اي احاط علمه بكل شيء مما كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين

وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جوابي الشرط والقسم الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها فاصبحوا في دارهم جاثمين في مدينتهم الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كان لم يغنوا فيها اي استؤصلوا كان لم يقيموا بها والمغنى المنزل الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون في الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستانف بالجملتين واتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تاسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بالامالة وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا كثروا وعددا وعددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة فجاة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو ان اهل القرى يعني القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي افامن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض

والمعنى ابعد ذلك امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا تبييتا او وقت بيات او مبيتا او
مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون
حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا او امن اهل القرى وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر
او بالسكون على الترديد ان ياتيهم باسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت
وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم افامنوا مكر الله تقرير لقوله افامن
اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يامن مكر الله الا
القوم الخاسرون الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم يهد للذين يرثون الارض
من بعد اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدي يهد باللام لانه بمعنى يبين
ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا
من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قراه بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على ما دل
عليه اولم يهد اي يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم
على انه بمعنى وطبعنا لانه في سياقه جواب لو لافضائه الى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع تفهم
واعتبار تلك القرى يعني قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها حال ان جعل القرى خبرا
ويكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اي
نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا
ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على
التكذيب او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم
قط دعوتهم المتطاولة والايات المتتابعة واللام لتاكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان
لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين
فلا تلين شكيمتهم بالايات والنذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والاية اعتراض او
لاكثر الامم المذكورين من عهد وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم في الايمان والتقوى

بانزال الآيات ونصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من
هذه لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم اي علمناهم لفاسقين من وجدت زيدا ذا
الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يسوغ الا في المبتدا والخبر والافعال الداخلة
عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل في قوله
ولقد جاءتهم رسلهم او للامم باياتنا يعني المعجزات الى فرعون وملائه فظلموا بها بان كفروا بها
مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون
لقب لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب
بن الريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب
العالمين اليك وقوله حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه اياه في
دعوى الرسالة وانما لم يذكر لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق علي ان لا اقول
كما قراه نافع فقلب لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد
لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق والمعنى انه حق واجب على القول الحق ان اكون انا
قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على مكان الباء لافادة
كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي بالباء وقرئ حقيق ان لا
اقول قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل فخلهم حتى يرجعوا معي الى الارض المقدسة
التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الاعمال قال ان كنت جئت باية من عند
من ارسلك فات بها فاحضرها عندي ليثبت بها صدقك ان كنت من الصادقين في الدعوى
فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وهو الحية العظيمة روي انه
لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض
والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات
منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه وانا اومن بك

وارسل معك بني اسرائيل فالقى عصاه ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا هي
بيضاء للناظرين اي بيضاء بياضا خارجا عن العادة تجتمع عليه النظارة او بيضاء للنظار
لا انها كانت بيضاء في جبلتها روي انه كان آدم شديد الادمة فادخل يده في جيبه
او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي بيضاء [struck word] نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس
قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور
في امره فحكي عنه في سورة الشعراء وعنهم ههنا يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون تشيرون
في ان نفعل قالوا ارجه واخاه وارسل في المداين حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم كانه
اتفقت عليه آراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء التاخير اي اخر امره واصله ارجئه
كما قرأ ابو عمرو وابو بكر ويعقوب من ارجأت وكذلك ارجئهو على قراءة ابن كثير على الاصل
في الضمير او ارجهي من ارجيت كما قرأ نافع في رواية ورش واسمعيل والكسائي واما قراءة
في رواية قالون ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها وقراءة حمزة وحفص ارجه بسكون
الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل في اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر
ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة او
ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائي بكل
سحار فيه وفي يونس ويؤيده اتفاقهم عليه في الشعراء وجاء السحرة فرعون بعد ما ارسل
الشرط في طلبهم قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استانف به كانه جواب سائل قال
ما قالوا اذ جاؤا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص ان لنا على الاخبار وايجاب الاجر كانهم قالوا
لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم قال نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين عطف على ما سد
مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين
خيروا موسى مراعاة للادب او اظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا عليها
بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل او تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك قال

قال القوا كرما وتسامحا او ازدراء بهم ووثوقا بشانه فلما القوا سحروا اعين الناس بان
خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم
وجاؤا بسحر عظيم في فنه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت الوادي
وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فالقاها فصارت حية فاذا هي
تلقف ما يافكون اي ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشيء عن وجهه ويجوز
ان يكون ما مصدرية وهي مع الفعل بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم
وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى
فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع
الحق فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا
صاغرين صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون
وقومه والقي السحرة ساجدين جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم
الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك او ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين
اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته قالوا امنا برب
العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون قال
فرعون امنتم به بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم
وروح عن يعقوب بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص امنتم به على الاخبار قبل ان اذن لكم
ان هذا لمكر مكرتموه اي ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى في المدينة في مصر قبل ان
تخرجوا للميعاد لتخرجوا منها اهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة
ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم
لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع
تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته قالوا انا الى ربنا

منقلبون بالموت فلا نبالي بوعيدك وانا لمنقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم
استطابوه شغفا على لقاء الله او مصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر
منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتاتى
لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا
يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا من الاثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا
مسلمين ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله
انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض
بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على يفسدوا او جواب للاستفهام
بالواو كقول الحطيئة • الم اك جاركم ويكون بيني • وبينكم المودة والاخاء • على معنى ايكون
منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر او استئناف
او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله فاصدق واكن والهتك
معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه
ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ الاهتك اي عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي
نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذي
حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرا ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم
قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا لما
سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده تسلية
لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت في الامر والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما
وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة للمتقين بالنصب عطفا
على اسم ان واللام في الارض تحتمل العهد والجنس قالوا اي بنو اسرائيل اوذينا من قبل
ان تاتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم

في الارض تصريح بما كنى عنه اولا لما راى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه
بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح لهم في زمن داود عليه السلام فينظر
كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم
ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام
القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا ونقص من
الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك لشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا
او لترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب
والسعة قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن
معه يتشاءموا بهم ويقولون ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة
فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الايات وهي
لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق
لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة واتى بها مع حرف الشك لندورها
وعدم القصد لها الا بالتبع الا انما طائرهم عند الله اي سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته
او سبب شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي ساقت اليهم ما يسوؤهم وقرئ
انما طيركم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ما يصيبهم من الله تعالى او من
شؤم اعمالهم وقالوا مهما اصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت الفها هاء
استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء
او النصب بفعل يفسره تاتنا به اي ايما شيء تحضرنا تاتنا به من اية بيان لمهما وانما سموها اية على
زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اي لتسحر بها اعيننا وتشبه
علينا والضمير في به وبها لما ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ وانث بعده باعتبار المعنى فارسلنا
عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدري وقيل الموتان

وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها
والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته
ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بني اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل
فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى
ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع ما لم يعهد
مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تاكل الابواب
والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق
والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه
وكان يقع في اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا
الآن انك ساحر كذاب ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجد
فيه وكان يمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي والى افواههم عند التكلم ففزعوا
اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد ثم ارسل الله عليهم الدم
فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما
يلي الاسرائيلي ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط عليهم
الرعاف آيات نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله
ونقمته عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل آيتين منها شهر وكان امتداد
كل واحد اسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه
الآيات على مهل فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز
يعني العذاب المفصل او الطاعون ارسل الله عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك
بما عهد عندك بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهد اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك
في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او

او متعلق بمحذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك او قسم
مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله
عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه
الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل
الى اجل عينوه لايمانهم اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجؤا النكث من غير توقف
وتامل فيه فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم اي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل
لجته بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم
فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم مشارق الارض
ومغاربها يعني ارض الشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها التي باركنا
فيها بالخصب وسعة العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل ومضت عليهم واتصلت
بالانجاز عدته اياهم بالنصر والتمكين وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون و
قرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان يصنع
فرعون وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعون من
البنيان كصرح هامان وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون بالضم وهذا اخر قصة فرعون وقومه وقوله
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله
عليهم بالنعم الجسام واراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما راى منهم
وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روي ان موسى عليه السلام
عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا فاتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون
على اصنام لهم يقيمون على عبادتها وقيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل والقوم
كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرا حمزة والكسائي يعكفون بالكسر

قالوا يا موسى اجعل لنا الهاً مثالاً نعبده كما لهم آلهة يعبدونها وما كافة للكاف قال انكم قوم
تجهلون وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا من الآيات الكبرى عن العقل
ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني ان الله يهدم دينهم الذي هم عليه و
يحطم اصنامهم ويجعلها رضاضاً وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وان قصدوا بها
التقرب الى الله تعالى وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار
وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبراً لان للتنبيه على ان الدمار لا
حق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيراً وتحذيراً عما طلبوا قال اغير الله
ابغيكم الهاً اطلب لكم معبوداً وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء
مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلاً بان قصدوا ان يشركوا
به اخس شيء من مخلوقاته واذ انجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت وقرأ
ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان ما انجاهم او حال من المخاطبين او من
آل فرعون او منهما يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وفي ذلكم بلاء من ربكم
عظيم وفي الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلثين ليلة ذا القعدة وقرأ ابو
عمرو ويعقوب ووعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة بالغاً اربعين
روي انه عليه السلام وعد بني اسرائيل بمصر ان يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما
يأتون ويذرون فلما هلك سأل ربه فامره بصوم ثلثين فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت
الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان يزيد عليها عشراً وقيل
امره بان يتخلى ثلثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التورية في العشر وكلمه فيها وقال موسى
لاخيه هرون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحاً ولا
تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا
لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه لميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة

الملائكة وفيما روي ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان
سماع كلامه القديم ليس من جنس سماع كلام المحدثين قال رب ارني انظر اليك ارني نفسك
بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة
في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال خصوصاً ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله
لن تراني دون لن أُرى ولن اريك ولن تنظر الي تنبيهاً على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معدٍّ
في الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت
الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الهاً ولا يتبع
سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ
اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابداً وان لا يراه غيره اصلاً فضلاً عن
ان يدل على استحالته ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني
ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك يريد ان يبين به انه لا يطيقه
وفي تعليق الرؤية بالاستقرار ايضاً دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل
جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى له حيوة و
رؤية حتى رآه جعله دكاً مدكوكاً مفتتاً والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرأ حمزة و
الكسائي دكاء اي ارضاً مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دُكّاً اي قطعاً دكّاً
جمع دكاء وخر موسى صعقاً مغشياً عليه من هول ما رأى فلما افاق قال تعظيماً لما رأى سبحانك
تبت اليك من الجرأة والاقدام على السؤال بغير اذن وانا اول المؤمنين [illegible] وقيل معناه
انا اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك على الناس اي
الموجودين في زمانك وهرون وان كان نبياً كان مأموراً باتباعه ولم يكن كليماً ولا صاحب
شرع برسالاتي يعني اسفار التورية وقرأ ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما
آتيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روي ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة

قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم آلهة يعبدونها وما كافة للكاف قال انكم قوم
تجهلون وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما راوا من الآيات الكبرى عن العقل
ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني ان الله يهدم دينهم الذي هم عليه و
يحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وان قصدوا بها
التقرب الى الله وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار
وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لا
حق لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله
ابغيكم الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء
مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا
به اخس شيء من مخلوقاته واذ انجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت وقرأ
ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان ما انجاهم او حال من المخاطبين او من
آل فرعون او منهما يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وفي ذلكم بلاء من ربكم
عظيم وفي الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلثين ليلة ذا القعدة وقرأ ابو
عمرو ويعقوب ووعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة بالغا اربعين
روي انه عليه السلام وعد بني اسرائيل بمصر ان يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما
يأتون ويذرون فلما هلك سأل ربه فامره بصوم ثلثين فلما اتم انكر خلوف فيه فتسوك فقالت
الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان يزيد عليه عشرا وقيل
امره بان يتخلى ثلثين بالصوم والعبادة ثم انزل عليه التورية في العشر وكلمه فيها وقال موسى
لاخيه هرون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا ولا
تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا
لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه لميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة

الملائكة وفيما روي ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على ان
سماع كلامه القديم ليس من جنس سماع كلام المحدثين قال رب ارني انظر اليك ارني نفسك
بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى جائزة
في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال خصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله
لن تراني دون لن ارى ولن اريك ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد
في الرائي لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت
الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها ولا يتبع
سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ
اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا من
ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني
ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك يريد ان يبين به انه لا يطيقه
وفي تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل
جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطي له حيوة و
رؤية حتى يراه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرأ حمزة و
الكسائي دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا اي قطعا دكا
جمع داك وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما راى فلما افاق قال تعظيما لما راى سبحانك
تبت اليك من الجرأة والاقدام على السؤال بغير اذن وانا اول المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه
انا اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك على الناس اي
الموجودين في زمانك وهرون وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب
شرع برسالاتي يعني اسفار التورية وقرأ ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما
آتيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روي ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة

واعطاه التورية يوم النحر وكتبنا له في الالواح من كل شيء مما يحتاجون اليه من امر الدين موعظة
وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور اي كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف
في ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صماء لينها
الله لموسى فقطعها بيده او شققها باصابعه وكان فيها التورية او غيرها فخذها على اضمار القول
عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما اتيتك والهاء للالواح او لكل شيء فانه بمعنى الاشياء او
للرسالات بقوة بجد وعزيمة وامر قومك ياخذوا باحسنها اي باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة
الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم
او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقا لا بالاضافة
وهو المامور به كقولهم الصيف احر من الشتاء ساريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر خاوية
على عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا ولا تفسقوا او دارهم في الاخرة وهي جهنم
وقرئ ساوريكم بمعنى سابينها لكم من اوريت الزند وساورثكم ويؤيده قوله واورثنا القوم
ساصرف عن اياتي المنصوبة في الافاق والانفس الذين يتكبرون في الارض بالطبع على
قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل
فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون اي يتكبرون بما ليس بحق وهو
دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا كل اية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم او اختلال
عقلهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه
سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرا حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلثتها لغات
كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا
عنها غافلين اي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للايات ويجوز ان ينصب ذلك
على المصدر بسببهما والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة اي ولقائهم الدار الاخرة او ما وعد
الله في الاخرة حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ

واتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه للميقات من حليهم التي استعاروا من القبط حين هموا
بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي
وقرا حمزة والكسائي بالكسر بالاتباع كدلي ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم او
جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روي ان السامري
لما صاغ العجل القى في فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل
الريح جوفه ويصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم
اياه الها وقرئ جؤار اي صياح الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم
واخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل
كاحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم اي اتخذوه الها
وكانوا ظالمين واضعين الاشياء في غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في
ايديهم كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحير يعض يده غما فيصير يده مسقوطا فيها وقرئ
سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم وراوا وعلموا انهم
قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التورية ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن
من الخاسرين وقراهما حمزة والكسائي بالتاء وربنا بالنصب على النداء ولما رجع موسى الى قومه
غضبان اسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي حيث
عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه وما
نكرة موصوفة تفسر المستكن في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها
من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد انطلاقي او من بعد ما رايتم مني من التوحيد والتنزيه
والحمل عليه والكف عما ينافيه اعجلتم امر ربكم اتركتموه غير تام كانه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته
او عجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد
انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي ان التورية

كانت سبعة أسباع أو سبعة ألواح فلما ألقاها انكسرت فرفع ستة أسباعها وكان فيها تفصيل كل
شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والأحكام وأخذ برأس أخيه بشعر رأسه يجره إليه توهما بأنه قصر في
كفهم وهارون كان أكبر منه بثلاث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل قال ابن
أم ذكر الأم ليرققه عليه وكان من أبيه وأمه وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم يا ابن
أم بالكسر وأصله يا ابن أمي فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف إلى الياء و
الباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله أو تشبيها بخمسة عشر إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني
إزاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا
تشمت بي الأعداء فلا تفعل بي ما يشمتون بي لأجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم
بالمؤاخذة أو نسبة التقصير قال رب اغفر لي ما صنعت بأخي ولأخي إن فرط في كفهم ضم إليه نفسه
في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه وأدخلنا في رحمتك بمزيد الإنعام علينا وأنت أرحم
الراحمين فأنت أرحم بنا منا على أنفسنا إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما
أمرهم به من قتل أنفسهم وذلة في الحياة الدنيا وهي خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك
نجزي المفترين على الله ولا فرية أعظم من فريتهم هذا إلهكم وإله موسى ولعله لم يفتر مثلها أحد قبلهم
ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وآمنوا
واشتغلوا بالإيمان وما هو مقتضاه من الأعمال الصالحة إن ربك من بعدها من بعد التوبة
لغفور رحيم وإن عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بني إسرائيل ولما سكت سكن وقد قرئ به
عن موسى الغضب باعتذار هارون أو بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث إنه جعل
الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت وأسكت على
أن المسكت هو الله أو أخوه أو الذين تابوا أخذ الألواح التي ألقاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها
أي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها أي من الألواح المنكسرة هدى بيان للحق
ورحمة إرشاد إلى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل

بالتأخير أو حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسى
قومه أي من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل إليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة روي
أنه تعالى أمره أن يأتيه في سبعين من بني إسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال
ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال إن لمن قعد أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين
فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه
ثم انكشف الغمام فأقبلوا إليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة أي الصاعقة
أو رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل أن
يرى ما رأى أو بسبب آخر أو عنى به أنك قدرت على إهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على إهلاكهم وبإغراقهم
في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالإنقاذ منها فإن ترحمت عليهم مرة أخرى لم يبعد من عميم إحسانك
أتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل
المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة
قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وأشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا
فكشفها الله عنهم إن هي إلا فتنتك ابتلاؤك حين أسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية أو أوجدت
في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلاله بالتجاوز عن حده أو باتباع المخايل وتهدي
من تشاء هداه فيقوون بها إيمانه أنت ولينا القائم بأمرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا
وأنت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة
وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة إنا هدنا إليك تبنا إليك من هاد يهود إذا رجع وقرئ بالكسر
من هاده يهيده إذا أماله ويحتمل أن يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى أملنا أنفسنا أو أملنا
إليك ويجوز أن يكون المضموم أيضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال
عذابي أصيب به من أشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل
المكلف وغيره فسأكتبها فسأثبتها في الآخرة أو فأكتبها كتبة خاصة منكم يا بني إسرائيل

للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق
عليهم والذين هم باياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي مبتدا خبره
يامرهم او خبر مبتدا تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض والكل والمراد من آمن
منهم بمحمد صلوات الله عليه وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله تعالى ونبيا بالاضافة الى العباد الامي
الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احد معجزاته الذي يجدونه مكتوبا
عندهم في التورية والانجيل اسما وصفة يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما
حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم
والاغلال التي كانت عليهم ويخفف عليهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعين القصاص في
العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه
اي يحبسه من الحراك لثقله فالذين آمنوا به وعزروه وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع
ومنه التعزير ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اي مع نبوته يعني القرآن وانما سماه نورا لانه
بالاعجاز ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا
باتبعوا اي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة
اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى قل يا
ايها الناس اني رسول الله اليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا
الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات والارض
صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب او
مرفوع او مبتدأ خبره لا اله الا هو وهو على الوجه الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان
هو الاله لا غيره يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي
الذي يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته
على ارادة الجنس او القرآن او عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه

ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع
له واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم
يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم موسى يعني بني اسرائيل امة يهدون
بالحق يهدون الناس محقين او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها
الثابتون على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو
عادة القرآن تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل
مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة
المعراج فآمنوا به وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتي عشرة مفعول
ثان لقطع فانه متضمن معنى صير او حال وتانيثه للحمل على الامة او القطعة اسباطا بدل
منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحد من اثنتي عشرة اسباط وكانه قيل اثنتي عشرة
قبيلة وقرئ بكسر الشين وفتحها امما على الاول بدل بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثاني
بدل من اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست
اي فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا
يتوقف عليه الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط مشربهم وظللنا عليهم
الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما
رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة واذ قيل لهم
اسكنوا هذه القرية باضمار اذكر والقرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة
وادخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم
للاكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره ثم او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على
وادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطيئاتكم
سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف

للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر
بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد وقرأ ابو عمرو خطاياكم
فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون
مضى تفسيره فيها واسئلهم عن القرية للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو
من علومهم التي لا تعلم الا بتعليم او وحي ليكون لك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما
وقع باهلها التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور
على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد
يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال
اذ تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدّون واصله يعتدون ويُعِدّون
من الاعداد اي يُعِدّون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم
سبتهم شرعا يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل
اسم اليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم إسباتهم ويوم
لا يسبتون لا تاتيهم وقرئ لا يُسبِتون ولا يُسبَتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في
السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا و
اشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم و
قيل كذلك متصل بما قبله اي لا تاتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء متعلق بيعدون واذ
قالت عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية يعني صلحاءهم الذين اجتهدوا في
موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا شديدا
في الآخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ
ونفعه وكانه تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة
من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال

اي موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا ينسب الى تفريط في النهي عن المنكر وقرأ حفص معذرة
بالنصب على المصدر او العلة اي اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اذ
الياس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا
الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله بعذاب بئيس شديد
فعيل من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرأ ابو بكر بَيْئس على فيعل كضيغم وابن عامر بِئْس بكسر
الباء وسكون الهمزة على انه بئس كحذر كما قرئ فخفف عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد في كبد
ونافع بِيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ
بَيِّس كريِّس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبَيْس على التخفيف كهين وبائس بما كانوا يفسقون
بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم قلنا
لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر
يقتضي ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان تكون الآية الثانية
تقريرا وتفصيلا للاولى روي ان الناهين لما ايسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم
فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان
لهم شأنا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت تاتي انسباءهم
وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ
تاذن ربك اي اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشيء
يؤذن نفسه بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم
يوم القيمة والمعنى واذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالاذلال
وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى
نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا
صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب

عاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها بحيث
لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال منهم الصالحون
صفة او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون ذلك تقديره ومنهم ناس
دون ذلك اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم
والنقم لعلهم يرجعون فينتبهون فيرجعون عما كانوا عليه فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف
بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف
بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التورية من
اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى حطام هذا الشيء الادنى يعني الدنيا
وهو من الدنو او الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة
حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال و
الفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في
لنا اي يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق
الكتاب اي في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا
يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن
ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو
اعتراض والدار الآخرة خير للذين يتقون مما يأخذ هؤلاء افلا يعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا
الادنى الدني المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء
على التلوين والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة عطف على الذين يتقون وقوله افلا
تعقلون اعتراض او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع المضمر
تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها
على سائر انواع التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اي قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب كانه

ظلة سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت
في الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام
التورية لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار
القول اي وقلنا خذوا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه
وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون قبائح الاعمال ورذائل
الاخلاق واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم اي اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون
قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب
ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم اي ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى
الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه
منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة
اي كراهة ان تقولوا انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل او تقولوا عطف على ان تقولوا وقرأ
ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم
فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون
يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم اخرج من ظهره ذرية كالذر
واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضي الله عنه وقد حققت الكلام فيه
في شرحي لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام
بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على
النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون اي عن التقليد واتباع الباطل
واتل عليهم اي على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا هو احد علماء بني اسرائيل او امية بن ابي الصلت
كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله مرسل رسولا في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد
عليه السلام حسده وكفر به او بلعم بن باعوراء من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها

من الآيات بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من
الغاوين فصار من الضالين روي ان قومه سألوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال
كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شئنا لرفعناه الى منازل
الابرار من العلماء بها بسبب تلك الآيات وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا
او الى السفالة واتبع هويه في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الآيات وانما
علق رفعه بمشية الله تعالى ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه
وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقي هو المشية وان
ما نشاهده من الاسباب وسائط معتبرة في حصول المسبب من حيث ان المشية تعلقت به كذلك
وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هويه مبالغة
وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا راس كل خطيئة فمثله فصفته التي هي مثل في الخسة كمثل
الكلب كصفته في اخس احواله وهو ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي يلهث دائما سواء
حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث
ادلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل
واقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى
خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص
القصص المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا يؤدي بهم الى الاتعاظ ساء
مثلا القوم اي مثل القوم على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا باياتنا بعد قيام الحجة عليها
وعلمهم بها وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين
جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله
لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون
تصريح بان الهدى والضلال من الله فان هداية الله تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة

للاهتداء والافراد في الاول والجمع في الثاني لاعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد
لاتحاد طريقتهم بخلاف الضالين والاقتصار في الاخبار عمن هداه الله بالمهتدي تعظيم لشان
الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم
للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها ولقد ذرانا خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس يعني المصرين
على الكفر في علمه تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر في دلائله ولهم اعين
لا يبصرون بها اي لا ينظرون الى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم اذان لا يسمعون بها الآيات و
المواعظ سماع تأمل وتذكر اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع
للتدبر او في ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك
ما يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك
بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة ولله الاسماء
الحسنى لانها دالة على معان هي احسن المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات فادعوه بها
فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين
يسمونه بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا
بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة او ذروهم والحادهم فيها باطلاقها على
الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه
او اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون وقرا حمزة يلحدون بالفتح يقال لحد
والحد اذا مال عن القصد وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعدما بين انه
خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق
عادلين في الامر واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طائفة بهذه الصفة
لقوله عليه السلام لا يزال من امتي طائفة على الحق الى ان ياتي امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول او
غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك

قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة من حيث
لا يعلمون ما نريد بهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا
وانهماكا في الغي حتى تحق عليهم كلمة العذاب واملي لهم وامهلهم عطف على سنستدرجهم ان كيدي متين
ان اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم
يعني محمدا عليه السلام من جنة جنون روي انه عليه السلام علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم
باس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير
مبين موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض
وما خلق الله من شيء مما يقع عليه الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة
صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه وان
عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمها
ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا
الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب فباي حديث بعده
بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كانه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على
الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كانه قيل لعل
اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم
يؤمنوا به فباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير
والتعليل له ويذرهم في طغيانهم بالرفع على الاستيناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء كقوله
ومن يضلل الله وقرأ حمزة والكسائي به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل لا يهدي
احد غيره ويذرهم يعمهون حال من هم يسئلونك عن الساعة اي عن القيمة وهي من الاسماء
الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة
ايان مرساها متى ارساؤها اي اثباتها وارساء الشيء اثباته واقراره ومنه رسا الجبل وارسى

السفينة واشتقاقه من اي لان معناه اي وقت وهو من أويت لان البعض آو الى الكل
قل انما علمها عند ربي استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر
امرها في وقتها الا هو والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتاقيت كاللام
في قوله اقم الصلوة لدلوك الشمس ثقلت في السموات والارض عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين
لهولها وكانه اشارة الى الحكمة في اخفائها لا تاتيكم الا بغتة فجأة على غفلة كما قال عليه السلام ان
الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه و
الرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسئلونك كانك حفي عنها عالم بها فعيل من حفي عن الشيء اذا سال عنه
فان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدي بعن وقيل هي صلة
يسئلونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة
فقل لنا متى الساعة والمعنى يسئلونك عنها كانك حفي تتحفى بهم فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل
معناه كانك حفي بالسؤال عنها تحبه اي تكرهه لانه من الغيب الذي استأثر الله بعلمه قل انما علمها عند الله
كرره لتكرير يسئلونك لما نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان
علمها عند الله لم يؤته احدا من خلقه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار
للعبودية والتبرؤ عن ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له ولو كنت
اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلمه لخالفت حالي ما هي عليه من استكثار
المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء ان انا الا نذير وبشير وما انا الا عبد مرسل للانذار
والبشارة لقوم يؤمنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير
محذوفا هو الذي خلقكم من نفس واحدة هو آدم وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها او
من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا زوجها حواء ليسكن اليها ليأنس بها ويطمئن اليها
اطمينان الشيء الى جزئه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما تغشاها اي جامعها
حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما تلقى منه الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا هو النطفة

فمرت به فاستمرت به وقامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت وفارت من المور
وهو المجيء والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت به فلما اثقلت صارت ذات ثقل بكبر
الولد في بطنها وقرئ على البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا
سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك على هذه النعمة المجددة فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء
فيما آتاهما اي جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق
شيئا وهم يخلقون يعني الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما يدريك
ما في بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرته لآدم فهما منه ثم
عاد اليها وقال اني من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه
عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة فتقبلت فلما ولدت سمياه عبد الحارث وامثال ذلك لا
يليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب لآل قصي من قريش فانهم خلقوا من قصي وكان له
زوج من جنسها عربية قرشية وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف
وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ
نافع وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا فيه غيره او ذوي شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام
جيء به على تسميتهم اياها آلهة ولا يستطيعون لهم نصرا اي لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها
ما يعتريها وان تدعوهم اي المشركين الى الهدى الى الاسلام لا يتبعوكم وقرأ نافع بالتخفيف وقيل
الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الى ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما
يجيبكم الله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة في عدم افادة الدعاء
من حيث انه مسوى بالثبات على الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكانه قيل سواء
عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اي
تعبدونهم وتسمونهم آلهة عباد امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صا

صادقين انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسي قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا
احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض
فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون
بها وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عبادا على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت
مثله ويبطشون بالضم ههنا وفي القصص والدخان قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي
ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكري انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فلا تمهلون فاني
لا ابالي بكم لوثوقي على ولاية الله وحفظه ان وليي الله الذي نزل الكتاب القرآن وهو يتولى
الصالحين اي ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه والذين
تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان
تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظرين اليك
لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه خذ العفو اي خذ ما عفا لك من افعال الناس
وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي هو ضد الجهد او خذ العفو عن المذنبين او
الفضل وما يسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وأمر بالعرف المعروف المستحسن
من الافعال واعرض عن الجاهلين فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم
الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها واما ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس اي وسوسة
تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته
للناس اغراء لهم على المعاصي وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه فاستعذ بالله انه سميع يسمع
استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من آذاك عليم بافعاله فيجازيه
عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومشايعة الشيطان ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من
الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان
تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب طيف على انه

مصدرا وتخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا
ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطاء ومكايد الشيطان فيتحرزون
عنها ولا يتبعونه فيها والآية تاكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم يمدونهم اى واخوان
الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم
من امد ويمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغواء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال
ثم لا يقصرون لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اى لا يكفون عن
الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين
فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تأتهم باية من القرآن او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها
هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرؤه او هلا طلبتها من الله قل انما اتبع ما يوحى الى من
ربي لست بمختلق للايات او لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن بصائر للقلوب
بها تبصر الحق وتدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره واذا قرئ القرآن
فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة
الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء
على استحبابهما خارج الصلوة واحتج به من لا يرى القراءة على المأموم وهو ضعيف واذكر ربك
في نفسك عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما او امر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ
الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعي رضي الله عنه تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر
من القول ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص بالغدو
والآصال باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل في الاصيل
مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله ان الذين عند ربك يعني ملائكة الملأ الاعلى
لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون
به غيره وهو تعريض لمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن

ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة
وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه السلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله تعالى يوم
القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

سورة الانفال مدنية وآيها ست وسبعون

بسم الله الرحمن الرحيم

يسألونك عن الانفال اى الغنائم يعني حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله
وفضل كما سمي به ما يشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه قل الانفال لله و
الرسول اى امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين
في غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله
صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين ثم طلبوا نفلهم
وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون
اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي
بما وعد وهو قول الشافعي وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر قتل اخي عمير
وقتلت سعد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته
منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ
سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
سألتني السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وقرئ يسلونك علنفال بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسألونك الانفال اى يسألك الشبان
ما شرطت لهم فاتقوا الله في الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة
والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم
مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك او ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه

الثلثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما
المؤمنون اي الكاملون في الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما
له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنه خوفا من عقابه
وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة وفرقت اي خافت واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا
لزيادة المؤمن به او لاطمينان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو
قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وعلى
ربهم يتوكلون يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة
ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال
القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي العيار عليها الصلوة
والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم
كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم
اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدا
محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او صفة مصدر
الفعل المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال ثبتت لله وللرسول مع كراهتهم ثباتا مثل
ثبات اخراجك ربك من بيتك يعني المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان
فريقا من المؤمنين لكارهون في موقع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش
اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص
ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين
فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق
الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها
ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة

صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس
وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل
بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة و
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي ذفران فنزل عليه جبرئيل بالوعد باحدى
الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال
حتى نتأهب له انا خرجنا للعير فردد عليهم وقال ان العير مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل
قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله فقام ابو بكر وعمر
فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما
تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيثما
احببت لا نقول لك كما قالت بنوا اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال
اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه
بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا على عدو
دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ وقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد
آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا وهو
اثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت
بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر
عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه
قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله
لكأني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه السلام لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه
العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك

كما وعدك فكرهه بعضهم قوله يجادلونك في الحق في ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه
بعد ما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول عليه السلام كأنما يساقون الى الموت وهم
ينظرون اي يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك
لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان
مجادلتهم كانت لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله احدى الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثاني
مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني
العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم
وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق ان يثبته ويعليه
بكلماته الموحى بها في هذه الحال او باوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين
ويستأصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين
واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل اي فعل ما فعل وليس
بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي
الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك اذ تستغيثون
ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لما علموا ان
لا محيص من القتال اخذوا يقولون اي رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين
وعن عمر انه عليه السلام نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد
يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال
كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما
وعدك فاستجاب لكم اني ممدكم باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر
على ارادة القول او اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف من الملائكة
مردفين متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعضا

بعضا المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين
بفتح الدال اي متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ
مردفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال
فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق
ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا
على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد
روي اخبار تدل عليها وما جعله الله اي الامداد الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر
ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند الله ان
الله عزيز حكيم وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوهما وسائط لا تأثير لها فلا
تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم
لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر
وقرأ نافع بالتخفيف من اغشيته الشيء اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى
وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله وهو مفعول له
باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة
فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي وان يجعل على القراءة الاخيرة فعل
النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم
فكأن حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك
فهو نفار شرود وقرئ امنة كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث
والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لانه من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم
من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم
اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد

غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى تثبت عليه الاقدام وزالت الوسوسة وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم ويثبت به الاقدام اي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة اذ يوحي ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت الى الملائكة اني معكم في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه فثبتوا الذين آمنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كانه قال قولوا لهم قولي هذا فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التي هي المذابح او الرؤوس واضربوا منهم كل بنان اصابع اي جزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب او الامر به والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين قبل بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعادين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل او وعيد بما اعد لهم في الآخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا او عليكم ليكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على ان الكفر هو سبب العذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستئناف يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون وهو مصدر زحف

الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا عن ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الآية ويجوز ان ينتصب زحفا من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكائد الحرب او متحيزا الى فئة او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر انه كان في سرية بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون انا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل لها او الاستثناء من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اي اتيت بصورة الرمي ولكن الله رمى اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ

يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت
بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابي بن خلف
يوم أحد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب
كنانة بن الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرأ حمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع
ما بعده في الموضعين وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة و
مشاهدة الآيات ان الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء
الحسن او القتل او الرمي ومحله الرفع اي المقصود او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن كيد الكافرين
معطوف عليه اي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن
كثير ونافع وابو عمرو موهّن بالتشديد وحفص موهنُ كيدِ بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار
الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر
ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته نعد
لنصره ولن تغني ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء او المضار ولو كثرت فئتكم
وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله
مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر
وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه
نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين
في ايمانهم ويؤيد ذلك يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اي ولا تتولوا
عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة
والتنبيه على ان طاعة الله في طاعة الرسول لقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير
للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق ولا

ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة او المنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا
يسمعون سماعا ينتفعون به فكانهم لا يسمعون راسا ان شر الدواب عند الله شر ما يدب
على الارض او شر البهائم الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدّهم من البهائم ثم
جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا
بالآيات لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به او ارتدوا بعد
التصديق والقبول وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي احي لنا قصيا فانه
كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصي يا ايها الذين امنوا
استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من
الرسول وروي انه عليه السلام مر على ابيّ وهو يصلي فدعاه فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك
من اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل
لان هذا اجابة لا تقطع الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لا
يحتمل التأخير وللمصلي ان يقطع الصلوة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من
العلوم الدينية فانها حيوة القلب والجهل موته قال لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت
وثوبه كفن او مما يورثكم الحيوة الابدية في النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد
فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله بل احياء عند ربهم
واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد لقوله ونحن اقرب اليه من حبل
الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة
الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت او غيره او تصوير
وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته
وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة والقاء
حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه وانه اليه تحشرون واتقوا

فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة
في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل في الجهاد وعلى ان قوله لا تصيبن اما
جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة وفيه ان جواب الشرط متردد فلا
يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم
واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا يدخل المنفي في غير القسم او النهي على ارادة
القول كقوله • حتى اذا جن الظلام واختلط • جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط • واما جواب قسم
محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب
عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه الاول
للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدة التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله
شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ارض مكة يستضعفكم قريش
والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم تخافون
ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم فآواكم
الى المدينة او جعل لكم مأوى تتحصنون به عن اعاديكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة
الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه
النعم يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرائض والسنن او بان تضمروا
خلاف ما تظهرون او بالغلول في الغنائم وروي انه عليه السلام حاصر بني قريظة احدى و
عشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات
واريحاء من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا
لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم
سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله
ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او

او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك
فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من
تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام
يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله
في ضد الامانة لتضمنه اياه وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب
على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او وانتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا
انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع في الاثم والعقاب او محنة من الله ليبلوكم
فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر رضى الله عليهم وراعى
حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا
هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين
واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة عما تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم
ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها
ويغفر لكم بالتجاوز والعفو عنه وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما
تقدم وما تأخر لانها في اهل بدر وقد غفرها الله لهم والله ذو الفضل العظيم تنبيه على ان ما وعده
لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما
على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في
خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق او الحبس
او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد
وليبيتوك من البيات وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك من مكة وذلك انهم
لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فرقوا فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره
فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ فقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم

ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه
غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من
يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل فتخرجوه
من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل
انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق
دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق
هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فاتى جبرئيل النبي عليه السلام واخبره بالخبر وامره بالهجرة فبيت عليا
رضي الله عنه على مضجعه وخرج مع ابي بكر الى الغار ويمكرون ويمكر الله برد الله مكرهم عليهم او بمجازاتهم
عليه او بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا
والله خير الماكرين اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا انما يحسن للمزاوجة ولا
يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء
لقلنا مثل هذا وهو قول النضر بن الحارث واسناده الى الجمع اسناد ما فعله رئيس القوم
اليهم فانه كان قاصهم او قول الذين ائتمروا في امره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط
عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم
بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان
ان هذا الا اساطير الاولين ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا اللهم ان
كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا
ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير
الاولين قال له النبي عليه السلام ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان القرآن
حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم
واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل و

وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي صلى الله عليه
وسلم وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان
الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم
عذاب استئصال والنبي عليه السلام بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد
باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى
لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ومالهم الا يعذبهم
الله ومالهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد
الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاؤ رسول الله والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام
الحديبية وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة
البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك
الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضمير لله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه
كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم
عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلوة او ما يضعون موضعها الا مكاء صفيرا فعال من مكا
يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية تصفيقا تفعلة من الصدا او من الصد على ابدال
احد حرفي التضعيف بالياء وقرئ صلوتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير
استحقاقهم للعذاب وعدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته روي انهم كانوا يطوفون
عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون
ذلك اذا اراد النبي ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب يعني القتل
يوم بدر وقيل عذاب الاخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب بما كنتم تكفرون
اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين

يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي
سفيان استاجر ليوم احد الفين من العرب سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم
اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على
حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها
ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما
يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق
ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير
مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون آخر الامر وان كان
الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اي الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم
الى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن او الفساد من
الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم
مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرا حمزة والكسائي ويعقوب
ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه على بعض حتى
يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين فيجعله في جهنم
كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين هم الخاسرون الكاملون
في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل
لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة الرسول بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم
وقرئ بالتاء والكاف على انه خطابهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله وان يعودوا الى
قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر
فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله و
يضمحل عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه

عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة
الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير فيجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم
دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب وان تولوا ولم
ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه
ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم اي الذي اخذتموه من الكفار قهرا من شيء مما
يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدا خبره محذوف اي فثابت ان لله خمسه وقرئ
فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه
وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين
وابن السبيل فكانه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير
ان سهم الرسول عليه السلام يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل
الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته
وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك الامر فيه مفوض الى راي الامام يصرفه
الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الآية وقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله
الى الكعبة لما روي انه عليه السلام كان ياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة
وقيل سهم الله لبيت المال وقيل مضموم الى سهم الرسول صلى الله عليه وسلم وذوو القربى بنو
هاشم وبنو المطلب لما روي انه عليه السلام قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم
هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا من بني المطلب
اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام انهم لم يفارقوا في جاهلية
ولا في اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغني و
الفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد
باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر

الجزء العاشر

وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام للنصف من شوال على رأس
عشرين شهرا من الهجرة ان كنتم امنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم آمنتم بالله
فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر
به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا محمد
من الايات والملائكة والنصر وقرئ عُبُدنا بضمتين اي الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم
بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار والله على كل شئ
قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم
الفرقان والعدوة بالحركات الثلث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو
قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تأنيث الاقصى
وكان قياسه قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل
كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اي العير او قوادها اسفل منكم في مكان اسفل
من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف
قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها و
توطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين و
التياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت
رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى
وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم
لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من
الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه
الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه
وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت

من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة و
معذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن
وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حي
المشارف للهلاك والحيوة او من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ
ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل وان الله
لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال
الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من
يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به
اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اريكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر
امر القتال وتفرقت اراؤكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل
والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها واذ يريكموهم اذ
التقيتم في اعينكم قليلا الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين
المسلمين حتى قال ابن مسعود لمن الى جنبه أتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم
وتصديقا لرؤيا الرسول ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور وقللهم
في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة
فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم ايات تلك الواقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير
قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار
عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشروط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره
لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثم الالتقاء على الوجه المحكي وههنا اعزاز الاسلام
واهله واذلال الشرك وحزبه والى الله ترجع الامور يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة
حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا

للقائهم واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره
لعلكم تفلحون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا تشغله شيء
عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بان لطفه
لا ينفك عنه في شيء من الاحوال واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم
ببدر او احد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح
مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل
المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا و
اهلكت عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين
خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير بطرا فخرا واشرا ورئاء الناس
ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول ابي سفين ان ارجعوا
فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا
القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم
النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل تقوى و
اخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر بضده ويصدون عن سبيل الله معطوف على بطرا
ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر والله بما يعملون
محيط فيجازيكم عليه واذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر اعمالهم في معاداة الرسول وغيرها
وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى انه القى في روعهم
وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه
فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر احدى الفئتين وافضل الدينين ولكم
خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت
الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه

مجيرهم سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم
وخاف عليهم وايس من حالهم لما رأى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش
على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة
سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة
تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة
فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم
الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا
علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اخافه ان يصيبني
بمكروه من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ رأى فيه ما لم ير قبله
والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه
وان يكون مستأنفا اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا الى
الايمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير
الوصفين غر هؤلاء يعنون المؤمنين دينهم حتى تعرضوا لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة
وبضعة عشر الى زهاء الف ومن يتوكل على الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا يذل من
استجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ولو ترى ولو
رأيت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة واذ ظرف ترى
والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة
ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره يضربون وجوههم
والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول منهم او من الملائكة
او منهما لاشتماله على الضميرين وادبارهم ظهورهم واستاههم ولعل المراد تعميم الضرب اي يضربون
ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون باضمار القول اي يقولون

ذو قوابت ارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت
النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله ذلك العذاب بما قدمت ايديكم
بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك وان الله ليس بظلام للعبيد عطف عليه
للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان
لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض
نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد كداب آل فرعون اي داب هؤلاء
مثل داب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي دأبوا فيه اي داموا عليه والذين من
قبلهم من قبل آل فرعون كفروا بايات الله تفسير لدابهم فاخذهم الله بذنوبهم كما اخذ
هؤلاء ان الله قوي شديد العقاب لا يغلبه في دفعه شيء ذلك اشارة الى ما حل بهم بان
الله بسبب ان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم مبدلا اياها بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم
يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوأ كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض
الآيات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعي في اراقة دمائهم والتكذيب
بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوا بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم
عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته تعالى على تغييره حتى يغيروا حالهم و
اصل لم يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف
اللينة تخفيفا وان الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون كداب آل فرعون والذين من
قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون تكرير للتاكيد ولما نيط به
من الدلالة على كفران النعم بقوله بايات ربهم وبيان ما اخذ به آل فرعون وقيل
الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني للتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بانفسهم
وكل من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر و
المعاصي ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون لما

فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف
والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله الذين عاهدت منهم
ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان او التخصيص
وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين
بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالئوهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف
الى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة
وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته او لا يتقون الله فيه او نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم
فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم ففرق عن مناصبتك و
نكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على
اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه
اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء لعلهم يذكرون لعل المشردين يتعظون
واما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح
اليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون
خيانة منك او على سواء في الخوف او العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ
على الوجه الاول اي ثابتا على طريق سوي او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله
ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال
على طريقة الاستيناف ولا تحسبن خطاب للنبي وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرأ
ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او الذين كفروا
والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية
كالموصول فلا يحذف او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر
وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين والاظهر انه تعليل للنهي اي لا تحسبنهم

سبقوا اى فلتوا الانهم لا يفوتون الله او لا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان
كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستيناف ولعل الاية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد
وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من قتل المشركين واعدوا ايها المؤمنون
لهم لناقضى العهد او للكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به فى الحرب وعن عقبة
بن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمى قالها ثلثا ولعله عليه السلام
خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله فعال بمعنى مفعول
او مصدر سمى به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل
وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل
وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب ترهّبون بالتشديد والضمير
لما استطعتم او للاعداد عدو الله وعدوكم يعنى كفار مكة وآخرين من دونهم من غيرهم من
الكفرة قيل هم اليهود وقيل هم المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم
باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا
تظلمون بتضييع العمل او نقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد تعدى باللام
والى للسلم للصلح والاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر فاجنح لها فعاهد معهم وتأنيث الضمير
لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم تأخذ منها ما رضيت به • والحرب تكفيك من انفاسها
جرع • وقرئ فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله
يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والاية مخصوصة باهل
الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك
فان حسبك الله فان محسبك الله وكافيك قال جرير • انى وجدت من المكارم حسبكم
ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا • هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين
قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة فى ادنى شئ والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد

يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته عليه السلام وبيانه لو انفقت
ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اى تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق فى اصلاح
ذات بينهم ما فى الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح ولكن الله الف
بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة لا
يعصى عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف ينبغى ان يفعل ما يريده وقيل الاية فى الاوس و
الخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فانسهم الله ذلك
والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا يا ايها النبى حسبك الله كافيك
ومن اتبعك من المؤمنين اما فى محل النصب على المفعول معه كقوله فحسبك والضحاك سيف
مهند • او الجر عطفا على المكنى عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اى كفاك الله
والمؤمنون والاية نزلت بالبيداء فى غزوة بدر وقيل اسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم
ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت ولذلك قال ابن عباس نزلت فى اسلامه
يا ايها النبى حرض المؤمنين على القتال بالغ فى حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض
حتى يشفى على الموت وقرئ حرص من الحرص ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين
وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط فى معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة
والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتأييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن
بالتاء فى الآيتين ووافقهم البصريان فى وان تكن منكم مائة بانهم قوم لا يفقهون بسبب
انهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالى الدرجات
قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان الآن خفف الله عنكم وعلم ان
فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن
الله لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة
الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد

بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن
وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم
وهو قراءة الباقين والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان لنبي وقرئ
للنبي على العهد ان يكون له اسرى وقرأ البصريان بالتاء حتى يثخن في الارض يكثر القتل ويبالغ
فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله
الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله
يريد الآخرة يريد لكم ثواب الآخرة او سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ
بجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا والله عزيز
يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء
حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة
للمؤمنين روي انه عليه السلام اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي
طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم
فدية تقوى بها اصحابك فقال عمر اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن
الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من
اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر
مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل
نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل
عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد
بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى
من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على ان الانبياء يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن

ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو ان لا
يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية
التي اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم من الفداء عذاب عظيم روي انه عليه السلام قال
لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان فكلوا
مما غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت
والفاء للتسبيب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث
من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر
اي اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها
على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله في مخالفته ان الله غفور غفر لكم
ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى وقرأ ابو
عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم
من الفداء روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله ان يفدي نفسه وابني
اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا
ما بقيت فقال فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها
لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله
والفضل وقثم فقال وما يدريك قال اخبرني به ربي تعالى قال فاشهد انك صادق
وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في
سواد الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان
ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل
مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا
يعني الاسرى خيانتك نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه

المأخوذ بالعقد من قبل فأمكن منهم أي فأمكنك منهم كما فعل يوم بدر فإن أعادوا
الخيانة فيمكنك منهم والله عليم حكيم إن الذين آمنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا
أوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا بأموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وأنفقوها على
المحاويج وأنفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين آووا ونصروا هم الأنصار
آووا المهاجرين أي ديارهم ونصروهم على أعدائهم أولئك بعضهم أولياء بعض في الميراث
وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الأقارب حتى نسخ
بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض أو بالنصرة والمظاهرة والذين آمنوا ولم يهاجروا
ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا أي من توليهم في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم
بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والإمارة كأنه بتوليه صاحبه يزاول عملا
وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين إلا على قوم
بينكم وبينهم ميثاق عهد فإنه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين
كفروا بعضهم أولياء بعض في الميراث أو الموازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث
والموازرة بينهم وبين المسلمين إلا تفعلوه إن لا تفعلوا ما أمرتم به من التواصل
بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن
فتنة في الأرض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الإيمان وظهور الكفر وفساد
كبير في الدين وقرئ كثير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين
آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلاثة أقسام بين أن الكاملين
في الإيمان منهم هم الذين حققوا إيمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال
ونصرة الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة
فيه ثم ألحق بهم في الأمرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين آمنوا من بعد
وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم أي من جملتكم أيها المهاجرون والأنصار وأولوا

وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في التوارث من الأجانب في كتاب الله في
حكمه أو اللوح أو القرآن واستدل به على توريث ذوي الأرحام إن الله بكل شيء عليم
من المواريث والحكمة في إناطتها بنسبة الإسلام والمظاهرة أولا واعتبار القرابة ثانيا
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة
وشاهد أنه بريء من النفاق وأعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان
العرش وحملته يستغفرون له أيام حيوته

سورة براءة مدنية وقيل إلا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول

وهي آخر ما نزلت ولها أسماء أخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمنقرة والمثيرة
والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمرة وسورة العذاب لما فيها
من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهي التبرؤ منه والبحث عن حال
المنافقين وإثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم
عليهم وآيها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون وإنما تركت التسمية فيها لأنها نزلت
لرفع الأمان وبسم الله أمان وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزلت عليه
سورة أو آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة
الأنفال وتناسبها لأن في الأنفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت إليها وقيل
لما اختلفت الصحابة في أنهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال أو سورتان تركت
بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله براءة من الله ورسوله أي هذه براءة ومن ابتدائية
متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز أن يكون براءة مبتدأ لتخصصها
بصفتها والخبر إلى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى
أن الله ورسوله بريئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وإنما علقت البراءة بالله و
برسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على أنه يجب عليهم نبذ عهود المشركين إليهم وإن كانت

صادرة باذن الله واتفاق الرسول فانهما برئا منها وذلك انهم عاهدوا مشركي
العرب فنكثوا الا ناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين و
امهال المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال فسيحوا في الارض اربعة اشهر
شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من
ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما
روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا راكب العضباء ليقرأها
على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر اميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر
فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء
ناقة رسول الله فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم
عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم
فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد
هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم
الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم فانه عليه السلام بعث
لان يؤدي عنه كثيرا لم يكونوا من عشيرته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى
العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ
هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي الكافرين
بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة واذان من الله ورسوله الى الناس اي اعلام
فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد
لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عليه السلام وقف
يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه
السلام الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما

ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون
والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين
ان الله اي بان الله برئ من المشركين اي من عهودهم ورسوله عطف على المستكن في
برئ او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب
عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت
البراءة وهذا اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين
فان تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوب خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن
الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر
الذين كفروا بعذاب اليم في الآخرة الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين
او استدراك وكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا
منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد ولم ينكثوه او لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم
يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى
الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى
فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر
الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا
مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعدها
ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واسروهم
والاخيذ الاسير واحصروهم واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل
مرصد كل ممر لئلا يتبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان
واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا
لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلوة ومانع الزكوة لا يخلى سبيله

ان الله غفور رحيم تعليل للامر اى فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما سلف ووعد لهم الثواب
بالتوبة وان احد من المشركين المامور التعرض لهم استجارك استامنك وطلب
منك جوارك فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر
ثم ابلغه مامنه موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان
من عوامل الفعل ذلك الامن او الامر بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم
اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند
رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم
او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين
او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال
من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون
قبل ومحله النصب على الاستثناء او الجر على البدل والرفع على ان الاستثناء منقطع
اى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اى فتربصوا امرهم
فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا
مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد
ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله • وخبرتماني
انما الموت بالقرى • فكيف وهاتا هضبة وقليب • اى فكيف مات وان يظهروا عليكم
اى وحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا وقيل قرابة قال حسان •
لعمرك ان الك من قريش • كال السقب من رال النعام • وقيل ربوبية ولعله
اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه
ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل
اشتقاقه من ال الشيء اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى

الاله لانه قرئ ايلا كجبرائيل وجبرئيل ولا ذمة عهدا او حقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم
استيناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز
جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم
المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة
بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتابى قلوبهم ما يتفوهون به افواههم واكثرهم
فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة
من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة السوء اشتروا بايات الله استبدلوا
بالقران ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله
دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراهم
اداهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا او ما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن
الا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في المناقضين وهذا خاص بالذين
اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون في
الشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم فهم اخوانكم في
الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الايات لقوم يعلمون اعتراض للحث على تامل ما
فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم
وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب
وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اى فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة
على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد
بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم
وقرا عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على
الاصل والتصريح بالياء لحن انهم لا ايمان لهم اى لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا

ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به
الحنفية على ان يمين الكافر ليست يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها
ليست بايمان لقوله وان نكثوا ايمانهم وقرأ ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان او لا اسلام
وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار
عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اي ليكن
غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين الا
تقاتلون قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت المبالغة
في الفعل نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول والمؤمنين على ان يعاونوا عليهم فعاونوا
بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا في امره بدار الندوة على ما
ذكره في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه
من المدينة وهم بدؤكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه السلام بدأهم بالدعوة و
الزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان
تعارضوهم وتصادموهم اتخشونهم اتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم فالله احق ان
تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان ان لا تخشى
الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعيد عليه يعذبهم الله بايديكم
ويخزهم وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف
صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا
فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان
الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والاية من المعجزات
ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا
وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب

تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل
ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل
للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد نفي المعلوم
للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف
على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم
ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك متوقع
والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله
ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد
الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه
قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك و
تكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين
عمارة بيت الله وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة
الرحم واغلظ له علي رضي الله عنه في القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا
انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم
التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد
الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة اي انما تستقيم عمارتها لهؤلاء
الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج
وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن
النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها
فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر

الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام
الصلوة واتى الزكوة ولم يخش الا الله اى في ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير
جبلية لا يكاد العاقل يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة
التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع
بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك
باضدادهم ومنعا ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد
الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدر اسقى
وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن امن
او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من امن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج
وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة
ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدى القوم
الظالمين اى الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول منهمكون في الضلالة فكيف
يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين
يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات
او من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله
دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات نعيم مقيم دائم وقرأ
حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف خالدين
فيها ابدا اكد الخلود بالتأبيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم
يستحقر دونه ما استوجبوه لاجلها ونعم الدنيا يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم و
اخوانكم اولياء نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا اباءنا و

المؤمنين نسخة

وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة
التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم
عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان ان اختاروه وحرضوا عليه ومن يتولهم منكم
فاولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير محلها قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم
وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم مأخوذ من العشرة وقيل من العشرة فان العشيرة جماعة
ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ ابو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم واموال اقترفتموها
اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها احب اليكم
من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب الاختياري دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت
التكليف التحفظ عنه فتربصوا حتى يأتي الله بامره جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او
اجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدى القوم الفاسقين لا يرشدهم وفي الاية تشديد عظيم
وقل من يتخلص عنه لقد نصركم الله في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقعها ويوم
حنين وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر وايام مواطن او يفسر الموطن بالوقت
كمقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه ان يعطف على موضع في مواطن فانه
لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن
وحنين واد بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا
اثنى عشر الفا العشرة الذين حضروا فتح مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف
وكانوا اربعة الاف فلما التقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم او ابو بكر او غيره من المسلمين لن
نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم
على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه
الا عمه العباس اخذا بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة
على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب

الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا
مع المشركين فقال عليه السلام هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا
ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم اي الكثرة شيئا من الاغناء او من امر العدو وضاقت عليكم
الارض بما رحبت برحبها اي بسعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا
تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين والادبار الذهاب الى
خلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى
المؤمنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حالهما وقيل هم الذين
ثبتوا مع الرسول ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة الاف
او ثمانية او ستة عشر على اختلاف الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي
وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك
على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان
ناسا منهم جاؤوا الى رسول الله واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد
سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من
الابل والغنم ما لا يحصى فقال اختاروا اما سبايكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب
شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان هؤلاء جاؤوا مسلمين وانا خيرناهم
بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت
نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه
مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا
الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه
يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات
فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس

ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد واكثر ما
جاء تابعا لرجس فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع
عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو
حنيفة وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون
بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وان خفتم
عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق
فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل
السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد
والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية
او حال ان شاء قيده بالمشيئة لتنقطع الآمال الى الله ولينبه على انه متفضل في ذلك
فان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض في عام دون عام ان الله عليم باحوالكم حكيم فيما
يعطي ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر اي لا يؤمنون بهما على ما
ينبغي كما بيناه في اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت
تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل
دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي هو ناسخ سائر الاديان
ومبطلها من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم
ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير اي عن يد مواتية
بمعنى منقادين او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من
التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا يؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين
اذلاء او عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد
الى يد وهم صاغرون اذلاء وعن ابن عباس يؤخذ الجزية من الذمي وتوجأ عنقه

ومفهوم الآية يقتضي تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضي الله عنه لم يكن ياخذ
الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف انه عليه السلام اخذها من مجوس هجر
وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين واما
سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة تؤخذ منهم الا من مشركي العرب لما
روى الزهري انه عليه السلام صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك
تؤخذ من كل كافر الا المرتد واقلها في كل سنة دينار سواء فيه الغني والفقير وقال ابو
حنيفة على الغني ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها
ولا شيء على فقير غير كسوب وقالت اليهود عزير ابن الله انما قاله بعضهم من متقدميهم او ممن
كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ التورية
وهو لما احياه الله تعالى بعد مائة عام املى عليهم التورية حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ما
هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا
مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي ويعقوب عزير بالتنوين على انه عربي مخبر عنه
بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء
الساكنين تشبيها للنون او لان الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا
وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر وقالت النصارى المسيح ابن الله
هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله
من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها ذلك قولهم بافواههم اما تاكيد
لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل
للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان يضاهون قول الذين
كفروا اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
من قبل اي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا

الملائكة بنات الله او اليهود على ان الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمزة
لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهيأ على فعيل للتي شابهت الرجال في
انها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة
قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من
دون الله بان اطاعوهم في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم او بالسجود لهم والمسيح ابن مريم بان
جعلوه ابنا له وما امروا اي وما امر المتخذون او المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان
الاول الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا وهو الله تعالى واما طاعة الرسول وسائر من امر
الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله لا اله الا هو صفة ثانية او استئناف مقرر للتوحيد
سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون ان يطفئوا ان يخمدوا نور
الله حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد عليه السلام بافواههم
بشركهم او تكذيبهم ويأبى الله لا يرضى الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام
وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد عليه السلام بالتكذيب بحال من يطلب
اطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ و
الفعل موجب لانه في معنى النفي ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه هو
الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كالبيان لقوله ويأبى الله الا
ان يتم نوره ولذلك كرر ولو كره المشركون غير انه وضع المشركون موضع الكافرون
للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول
واللام في الدين للجنس اي على سائر الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين
آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ياخذونها
بالرشى في الاحكام سمي اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه ويصدون عن سبيل الله
دينه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز ان يراد به الكثير

قوله تع هو الذي ارسل رسوله الآية قيل جعل الله الوسائط طرقا للعباد بعثهم اعلاما للهدى على الطرق ونودا ليهتدى بهم عن سبل الحق وحقيقة الذين قال الله تع ارسل رسوله بالهدى ودين الحق حقائق

من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن بها وان
يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين
من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله عليه السلام
ما ادي زكوته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما
امر الله ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم
يؤد حقها لقوله عليه السلام فيما اورده الشيخان مرويا عن ابي هريرة ما من صاحب ذهب ولا
فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه
وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم هو الكي بها يوم يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار
ذات حمي شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند
الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى صيغة التذكير
وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله عنه
اربعة الاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز
او الاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها
لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم
لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية
او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة
فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات
الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنبتاه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها
وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه
وقرئ تكنزون بضم النون ان عدة الشهور اي مبلغ عددها عند الله معمول عدة لانها

لانها مصدر اثنا عشر شهرا في كتاب الله في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثني
عشر وقوله يوم خلق السموات والارض متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان
جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله الاجرام والازمنة
منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك
الدين القيم اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابرهيم واسمعيل عليهما السلام
والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور
على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم
وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في
الحرم والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي انه عليه السلام حاصر الطائف
وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة
جميعا وهي مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال
واعلموا ان الله مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقويهم انما النسيء اي
تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا
مكانه شهرا اخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع انما النسي
بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنسء والنساء وثلثتها
مصادر نسأه اذا اخره زيادة في الكفر لانه تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه فهو كفر اخر
ضموه الى كفرهم يضل به الذين كفروا اضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائي وحفص يضل
على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفعل لله يحلونه عاما يحلون النسي من
الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا اخر ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته قيل
اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي
ان الهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادي في القابل ان الهتكم قد حرمت عليكم

المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا
عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله
بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء
للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدي
القوم الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم
انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل وااثاقلتم على
الاستفهام للتوبيخ الى الارض متعلق به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالى و
كان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وقحط مع
بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الآخرة بدل الآخرة
ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع بها في الآخرة في جنب الآخرة الا قليل مستحقر
الا تنفروا ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك بسبب فظيع
كقحط وظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين مطيعين كاهل اليمن
وابناء فارس ولا تضروه شيئا اذ لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيئا فانه الغني عن
كل شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه فان الله وعد له
بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على كل شيء قدير فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب
والنصرة بلا مدد كما قال الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره الله
كما نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء
واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصر حتى نصره
في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه
او قتله تسبب لاذن الله له بالخروج وقرئ ثاني اثنين بالسكون على لغة من
يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه على الحال اذ هما في الغار

في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب في اعلى ثور
وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني
لصاحبه وهو ابو بكر لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان المشركين طلعوا
فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما
فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله
حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه فانزل الله سكينته امنته التي
تسكن عندها القلوب عليه على النبي او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده
بجنود لم تروها يعني الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر
والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا
السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام
والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله عليه وسلم عن ايدي الكفار الى المدينة
فانه المبدأ له او بتأييده اياه بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث
حضر وقرأ يعقوب وكلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من
الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار و
لذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا خفافا لنشاطكم له وثقالا
عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح
او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله اعلي ان انفر قال نعم حتى
نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما
او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير لكم او ان كنتم تعلمون انه
خير اذ اخبار الله به صدق فبادروا اليه لو كان عرضا قريبا اي لو كان ما دعوا اليه
نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن

بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه في الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاي شيء اذنت لهم في القعود حين استأذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه للفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا فان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا ان يستأذنوك في التخلف عنه او ان يستأذنوك في التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما يستأذنك في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر في الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له للخروج عدة اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وعده بكسر العين باضافة وبغيرها ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره

انبعاثهم اي نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا فسادا وشرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار اعم العام الذي وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ولاوضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب او الهزيمة من وضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع المخالفة الخلاف فيما بينكم والرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم بالظالمين فيعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق اصحابك من قبل يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء في ابطال امرك حتى جاء الحق النصر والتأييد الالهي وظهر امر الله علا دينه وهم كارهون اي على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة اي العصيان والمخالفة بان لا تأذن لي وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف اذن له او لم يأذن او في الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او الفتنة بنات الروم لما روي ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات

اصغ ولكني اعينك بمالي فاتركني الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها
وهي فتنة التخلف او ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة
لهم يوم القيمة او الآن لاحاطة اسبابها بهم ان تصبك في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة
تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد
يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا آراءهم في التخلف ويتولوا عن
متحدثهم بذلك ومجتمعهم له او عن الرسول وهم فرحون مسرورون قل لن يصيبنا الا ما
كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة او ما كتب لاجلنا في
اللوح لا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيّبنا وهو من فيعل لا من
فعّل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب
لانه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصوب هو مولينا ناصرنا ومتولي امرنا وعلى الله
فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا يتكلوا على غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون بنا الا
احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة
ونحن نتربص بكم ايضا احدى السوئيين ان يصيبكم الله بعذاب من عنده بقارعة من السماء
او بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم
قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم امر في معنى الخبر اي لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا
او كرها وفائدته المبالغة في تساوي الانفاقين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا
فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس واعينك بمالي ونفي التقبل
يحتمل امرين ان لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل
الاستيناف وما بعده بيان وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله
وبرسوله اي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان
تأنيث النفقات غير حقيقي وقرئ نقبل على ان الفعل لله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى

متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بها ثوابا ولا يخافون على
تركها عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما
يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما
يرون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين
بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة
ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون
يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجأ حصنا
يلجؤن اليه او مغارات غيرانا او مدخلا نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا
من دخل وقرئ مُدخلا اي مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا ومندخلا من
تدخل واندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء كالفرس
الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرأ يعقوب يلمزك بالضم
وابن كثير يلامزك في الصدقات في قسمها فان اعطوا منها رضوا ~~رضوا وان لم يعطوا منها~~
رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال الا
ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن
ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين
فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك
ان لم اعدل فمن يعدل واذا للمفاجاة نائب مناب الفاء الجزائية ولو انهم رضوا ما
آتاهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول من الغنيمة او الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه
على ان ما فعله الرسول كان بامره وقالوا حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله
صدقة او غنيمة اخرى ورسوله فيؤتينا اكثر مما آتانا انا الى الله راغبون في ان يغنينا من
فضله والآية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم

ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول فقال انما الصدقات للفقراء
والمساكين اى الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز
لمزهم فى قسم الزكوات دون الغنائم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته
من الفقار كانه اصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه من السكون كان
العجز اسكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين وانه عليه السلام سأل المسكنة
وتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين فى
تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستألف قلوبهم او اشراف
يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة
بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف
يستألفون على ان يسلموا فانه عليه السلام كان يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس
الخمس الذى كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشىء منها على قتال الكفار
ومانعى الزكوة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله وكثر اهله
سقط وفى الرقاب وللصرف فى فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشىء منها على اداء
النجوم وقيل بان يبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد او بان يفدى الاسارى
والعدول عن اللام الى فى للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم
احق بها والغارمين المديونين لانفسهم فى غير معصية اذا لم يكن لهم وفاء او لاصلاح
ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله عليه السلام لا تحل الصدقة لغنى الا لخمسة لغاز فى
سبيل الله او لغارم او رجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين
فاهدى المسكين للغنى او لعامل عليها وفى سبيل الله وللصرف فى الجهاد بالانفاق على
المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفى بناء القناطر والمصانع وابن السبيل
المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الآية اى فرض لهم الصدقات

الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن فى للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة
والله عليم حكيم يضع الاشياء فى مواضعها وظاهر الآية يقتضى تخصيص استحقاق الزكوة
بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية
للاشتراك واليه ذهب الشافعى وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة
والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلثة واختاره بعض اصحابنا
وبه كان يفتى شيخى ووالدى على ان الآية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا ايجاب
قسمها عليهم ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه
سمى بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمى الجاسوس
عينا لذلك او اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل روى انهم قالوا
ان محمدا اذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق
لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذى ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر
ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم
لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان
الامان ورحمة اى وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف
سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة
ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن خير اى يأذن
لكم رحمة وقرأ نافع اذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان خير صفة له او خبر ثان
والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما
قالوا او تخلفوا ليرضوكم لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله احق ان يرضوه
احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين او لان الكلام
فى ايذاء الرسول وارضائه او لان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك

ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا انه ان الشان وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله يشاقق مفاعلة من الحد فان له نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر اي فحق ان له او على تكرير ان للتاكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر ذلك الخزي العظيم يعني الهلاك الدائم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المؤمنين سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان يكون الضمائر للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم ايضا في كفرهم وانهم لم يكونوا على بت في امر الرسول بشيء وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزءوا ان الله مخرج مبرز او مظهر ما تحذرون اي ما تحذرونه من انزال السورة فيكم او ما تحذرون اظهاره من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي ان ركب المنافقين مروا على رسول الله في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاخبر الله به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولا تعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب قد كفرتم قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرا عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون والمنافقات

بعضهم من بعض اي متشابهة في النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد وقيل انه تكذيبهم في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يامرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسوق من دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله ابعدهم من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد به ما وعده او ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيد لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وخضتم ودخلتم في الباطل كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين واولئك هم الخاسرون الذين خسروا في الدنيا والاخرة الم ياتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابرهيم اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت بهم فصارت عاليها

سافلها وأمطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن
انقلاب احوالهن من الخير الى الشر أتتهم رسلهم يعني الكل بالبينات فما كان الله ليظلمهم
اي لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء
بعض في مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله
في سائر الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة فان السين مؤكدة للوقوع ان
الله عزيز غالب على كل شيء لا يمتنع عليه ما يريد حكيم يضع الاشياء مواضعها وعد
الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن
طيبة تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللؤلؤ
والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن اقامة وخلود وعنه عليه السلام عدن
دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون
والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى
تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه فكأنه وصفه اولا
بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التي يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما تقرع اسماعهم
ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا تخلو عن شيء
منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة و
ثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال
ورضوان من الله اكبر لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول
والفوز باللقاء وعنه عليه السلام ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون
وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من

من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط
عليكم ابدا ذلك اي الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذي يستحقر دونه
الدنيا وما فيها يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالزام الحجة واقامة
الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم ومأواهم جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون
بالله ما قالوا روي انه عليه السلام اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن و
يعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن
شر من الحمير فبلغ رسول الله عليه السلام فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب
الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد
اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا من فتك الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا
عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل
فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك
اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله
فهربوا او اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابي
وان لم يرض رسول الله عليه السلام وما نقموا اي وما انكروا او ما وجدوا ما يورث نقمتهم
الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك
من العيش فلما قدمهم رسول الله اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول
الله عليه السلام بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل
او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك
للتوب وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة
بالقتل والنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من
عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة

بن حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة
قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني مالا
لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة
فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله عليه السلام فقيل كثر ماله حتى
لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس
بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال
ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رايي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة
فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب يحثو على راسه فقال هذا عملك قد امرتك
فلم تطعني فقبض رسول الله عليه السلام فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها ثم جاء
الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن عثمان فلما آتاهم من فضله
بخلوا به منعوا حق الله عنه وتولوا عن طاعة الله تعالى وهم معرضون وهم قوم عادتهم
الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي جعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء
اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم
الى يوم يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون عمله اي جزاءه وهو يوم القيمة بما اخلفوا
الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون
وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال
مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد الم يعلموا اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ
بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم ما اسروه في انفسهم من النفاق او العزم على
الاخلاف ونجويهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكوة جزية
وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع او منصوب او جر بدل
من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين من المؤمنين

في الصدقات روي انه عليه السلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف
باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي
اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت
فبارك الله له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم و
تصدق عاصم بن عدي بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت
ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد
الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه
احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم
وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه فيسخرون منهم يستهزؤن بهم سخر الله
منهم جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم على كفرهم استغفر لهم
او لا تستغفر لهم يريد به التساوي بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه
بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روي ان عبد الله بن ابي وكان
من المخلصين سال رسول الله في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عليه
السلام لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر
الله لهم وذلك لانه عليه السلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل له
فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون
التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير
لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد باسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله
اشارة الى ان اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا
ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصادق عنها والله لا يهدي

القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة
الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه
لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول في استغفاره وهو عدم يأسه عن
ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم كقوله ما كان
للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم
انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو وخلفه يقال اقام
خلاف الحي اي بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة او الحال
وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثارا للدعة والخفض على
طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل
الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر اي قال بعضهم لبعض او قالوا للمؤمنين تثبيطا
قل نار جهنم اشد حرا وقد آثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون ان مآبهم اليها او انها
كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء
بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤول اليه حالهم في الدنيا والآخرة اخرج على صيغة الامر
للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين عن
السرور والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك الله الى طائفة منهم فان ردك
الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او
من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا فاستاذنوك للخروج الى غزوة اخرى
بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي
للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان
الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع
الخالفين اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع ا

الخلفين على قصر الخالفين ولا تصل على احد منهم مات ابدا روي ان ابن ابي دعا رسول
الله في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي
عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه
ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلوة عليه لان الضنة بالقميص
كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافاة لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من
الصلوة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على
قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكانه لم يحي
ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره للدفن او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم
فاسقون تعليل للنهي او لتأبيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان
يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتاكيد والامر حقيق به
فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان تكونا
هذه في فريق غير الاول واذا انزلت سورة من القرآن ويجوز ان يراد بعضها ان
امنوا بالله بان امنوا بالله ويجوز ان تكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استاذنك
اولوا الطول منهم ذووا الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا
لعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه و
طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف
عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان
تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين
النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة وقيل الحور لقوله فيهن خيرات
حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله
لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات

الاخروية وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسدا وغطفان استاذنوا
في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان
غزونا معك اغارت طيء على اهالينا ومواشينا والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر
فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء في الذال
ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم
يقرأ بهما وقرأ يعقوب المعذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذّرون بتشديد
العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد
اختلف في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله
ورسوله في غيرهم وهم منافقو الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا
هم الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين
فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل ليس على الضعفاء ولا على المرضى
كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة
حرج اثم في التأخر اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل
الموالي الناصح او بما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما
على المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع
المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك
والله غفور رحيم لهم او للمسيء فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على
الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤون سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر
بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل
وعلية بن زيد اتوا رسول الله عليه السلام وقالوا انذرتنا الخروج فاحملنا على الخفاف
المرقوعة والنعال المخصوفة نغزوا معك فقال لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم

بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما
احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا واعينهم تفيض تسيل
من الدمع اي دمعها فان من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز
وهو ابلغ من تفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا
نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اي لئلا يجدوا
متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون في مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستاذنونك
وهم اغنياء واجدون الاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف استيناف لبيان ما هو
السبب لاستيذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف
ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته
يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير
الكاذبة لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم لانه قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا بالوحي
الى نبيه بعض اخباركم وهو ما في ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله
اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم
الغيب والشهادة اي اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم
وعلنهم لا يفوت عن علمه شيء من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ و
العقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم
فلا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التانيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة
وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة ومأواهم جهنم
من تمام التعليل وكانه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في
الدنيا والآخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم
جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا

عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن
القوم الفاسقين اى فان رضاكم لا يستلزم رضاء الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم
اذا كانوا فى سخط الله وبصدد عقابه او ان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا
على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهى عن الرضاء
عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الاعراب اهل البدو
اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم
وقلة استماعهم لاهل الكتاب والسنة واجدر الا يعلموا واحق بان يعلموا حدود ما
انزل الله على رسوله من الشرايع فرايضها وسننها والله عليم يعلم حال كل احد من
اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من
يتخذ يعد ما ينفق يصرفه فى سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه
عند الله ولا يرجوا ثوابه عليه وانما ينفق رياء او تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان
ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء
عليهم بنحو ما يتربصون او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة فى الاصل
المصدر او اسم فاعل من دار يدور وسمى بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف
اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرأ ابن كثير وابو عمرو السوء هنا وفى الفتح
بضم السين والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن الاعراب من
يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات عند الله وهى
ثانى مفعولى يتخذ وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته
لانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر ولذلك سن للمتصدق ان
يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلى عليه كما قال عليه السلام اللهم
صل على آل ابى اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة من

من الله لهم بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستيناف مع حرف التنبيه وان
المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ ورش بضم الراء سيدخلهم الله فى رحمته وعد لهم باحاطة
الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره قيل الاولى فى اسد وغطفان
وبنى تميم والثانية فى عبد الله ذى البجادين وقومه والسابقون الاولون من المهاجرين
هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار
اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين
آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون
والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين من القبلتين او من اتبعوهم
بالايمان والطاعة الى يوم القيمة رضى الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا
عنه بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار وقرأ ابن كثير
من تحتها كما هو فى ساير المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم
اى ومن حول بلدتكم يعنى المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم
واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف
صفته مردوا على النفاق ونظيره فى حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله انا
ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر
او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم فى النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم
فيه وتنوقهم فى تحامى مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق
فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا
علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك
الابدان ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار وآخرون اعترفوا بذنوبهم ولم
يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سوارى

المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله عليه السلام فدخل المسجد على عادته فصلى
ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم
ان لا احلهم حتى أومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا خلطوا العمل الصالح
الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ وهو التخلف وموافقة اهل النفاق
والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد
منهما مخلوط بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله
اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم
صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق
بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب او حب
المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ تُطهِرهم من أطهره بمعنى طهّره وتطهرهم بالجزم
جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم
واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلوتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم
وتطمئن قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد
والله سميع باعترافهم عليم بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن
في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التحضيض عليها ان الله
هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات
يقبلها قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله وان الله هو التواب الرحيم وان من شأنه
قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى
عليه خيرا كان او شرا ورسوله والمؤمنون فانه لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم وستردون
الى عالم الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وآخرون من
المتخلفين مرجون مؤخرون اي موقوف امرهم من ارجأته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة

والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لامر الله في شأنهم اما يعذبهم ان اصروا
على النفاق واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين
بارادة الله تعالى والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب
بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا
يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله تعالى فرحمهم الله تعالى
والذين اتخذوا مسجدا عطف على قوله وآخرون مرجون او مبتدأ خبره محذوف اي
وفيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو
ضرارا مضارة للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا
على قصد ان يؤمهم ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول
الله عليه السلام فقالوا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية
فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم
ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم
اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه
وتفريقا بين المؤمنين يريد الذين كانوا يجتمعون في مسجد قباء وارصادا وترقبا لمن
حارب الله ورسوله من قبل يعني الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد
لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزم مع
هوازن وهرب الى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله عليه السلام ومات
بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام
من قبل متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء
بالتخلف لما روي انه بني قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله عليه السلام ان يأتيه فقال

انا على جناح سفر فاذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزل وليحلفن
ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنايته الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة
والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلوة
لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قباء اسسه رسول الله عليه السلام فصلى فيه ايام مقامه
بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله عليه السلام لقول ابي سعيد
رضي الله عنه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول
يوم من ايام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين من
حجج ومن دهر احق ان تقوم فيه اولى بان تصلي فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا
من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها
والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى
رسول الله عليه السلام والمهاجرون معه حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس
فقال امؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر رضي الله عنه انهم مؤمنون وانا معهم فقال
عليه السلام اترضون بالقضاء قالوا نعم فقال تصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون
في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار
ان الله تعالى قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله
نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا
افمن اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان على قاعدة محكمة هي
التقوى من الله تعالى وطلب مرضاته بالطاعة ام من اسس بنيانه على شفا جرف
هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فانهار به في نار جهنم فادى به لخوره
وقلة استمساكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي
الهائر في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم

رشح بانهياره به في النار ووضع في مقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس
ذلك على امر يحفظه عن النار ويوصله الى رضوان الله تعالى ومقتضياته التي الجنة
ادناها وتاسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان
مصيرهم الى النار لا محالة وقرأ نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول وقرئ
اساس بنيانه واس بنيانه على الاضافة واسس واساس واساس وثلثها
جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لا للتانيث كتترى وقرأ ابن
عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين الى ما فيه صلاحهم و
نجاتهم لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وليس
بجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم اي شكا و
نفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك
ثم لما هدمه الرسول رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول رسمه عن قلوبهم
الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو في
غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطع ما هو كائن
بالقتل او في القبر او في النار وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرأ يعقوب الى حرف
الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهي قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء
وتقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على
البناء للفاعل والمفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنيانهم ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله تعالى اياهم الجنة على
بذل انفسهم واموالهم في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استيناف
ببيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرأ حمزة والكسائي بتقديم
المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا توجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى

الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه البشرى فانه في معنى الوعد في التورية
والانجيل والقران مذكورا فيهما كما اثبت في القران ومن اوفى بعهده من الله
مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به
غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال وذلك هو الفوز العظيم التائبون
رفع على المدح اي هم التائبون والمراد به المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ
خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله
الحسنى او خبره ما بعده اي التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال
وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله
مخلصين له الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون
لقوله عليه السلام سياحة امتي الصوم شبه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات او لانه
رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون
للجهاد او لطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان
والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على
انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله
والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على ان ما
قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع
من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف
عليه ولذلك تسمى واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك
الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك
وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم
بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا

يستغفروا للمشركين روي انه عليه السلام قال لابي طالب لما حضره الوفاة قل
كلمة احاج لك بها عند الله فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت
وقيل لما فتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت
ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي وانزل
علي الايتين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر
وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع
النقض باستغفار ابرهيم لابيه الكافر وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة
وعدها اياه وعدها ابرهيم اباه بقوله لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق
للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرا اباه او وعدها ابرهيم ابوه وهي
الوعد بالايمان فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحي فيه بانه لا يؤمن
تبرأ منه قطع استغفاره ان ابرهيم لاواه لكثير التاوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة
قلبه حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه وما
كان الله ليضل قوما اي ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم بعد اذ هديهم حتى
يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم حظر ما يجب اتقاؤه وكانه بيان عذر الرسول
في قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا الى
الامر الاول في القبلة والخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف
ان الله بكل شيء عليم فيعلم امرهم في الحالين ان الله له ملك السموات والارض يحيي
ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان
كانوا اولي قربى وتضمن ذلك وجوب التبرء عنهم راسا بين لهم ان الله مالك كل موجود
ومتولي امره والغالب عليه ولا يتاتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا اليه ويتبرؤا
عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي

والمهاجرين والانصار من اذن المنافقين في التخلف او برأهم عن علقة الذنوب
كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من
احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبي والمهاجرون والانصار لقوله وتوبوا الى الله جميعا
اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقي اليه توبة من تلك النقيصة
واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده الذين اتبعوه في ساعة
العسرة في وقتها وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة
على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا
الفظ من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او اتباع الرسول
وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه الضمير في منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ
بالياء لان تانيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني
المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه يتاب عليهم من اجل ما كابدوا من
العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلثة وتاب
على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو
او خلف امرهم فانهم المرجون حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها لاعراض
الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط
الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس ولا سرور وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من الله من
سخطه الا اليه الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل قبول
توبتهم ليعدوا من جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا
على توبتهم ان الله هو التواب لمن دعا تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة الرحيم متفضل
عليه بالنعم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين في
ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين او في توبتهم

وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم
من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله نهي عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة ولا يرغبوا
بانفسهم عن نفسه ولا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده
من الاهوال روي ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكان له امرأة حسناء فرشت له
في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل
ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا
بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله طرفه الى الطريق
فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله عليه السلام
واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من
النهي عن التخلف او وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ من العطش ولا نصب
تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا ولا يدوسون مكانا يغيظ
الكفار يغيظهم وطؤه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم
به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر
المحسنين على احسانهم وهو تعليل للكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما في حق
الكفار فلانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق المؤمنين
فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة
ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل
منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم
اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله به ذلك احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم او احسن
جزاء اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو
وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من

كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا
في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم
وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر
لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون
غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون
ارادة ان يحذروا قومهم عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الاحاد حجة
لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه
لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد
اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتابي المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر
وهو انه لما نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه
فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع
التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون
الضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا
للطوائف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم
يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب كما امر رسول الله
عليه السلام اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم
يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم يسكنون الشام وهو
قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها
وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة
فمنهم فمن المنافقين من يقول انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم
بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل

الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون
بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين في قلوبهم مرض كفر
فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم
ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون يعني المنافقين وقرئ بالتاء انهم يفتنون يبتلون
باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله عليه السلام فيعاينون ما يظهر عليه من الايات
في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون
ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها و
سخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يريكم من احد اي يقولون هل يريكم احد ان قمتم من
حضرة الرسول فان لم يرهم احد قاموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله
قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء
فهمهم او عدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ
من انفسكم اي اشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص
عليكم اي على ايمانكم وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم قدم الابلغ
منهما وهو الرؤوف لان الرافة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا عن
الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل
عليه عليه توكلت فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم
او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن
ابي رضي الله عنه ان اخر ما نزل هاتان الآيتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن
علي الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي
ومعهما سبعون الف صف من الملائكة

سورة يونس مكية
وهي مائة وتسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

الر فخمها ابن كثير ونافع وامالها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة من
الياء تلك آيات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القرآن من الآي
والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم آياته
لم ينسخ شيء منها اكان للناس عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا
وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجب واللام
للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم الى رجل منهم من افناء
رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى
الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة
وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عليه السلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه
الا في المال وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء عليهم السلام
قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام ان
انذر الناس ان هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فتكون في موضع مفعول اوحينا وبشر
الذين آمنوا عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة
اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة
رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى
الصدق لتحققها والتنبيه على انهم بعنوان الكتاب وما جاء به الرسول عليه السلام انما ينالونها
بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا لسحر مبين وقرأ الكوفيون وابن كثير
لساحر على ان الاشارة الى الرسول وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا
خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله الذي
خلق السموات والارض التي هي اصول الممكنات في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر

يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريكه اسبابها
وينزلها منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجيء محمودة العاقبة ما من شفيع الا من بعد
اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات
الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية
والربوبية ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد في شيء من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة
افلا تذكرون تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه
اليه مرجعكم جميعا بالموت او النشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه
لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله تعالى حقا مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله
انه يبدأ الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط
اي بعدله او بعدلهم وقيامهم على العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك
ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا
يكفرون فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم
لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم العذاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابداء
والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق
بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم
وشؤم افعالهم والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء
والاعادة مجازاة المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ
انه يبدأ بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب
حقا هو الذي جعل الشمس ضياء اي ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط
وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وقرأ ابن كثير برواية قنبل هنا وفي الانبياء
والقصص ضئاء بهمزتين على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا اي ذا نور وسمي نورا

للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد
نبه سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساء
منها وقدره منازل الضمير لكل واحد اى قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره
ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع
به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين اى حساب الاوقات من الاشهر والايام
في معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة
البالغة نفصل الايات لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير
والبصريان وحفص يفصل بالياء ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في
السموات والارض من انواع الكائنات لايات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته
لقوم يتقون العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه
لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحيوة الدنيا من الاخرة
لغفلتهم عنها واطمأنوا بها وسكنوا اليها مقتصرين هممهم على لذائذها وزخارفها او سكنوا
فيها سكون من لا يزعج عنها والذين هم عن اياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم
فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين
الذهول عن الايات رأسا والانهماك في الشهوات بحيث لا تخطر الاخرة ببالهم اصلا
واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرد الا الحيوة الدنيا وبالاخرين
من الهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل والاعداد له اولئك مأويهم النار بما كانوا
يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدي الى الجنة او لادراك الحقائق
كما قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم او لما يريدونه في الجنة ومفهوم
الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن منطوق قوله با

بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف له تجري
من تحتهم الانهار استيناف او خبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير
وقوله في جنات النعيم خبر او حال اخر منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي
دعويهم فيها اى دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم ما يحيي بعضهم بعضا
او تحية الملائكة اياهم فيها سلام واخر دعويهم اخر دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اى
يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه
ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الافات والفوز باصناف
الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هي المخففة من الثقيلة
وقد قرئ بها وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه اليهم استعجالهم
بالخير وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير حتى كان استعجالهم
به تعجيل لهم وبان المراد شر استعجلوه كقوله فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير
الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير
فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرأ ابن
عامر ويعقوب لقضى للبناء على الفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا فنذر الذين لا
يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على فعل محذوف دلت الشرطية كانه
قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا واذا مس الانسان
الضر دعانا لازالته مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه او مضطجعا او قاعدا او قائما وفائدة
الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره مضى على
طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه كان لم يدعنا كانه لم يدعنا
فخفف وحذف ضمير الشان كما قال • ونحر مشرق اللون • كان ثدياه حقان • الى
ضر مسه الى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون

من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا
اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم
رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا
وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه
بانهم يموتون على كفرهم واللام لتاكيد النفي كذلك مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب
تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي
كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم
خلائف في الارض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبر
لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون
فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء
جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى.
واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت
بقران غير هذا بكتاب اخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب
بعد الموت او ما نكرهه من معائب الهتنا او بدله بان تجعل مكان الاية المشتملة على ذلك
اية اخرى ولعلهم سالوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه قل ما يكون لي ما يصح لي ان ابدله
من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل
لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقران اخر ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لما
يكون فان المتبع لغيره في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض
الايات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القران كلامه واختراعه
ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال اني اخاف ان عصيت
ربي اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح

قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادريكم به ولا اعلمكم به على لساني وقرا
ابن كثير ولادريكم بلام التاكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولاعلمكم به على لسان
غيري والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيري وقرئ ولا
ادراتكم ولا ادرأكم بالهمزة فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او
على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال والمعنى
ان الامر بمشية الله لا بمشيتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت
فيكم عمرا مقدار عمر اربعين سنة من قبله من قبل القران لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة
الى ان القران معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم
يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت
فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول
والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث الاخرين على ما هي عليه علم انه من
الله افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا انه ليس الا من الله
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا تفادى مما اضافوه اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم
على الله في قولهم انه لذو شريك وذو ولد او كذب باياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر على نفع وضر و
المعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته لجلب نفع او دفع ضر ويقولون
هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا او في الاخرة
ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة
الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما
يشفع لهم عنده قل اتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع
وتهكم بهم او بهؤلاء شفعاؤنا عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما

في السموات ولا في الارض حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على ان ما
يعبدون من دون الله اما سماوي او ارضي ولا شيء من الموجودات فيهما الا وهو
حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم
او عن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الموضعين في
اول النحل والروم بالتاء وما كان الناس الا امة واحدة موجودين على الفطرة
او متفقين على الحق وذلك في عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل او
بعد الطوفان او على الضلالة في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل
او ببعثة الرسل فتبعهم طائفة واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير الحكم بينهم
او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا
فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه
اي من الايات التي اقترحوها فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال
الايات المقترحة من مفاسد تصرف عن انزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه اني
معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لجحودكم ما نزل علي من الايات العظام واقتراحكم
غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر
في اياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى
كادوا يهلكون ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا يقدحون في ايات الله ويكيدون رسوله
قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل
عليها كلمة المفاجاة الواقع جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله اما
الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه
على ان ما دبروا في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله وعن يعقوب
يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم في البر والبحر يحملكم على السير ويمكنكم منه وقرأ

ابن عامر بالنون والشين من النشر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين
بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة مبالغة كانه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم
وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير
للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب و
جاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا وسدت عليهم
مسالك الخلاص كمن احاط بهم العدو دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك
لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل الاشتمال
لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة
القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون في
الارض فاجاؤا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز
عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق
يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء جنسكم متاع
الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى
انفسكم صلته او خبر محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم و
نصبه حفص على انه مصدر مؤكد اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى
الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذور او
ضلال او مفعول فعل دل عليه البغي وعلى انفسكم خبر ثم الينا مرجعكم في القيمة فننبئكم بما
كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب
نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات
الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما يأكل الناس والانعام من الزروع
والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت تزينت باصناف النبات

واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها
وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير
اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم
قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها ما يجتاحه
ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن
زرعها اي لم ينبت والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل
بالامس فيما قبيله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة
النبات فجاءة وذهابه حطاما بعد ما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه
اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب
كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به والله يدعو الى دار السلام دار
السلامة من التقضي والافة او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا للتنبيه على ذلك
او دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء بالتوفيق
الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة
وتخصيص الهداية بالمشية دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد
الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة تفضلا
لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة
ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة
هو اللقاء ولا يرهق وجوههم ولا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى
لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك
اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال منها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا
وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على

على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو او الذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة على تقدير
وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي ان تجازى سيئة بسيئة مثلها لا
يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هو الفضل او التضعيف او كانما اغشيت اولئك
اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف اي فجزاء سيئة بمثلها
واقع او مثلها على زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم من
الله من عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين
كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من
الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل
في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرأ ابن كثير والكسائي ويعقوب
قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الاية في الكفار لاشتمال السيئات على الكفر
ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم
جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما
يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب
على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم في الدنيا وقال
شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا
في الحقيقة اهواءهم لانها الامرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم
بذلك مكان الشفاعة التي توقعوا منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين
فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلوا كل نفس ما اسلفت تختبر
ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائي تتلو من التلاوة اي تقرأ ذكر ما قدمت

او من التلو اى تتبع عمله فتقوده الى الجنة او الى النار وقرئ نبلوا بالنون ونصب كل وابدال
ما منه والمعنى نختبرها اى نفعل بها فعل المختبر حالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف
ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد به نصيب بالبلاء اى العذاب كل نفس عاصية بسبب
ما اسلفت من الشر فتكون ما منصوبة بنزع الخافض وردوا الى الله الى جزائه اياهم
بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولى امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب
على المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان الهتهم تشفع لهم او ما
كانوا يدعون انها الهة قل من يرزقكم من السماء والارض اى منهما جميعا فان الارزاق
تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحدة منهما توسعة عليكم وقيل من
لبيان من على حذف المضاف اى من اهل السماء والارض ام من يملك السمع والابصار
ام من يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الافات مع كثرتها وسرعة انفعالها من
ادنى شئ ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يحيي ويميت او من ينشئ
الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص
فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه فقل افلا تتقون انفسكم
عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه في شئ من ذلك فذلكم الله ربكم الحق اى المتولى لهذه الامور
المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذي انشأكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا
بعد الحق الا الضلال استفهام انكار اى ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله
وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اى كما حقت الربوبية
لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة الله وحكمه وقرأ نافع وابن
عامر كلمات هنا وفي اخر السورة وفي غافر على الذين فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد
الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من
شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء في الالزام بها لظهور برهانها وان لم

وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول بان ينوب عنهم في الجواب فقال قل الله يبدأ
الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل
قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر
والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى
غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما اسند الى الله
قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى ام
الذي لا يهتدي من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله
وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع
وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل
يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يهدي
بكسر الياء باتباع الياء الهاء وقرأ ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين
لان المدغم في حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ الا ان يهدى للمبالغة
فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدون الا ظنا مستندا
الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق
بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى
بالتقليد الصرف ان الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من
الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم
في الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد على
اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله
افتراء من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه مطابقا لما تقدمه من الكتب الالهية
المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها

ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره ولكن انزله الله تصديق الذي
وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت من
العقائد والشرائع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز
ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استينافا من رب العالمين خبر
آخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او تفصيل ولا ريب فيه اعتراض
او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه ومساق الاية بعد المنع
عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه ام يقولون بل ايقولون افتراه محمد
ومعنى الهمزة فيه للانكار قل فاتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه
الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم
ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله فانه وحده قادر
على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه
بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا اياته ويحيطوا بالعلم بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا
به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم ولما ياتهم تاويله ولم يقفوا بعد على
تاويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه او ولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين
لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤوا تكذيبه
قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالاخرة اعجازه
لما كرر عليهم التحدي فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع
ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين
من قبلهم انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من
قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من
سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما

من يؤمن به

فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او بالمصرين وان
كذبوك وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ منهم فقد اعذرت
والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما
تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية
سبيلهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون اليك اذا قرأت القرآن
وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم تقدر على
اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع
الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا توصف به البهائم وهو لا يتاتى الا باستعمال العقل
السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مؤفة بمعارضة الوهم ومتابعة الالف والتقليد
تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم
من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك ويعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون
افانت تهدي العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون وان انضم الى عدم البصر عدم
البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة
ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والاية كالتعليل بالتبري
والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم
يظلمون بافسادها وتفويت منافعها عليها وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب
الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيمة من
العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه وقرأ حمزة والكسائي
بالتخفيف ورفع الناس ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون من
لبثهم في الدنيا او القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موقع الحال اي يحشرهم مشبهين
بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله او لمصدر

محذوف اي حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا
الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهو حال اخرى
مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم نحشرهم
قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله للشهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا
من الضمير في يتعارفون على ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا
من المعاون في تحصيل المعارف فاكتسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب
الدايم واما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في حيوتك كما اراه يوم بدر
او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الاخرة وهو جواب نتوفينك و
جواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجازٍ عليه ذكر الشهادة
واراد نتيجتها ومقتضاها وهو العقاب كانه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون ولذلك
رتبها على الرجوع بثم او مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة ولكل امة من الامم
الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي
بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبون وهم لا
يظلمون وقيل معناه ولكل امة يوم القيمة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف
ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المومن وعقاب الكافر لقوله وجيء بالنبيين
والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استبعادا له واستهزاء به ان كنتم صادقين
خطاب منهم للنبي والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل
في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه او ولكن ما شاء الله من ذلك كائن
لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
لا يتاخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل ارايتم ان اتيكم
عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب

بطلب معايشكم ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه
لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بارايتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير
للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط
محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاءه ويجوز ان يكون الجواب ماذا
كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بارايتم او بقوله اثم اذا ما وقع
امنتم به بمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل
اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التاخير آلآن على ارادة القول اي
قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الآن امنتم به وعن نافع الان بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين
ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المولم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم
تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو احق ما تقول من
الوعد او ادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب لما قدم مكة
والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ
آلحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر
مقدم والجملة في موقع النصب بيستنبئونك قل اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن
او ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقران واي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم
ولذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي وحده وما انتم
بمعجزين بفائتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير ما في
الارض من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم
افتداه بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم
يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها

لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشي لخالصه من حيث انها تخفى ويضن بها
وقيل اظهروها من قولهم اسر الشي واشره اذا اظهره وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون
ليس بتكرير لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على
الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير يتناولهم لدلالة الظلم عليهم
الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله
حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعلمون
لقصور عقولهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى
لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة لهما ابدا
واليه ترجعون بالموت والنشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في
الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اى قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة
عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن القبايح والحكمة
النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق
واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الآيات
وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم
قل بفضل الله وبرحمته بانزال القران والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا
فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا فبذلك
وفائدة ذلك التكرير التاكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة
بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اى فبمجيئها فليفرحوا
والفاء الاولى بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشي فبهما ليفرحوا او للربط بما قبلها
والدلالة على ان مجي الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتاكيد
كقوله فاذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض

وقد روى مرفوعا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها الى الزوال قريب وهو
ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون بالتاء على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير
مما تجمعون ايها المخاطبون قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه
مقدر في السماء محصل باسباب منها وما في موضع النصب بانزل او بارايتم فانه بمعنى
اخبروني ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه
حراما وحلالا مثل هذه انعام وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا
ومحرم على ازواجنا قل آلله اذن لكم في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ام على الله
تفترون في نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون المنفصلة متصلة بارايتم وقل مكرر للتاكيد
وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله
وما ظن الذين يفترون على الله الكذب اى شي ظنهم يوم القيمة ايحسبون ان لا يجازوا
عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام
الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال
الرسل وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون في شان ولا
تكون في امر واصله الهمز من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلوا
منه له لان تلاوة القران معظم شان الرسول او لان القراءة تكون لشان فيكون التقدير
من اجله ومفعول تتلوا من قران على ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي او للقران
واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه
بمن هو راسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير
الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون
وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائي بكسر الزاء من مثقال
ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اى في الوجود والامكان فان

العامة لا تتوقف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام
في حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في
كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة
ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر
لامتناع الصرف او على محله مع الجار وجعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ
الا ان اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه
ولا هم يحزنون بفوات مأمول والآية مجملة فسره بقوله الذين آمنوا وكانوا يتقون وقيل
الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم لهم البشرى في الحيوة الدنيا وهو ما بشر به
المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه وما يريهم في الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات
وبشرى الملائكة عند النزاع وفي الآخرة تلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز و
الكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين آمنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف الاولياء
او على الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده
ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض
لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك
قولهم اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ان العزة
لله جميعا استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا
تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم هو السميع لاقوالهم
العليم بعزماتهم فيكافيهم عليها الا ان لله من في السموات ومن في الارض من الملائكة والثقلين
واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها
احق من ان لا يكون له ندا او شريكا فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون
الله شركاء اي شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء

شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اي ما
يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة
بيتبع او موصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى اي شيء يتبع الذين
تدعونهم شركاء والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا
تتبعونهم فيه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد
برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم وان هم الا يخرصون
يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا
هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته
المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا
فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون
سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فانه لا
يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزهه فان اتخاذ
الولد مسبب عن الحاجة له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم ما
عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم و
تحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم
في هذا سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم فيه
ودليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد لا بد لها من قاطع وان
التقليد فيها غير سائغ قل ان الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد واضافة
الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدأ
محذوف اي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر او حيوتهم او تقلبهم
متاع او مبتدأ خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء

المؤيد ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبأ نوح
خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي نفسي
كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة او قيامي على الدعوة
وتذكيري اياكم بايات الله فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم
اي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير
مؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اي وامر شركائكم وقيل
انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا
من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعي في اهلاكه على اي وجه
يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم غمة مستورا واجعلوه ظاهرا
مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم عن ثقل
مقامي وتذكيري ثم اقضوا الي ادوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي وقرئ ثم افضوا
بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون
ولا تمهلوني فان توليتم اعرضتم عن تذكيري فما سألتكم من اجر يوجب توليكم لثقله عليكم
واتهامكم اياي لاجله او يفوتني لتوليكم ان اجري ما ثوابي على الدعوة والتذكير الا على الله
لا تعلق له بكم يثيبني به امنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا
اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم
ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه في
الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين به واغرقنا الذين كذبوا
باياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن
كذب الرسول وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول
الى قومه فجاؤهم بالبينات بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام

استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله تعالى اياهم بما كذبوا به من
قبل بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين
بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المالوف وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال
واقعة بقدرة الله وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء
الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه باياتنا بالايات التسع فاستكبروا عن اتباعها
وكانوا قوما مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا على ردها
فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة للشك قالوا من
فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح فيما بين اخوانه قال
موسى اتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف محكي القول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون
اسحر هذا لانهم بتوا القول بل هو استيناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه
للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم فلان
يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغني عن المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام
كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان
العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل اسحر هذا محكيا كانهم قالوا اجئتنا
بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل
اخوان عما وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض
الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبرياء والتكبر على الناس باستتباعهم وما نحن
لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي
بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا
قال موسى ما جئتم به السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو
آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه او خبر مبتدأ

محذوف تقديره اهو السحر او مبتدأ خبره محذوف اى السحر هو ويجوز ان ينصب ما
بفعل يفسره ما بعده وتقديره اى شئ اتيتم ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله
لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له
ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما
آمن لموسى في مبدا امره الا ذرية من قومه الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل دعاهم
فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة
من شبانهم آمنوا به او مؤمن من آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته
على خوف من فرعون وملائهم اى مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمع على ما هو المعتاد في
ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم
ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف
من الملأ كان بسببه وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين
في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء وقال موسى لما راى تخوف
المؤمنين به يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين
مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق
بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط
ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين
مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اى
لا تسلطهم علينا فيفتنوننا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشؤم مشاهدتهم
وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته
واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا اى اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا تسكنون فيها
او ترجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد

مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي اليها واقيموا الصلوة فيها امروا
بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين
بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد
مما يتعاطاه رؤوس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة مما ينبغي
ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى
ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوهما واموالا
في الحيوة الدنيا وانواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر
بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة
وهي متعلقة بآتيت ويحتمل ان يكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت
على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا للضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا
للاول على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم
اهلكها والطمس المحق وقرئ اطمس بالضم واشدد على قلوبهم اى واقسها واطبع عليها حتى
لا تنشرح للايمان فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب او دعاء بلفظ النهي او
عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون
لانه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان
ما طلبتما كائن ولكن في وقته وقد روي انه مكث بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان
سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق والاطمينان بوعد
الله وقرأ ابن عامر برواية ذكوان ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء
الساكنين ولا تتبعان بتخفيف التاء من تبع وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اى جوزناهم
في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوّزنا وهو من فعّل المرادف لفاعل
كضعّف وضاعف فاتبعهم وادركهم يقال تبعته واتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا

باغين وعادين او للبغي والعداوة وقرئ وعُدُوّاً حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال آمنت
انه اي بانه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين وقرأ حمزة والكسائي
انه بالكسر على اضمار القول او الاستيناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان اوان
القبول وبالغ فيه حين لا يقبل آلآن اتؤمن الآن وقد آيست من نفسك ولم يبق لك
اختيار وقد عصيت قبل قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين
المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك
طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنوا اسرائيل وقرأ يعقوب ننجيك من
انجى وقرئ ننحيك بالحاء اي نلقيك بناحية الساحل ببدنك في موضع الحال اي
ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكان
له درع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه
او بدرعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة
وهم بنوا اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى
عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطرحا على ممرهم من الساحل اولمن يأتي
بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا على الطغيان او حجة يدلهم
على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن
مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اي لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده اياك
بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك و
ذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور وان كثيرا
من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ولقد بوأنا بني اسرائيل
مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا هو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من
اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قرؤا التورية

وعلموا احكامها او في امر محمد عليه السلام الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته
ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل بالانجاء
والاهلاك فان كنت في شك مما انزلنا اليك من القصص على سبيل الفرض والتقدير
فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القيناه
اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق
لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول وزيادة
تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه السلام لا اشك ولا اسأل وقيل الخطاب
للنبي والمراد به امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما نزلنا على
لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها
بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا لا مرية فيه بالآيات القاطعة فلا
تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين
كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع
منه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك
بانهم يموتون على الكفر ويخلدون في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض
قضاؤه ولو جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا العذاب
الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية من
القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها
ايمانها بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس
لما آمنوا اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة
الدنيا ويجوز ان يكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التخصيص معناه فيكون الاستثناء
متصلا لان المراد من القرى اهاليها كانه قال ما آمن من اهل قرية من القرى العاصية

ولو جاءتهم كل آية

فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ومتعناهم الى حين الى
آجالهم روى ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل واصروا عليه
فوعدهم بالعذاب الى ثلث وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد اغامت السماء غيما اسود
ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا وطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا
صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم و
فرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا
التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء
يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين
على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية في انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وان
من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشية الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره
الناس بما لم يشأ الله منهم حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على المشية بالفاء و
ايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشية
مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روى انه كان
حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس
ان تؤمن بالله الا باذن الله الا بارادته والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها
فانه الى الله ويجعل الرجس العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاي وقرأ ابو بكر
نجعل بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا
يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا انكروا
ماذا في السموات والارض من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا
ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغني الايات والنذر عن قوم
لا يؤمنون في علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب فهل ينتظرون الا

مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقايعهم ونزول باس الله بهم اذ لا يستحقون
غيره من قولهم ايام العرب لوقايعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك
او فانتظروا هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا والذين امنوا عطف
على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا
ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننج المؤمنين كذلك الانجاء
او انجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه
بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم
في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله
الذي يتوفيكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا
فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد
خالقكم الذي يوجدكم ويتوفيكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من
المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون
من المطرد مع ان وان وان يكون من غيره كقولك امرتك الخير فافعل ما امرت به
وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا
فرق بينهما في الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه
وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة في
الدين والاستداد فيه باداء الفرائض والانتهاء عن القبائح او في الصلوة باستقبال
القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من
دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت فان
دعوته فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء
وان يمسسك الله بضر وان يصيبك به فلا كاشف له يرفعه الا هو الا الله وان

يردك بخير فلا راد لفضله الذي اراد ك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس
مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا
بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير
لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده يصيب به بالخير من يشاء من
عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية قل
يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله او القرآن ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان
والمتابعة فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها
لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير
ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم
الله بالنصرة او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطاء في حكمه لاطلاعه على
السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

سورة هود مكية وهي مائة وثلث وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب مبتدأ وخبر او كتاب خبر مبتدأ محذوف احكمت اياته نظمت نظما محكما لا يعتريه
اختلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ فان المراد ايات السورة
وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم
اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوائد
من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او
فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل
واحكمت اياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم او للتراخي في الاخبار من

لدن حكيم خبير صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت وهو
تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي الا تعبدوا الا
الله لان لا تعبدوا او قيل ان مفسرة لان في تفصيل الايات معنى القول ويجوز
ان يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد او الامر بالتبري عن عبادة الغير كانه قيل
ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها تركا انني لكم منه من الله نذير وبشير
بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد وان استغفروا ربكم عطف على الا تعبدوا
ثم توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لا بد له من رجوع
وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما
بين الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في امن ودعة الى اجل مسمى هو اخر اعماركم
المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستيصال والارزاق والاجال وان كانت متعلقة
بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط
كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا او الاخرة وهو وعد للموحد التائب بخير
الدارين وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيامة وقيل
يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تُوَلّوا من ولي الى الله
مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس وهو على كل شيء قدير فيقدر على
تعذيبهم اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق و
ينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم او يولون ظهورهم
وقرئ يثنوني بالياء والتاء من اثنوني وهو بناء المبالغة وتثنون واصله تثنونن
من الثن وهو الكلاء الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني
وتثنئن من اثنان كابياض بالهمزة ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا يطلع رسوله
والمؤمنين عليه قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا و

واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين
وفيه نظر اذ الاية مكية والنفاق حدث بالمدينة الا حين يستغشون ثيابهم الا حين
يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بافواههم
يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور
بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله و
حملا على التوكل فيه ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها في الحيوة والممات او الاصلاب
والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد و
المقار حين كانت بعد بالقوة كل كل واحد من الدواب واحوالها في كتاب مبين
مذكور في اللوح المحفوظ وكانه اريد بالاية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها
بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف
او ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل دون
السفليات وكان عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا انه كان موضوعا على
متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من
اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن
عملا متعلق بخلق اي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف
تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج اليه اعمالكم ودلائل
وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه
من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل
والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احاسن

اكمل صح

احاسن المحاسن والتحضيض على الترقي دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد
بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ايكم احسن عقلا و
اورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم
مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اي ما البعث
او القول به او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة والبطلان وقرأ حمزة
والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمين قلت
معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى علّ اي ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم
ولا تبتوا بانكاره لعدّوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره ولئن اخرنا عنهم
العذاب الموعود الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء
ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم يأتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب
مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها
عليها وحاق بهم واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في
التهديد ما كانوا به يستهزءون اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزءون
موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ولئن
اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة منه انه ليؤس قطوع
رجاؤه من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته به كفور مبالغ في كفران ما سلف له من
النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف
الفعلين نكتة لا تخفى ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح
بطر بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ
الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجده الانسان في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج
لما يجده في الاخرة وانه يقع في الكفران والبطر بادنى شيء لان الذوق ادراك الطعم

والمس مبدأ الوصول الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه
وعملوا الصالحات شكرا لآلائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير
اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد
الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك
بعض ما يوحى اليك تترك تبليغ ما يوحى اليك وهو ما يخالف رأي المشركين مخافة
ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون
ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ ههنا وضائق به
صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدر بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا لولا انزل
عليه كنز ينفقه في الاستتباع كالملوك او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير في به مبهم
يفسره ان يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحي اليك ردوا او اقترحوا
فما بالك يضيق به صدرك والله على كل شيء وكيل فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل
بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ام يقولون افتراه ام منقطعة والهاء لما يوحى قل فأتوا بعشر
سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر
عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات مختلقات من عند
انفسكم ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما اقدر
عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم وادعوا
من استطعتم من دون الله الى المعاونة على المعارضة ان كنتم صادقين انه
مفترى فان لم يستجيبوا لكم باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول او
لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول متناولا لهم من حيث انه
يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل وللتنبيه على ان التحدي مما يوجب رسوخ
ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله

ملتبس بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله
العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت
صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من بأس الله آلهتهم فهل انتم
مسلمون ثابتون على الاسلام راسخون فيه مخلصون اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا
ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي فان لم
يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة
فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق
فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب
بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من كان
يريد الحيوة الدنيا وزينتها باحسانه وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء
اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف
بالياء اي يوف الله وتوف على البناء للمفعول ونوفي بالتخفيف والرفع لان الشرط
ماض كقوله وان اتاه كريم يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم وهم فيها لا يبخسون
لا ينقصون شيئا من اجورهم والاية في اهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في
الكفرة وبرهم اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار مطلقا في مقابلة ما عملوا
لانهم استوفوا ما تقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة وحبط
ما صنعوا فيها لانه لم يبق لهم ثواب في الآخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله و
العمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان
الضمير للدنيا وباطل في نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي وكان كل
واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية
او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وبطل على الفعل افمن كان

على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره والهمزة
لانكار ان يعقب من هذا شانه هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب
بينهم في المنزلة وهو الذي اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة كمن كان يريد
الحيوة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وقيل
مؤمنوا اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل شاهد منه من الله
يشهد بصحته وهو القران ومن قبله ومن قبل القران كتاب موسى يعني التورية فانها ايضا
تتلوه في التصديق او البينة هو القران ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل او لسان
الرسول على ان الضمير له او من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن او
للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتداة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على
الضمير في يتلوه اي يتلو القران شاهد ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد
شاهد من بني اسرائيل ويقرأ من قبل القران التورية اماما مؤتما به في الدين ورحمة
على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة
يؤمنون به بالقران ومن يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة فلا تك في مرية منه من الموعد او القران
وقرئ مرية بالضم وهما الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة
نظرهم واختلال فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كان اسند اليه ما لم ينزله او
نفى عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم ويقول
الاشهاد من الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد
كاشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق
بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا
ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا بالردة وهم بالاخرة

هم كافرون والحال انهم كافرون بالاخرة وتكرير هم لتاكيد كفرهم واختصاصهم به
اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا ان يعاقبهم
وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا
اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استيناف وقرأ ابن كثير وابن
عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق و
بغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن ايات الله وكانه العلة لمضاعفة العذاب
وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الالهة بقوله وما كان لهم من دون الله من
اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض
اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الالهة بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا
يفترون من الالهة وشفاعتها او خسروا بما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق
لهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر
خسرانا منهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمانوا اليه وخشعوا
له من الخبت وهي الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون
مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم والبصير والسميع يجوز ان يراد
به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن ايات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله
وتابيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالبصير والسميع لان امره بالضد فيكون
كل منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين الاعمى والصمم
والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح
فالغانم فالآئب وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان هل يستوي الفريقان
مثلا تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون بضرب الامثال والتامل فيها ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه اني لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول

باني لكم

نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص الا تعبدوا الا الله بدل من انى
لكم او مفعول مبين ويجوز ان يكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير انى اخاف
عليكم عذاب يوم اليم مؤلم وهو فى الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه
على طريقة جد جده ونهارك صائم للمبالغة فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما
نريك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نريك اتبعك
الا الذين هم اراذلنا اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او اراذل
جمع رذل بادى الرأى ظاهر الرأى من غير تعمق من البدو او اول الرأى من البدء
والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف
على حذف المضاف اى وقت حدوث بادى الرأى والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم
لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحيوة الدنيا كان الاحظ بها اشرف
عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا من فضل يؤهلكم للنبوة
واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين اياك فى دعوى النبوة واياهم فى دعوى العلم
بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم ارأيتم اخبرونى ان كنت على
بينة من ربى حجة شاهدة بصحة دعواى وآتانى رحمة من عنده بايتاء البينة او
النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة فى نفسها هى الرحمة
او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار
او لانه لكل واحد منهما وقرأ حمزة والكسائى وحفص فعميت اى اخفيت وقرئ
فعماها على ان الفعل لله انلزمكموها انكرهكم على الاهتداء بها وانتم لها كارهون لا
تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم
الاعرف منهما جاز فى الثانى الفصل والوصل ويا قوم لا اسألكم عليه على التبليغ
وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا ان اجرى الا على الله فانه المأمول منه وما

وما انا بطارد الذين آمنوا جواب لهم حين سألوا طردهم انهم ملاقوا ربهم فيخاصمون
طاردهم عنده او انهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ولكنى اريكم قوما تجهلون
بلقاء ربكم او باقدارهم او فى التماس طردهم او تتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل
ويا قوم من ينصرنى من الله بدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة
افلا تذكرون لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا
اقول لكم عندى خزائن الله خزائن رزقه وامواله حتى جحدتم فضلى ولا اعلم الغيب
عطف على عندى خزائن الله اى ولا اقول لكم انا اعلم الغيب حتى تكذبونى استبعادا
او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعونى بادى الرأى من غير بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثانى يجوز
عطفه على اقول ولا اقول انى ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين
تزدرى اعينكم ولا اقول فى شأن من استرذلتموهم لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا فان ما
اعد الله لهم فى الآخرة خير مما آتاكم فى الدنيا الله اعلم بما فى انفسهم انى اذا لمن الظالمين
ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى اذا عابه قلبت تاؤه دالا
لتجانس الزاء فى الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادى
الرؤية من غير روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل فى معانيهم
وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فأطلته او اتيت بانواعه
فأتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين فى الدعوى والوعيد فان مناظرتك
لا تؤثر فينا قال انما يأتيكم به الله ان شاء عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب
او الهرب منه ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل جواب والجملة دليل
جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم
فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحى ولذلك نقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت
الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله

كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده
محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم
خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتريه
قل ان افتريته فعلي اجرامي وباله وقرئ اجرامي على الجمع وانا بريء مما تجرمون من
اجرامكم في اسناد الافتراء الي واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد
آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من
التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي به
يحفظ الشيء ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة
التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تراجعني فيهم ولا تدعني
باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك
حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان
يعملها في برية بعيدة من الماء اوان عزته وكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعد
ما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا
والحرق في الاخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه
يعني به اياهم ويحل عليه وينزل او يحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم
دائم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من
الضمير فيه او حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر
تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة في موضع
مسجدها او في الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او
اشرف موضع فيها قلنا احمل فيها في السفينة من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع
بها زوجين اثنين ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين

اثنين من كل زوجين اي من كل صنف ذكر وصنف انثى واهلك عطف على
زوجين او اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين
يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين ومن آمن والمؤمنين من غيرهم
وما آمن معه الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلثة سام
وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روي انه عليه السلام
اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين و
سمكها ثلثين وجعل لها ثلثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها
الانس وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في
الماء كالمركوب في الارض بسم الله مجريها ومرسيها متصل باركبوا حال من الواو اي
اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على
ان المجرى والمرسى للوقت او المكان او للمصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق
النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما ببسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة
من مبتدأ وخبر اي اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر او صلة والخبر محذوف وهي اما
جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو والهاء وروي انه كان اذا
اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان
يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجراها
بالفتح من جرى وقرئ مرساها ايضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلثة ومجريها ومرسيها بلفظ
الفاعل صفتين لله ان ربي لغفور رحيم اي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم
وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اي فركبوا مسمين وهي تجري بهم وهم فيها
في موج كالجبال في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة
منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض و

وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا
وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف
على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء
عصمت من ذلك والمراد بالخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية
سوغ حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل للمكان من
عزله عنه اذا ابعده يا بني اركب معنا في السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الاضافة
المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان في الموضع الاول باتفاق الرواة
وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء
الاضافة واختلفت الرواية عنه في سائر المواضع وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائي
وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين في الدين او الانعزال قال ساوي الى جبل يعصمني
من الماء ان يغرقني قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان
من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم الائذ به
الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله في عيشة راضية وقيل
الاستثناء منقطع اي لكن من رحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج بين نوح وابنه او بين
ابنه والجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين بالماء وقيل يا ارض ابلعي ماءك
ويا سماء اقلعي نوديا بما ينادى به اولوا العلم وامرا بما يؤمرون به تمثيلا لكمال قدرته
وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالامر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره
مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك وغيض الماء
نقص وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت و
استقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل وروي انه
ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار سنة وقيل

وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث
لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة
لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال
وايراد الاخبار على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه
مستغن عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليه
سوى الواحد القهار ونادى نوح ربه واراد نداءه بدليل عطف فقال رب ان ابني
من اهلي فانه النداء وان وعدك الحق وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف
وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه وانت
احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على ان الحاكم من
الحكمة كالدارع من الدرع قال يا نوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية بين المؤمن
والكافر واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو
عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع ما رتعت
حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة
بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل غير صالح
اي عمل عملا غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم ما لم تعلم اصواب هو ام ليس كذلك وانما
سمى نداءه سؤالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازه في شأن ولده او استفسار
المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين
لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن
اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذا
نافع وابن عامر الا انهما كسرا النون على ان اصلها تسألنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع
النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع اثباتها في الوصل

قال رب انی اعوذ بک ان اسألک فیما یستقبل ما لیس لی به علم ما لا علم لی بصحته والا تغفر لی وان لم تغفر لی ما فرط منی من السؤال وترحمنی بالتوبة والتفضل علی اکن من الخاسرین اعمالا قیل یا نوح اهبط بسلام منا انزل من السفینة مسلما من المکاره من جهتنا او مسلما علیک وبرکات علیک او زیادات فی نسلک حتی تصیر آدم ثانیا وقریء اهبط بالضم وبرکة علی التوحید وهی الخیر النامی وعلی امم ممن معک وعلی امم الذین معک سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او علی امم ناشئة ممن معک والمراد بهم المؤمنون لقوله وامم سنمتعهم ای وممن معک امم سنمتعهم فی الدنیا ثم یمسهم منا عذاب الیم فی الآخرة والمراد بهم الکفار من ذریة من معه وقیل هم قوم هود وصالح ولوط وشعیب والعذاب ما نزل بهم تلک اشارة الی قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من انباء الغیب ای بعضها نوحیها الیک خبر ثان والضمیر لها ای موحاة الیک او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء ما کنت تعلمها انت ولا قومک من قبل هذا خبر آخر ای مجهولة عندک وعند قومک من قبل ایحائنا الیک او حال من الهاء فی نوحیها او الکاف فی الیک ای جاهلا انت وقومک بها وفی ذکرهم تنبیه علی انه لم یتعلمه اذ لم یخالط غیرهم وانهم مع کثرتهم لما لم یسمعوه فکیف یؤخذ منهم فاصبر علی مشاق الرسالة واذیة القوم کما صبر نوح ان العاقبة فی الدنیا بالظفر وفی الآخرة بالفوز للمتقین عن الشرک والمعاصی والی عاد اخاهم هودا عطف علی قوله نوحا الی قومه وهودا عطف بیان قال یا قوم اعبدوا الله وحده ما لکم من اله غیره وقریء بالجر حملا علی المجرور وحده ان انتم الا مفترون علی الله باتخاذ الاوثان شرکاء وجعلها شفعاء یا قوم لا اسألکم علیه اجرا ان اجری الا علی الذی فطرنی خاطب کل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحیضا للنصیحة فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولکم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطأ ویا قوم استغفروا ربکم ثم توبوا الیه

اطلبوا مغفرته بالایمان ثم توسلوا الیها بالتوبة وایضا التبری عن الغیر انما یکون بعد الایمان بالله والرغبة فیما عنده یرسل السماء علیکم مدرارا کثیر الدر ویزدکم قوة الی قوتکم وانما رغبهم بکثرة المطر وزیادة القوة لانهم کانوا اصحاب زروع وعمارات وقیل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلث سنین فوعدهم هود علیه السلام علی الایمان والتوبة کثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوکم الیه مجرمین مصرین علی اجرامکم قالوا یا هود ما جئتنا ببینة بحجة تدل علی صحة دعواک وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وما نحن بتارکی آلهتنا بتارکی عبادتهم عن قولک صادرین عن قولک حال من الضمیر فی تارکی وما نحن لک بمؤمنین اقناط له من الاجابة والتصدیق ان نقول الا اعتریک ما نقول الا قولنا اعتریک ای اصابک من عراه یعروه اذا اصابه بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبک ایاها وصدک عنها ومن ذلک تهذی وتتکلم بالخرافات والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ قال انی اشهد الله واشهدوا انی بریء مما تشرکون من دونه فکیدونی جمیعا ثم لا تنظرون اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالی علی براءته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تأکیدا لذلک وتثبیتا له وامرهم بان یشهدوا علیه استهانة بهم وان یجتمعوا علی الکید فی هلاکه من غیر انظار حتی اذا اجتهدوا فیه وراوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقویاء الاشداء ان یضروه ولم یبق لهم شبهة لان آلهتهم التی هی جماد لا یضر ولا ینفع لا تتمکن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفیر من الجبابرة الفتاک العطاش الی اراقة دمه بهذا الکلام لیس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره لیس الا بعصمته ایاه ولذلک عقبه بقوله انی توکلت علی الله ربی وربکم تقریرا له والمعنی انکم وان بذلتم غایة وسعکم لم تضرونی فانی متوکل علی الله وواثق بکلاءته وهو مالکی ومالککم لا یحیق بی ما لم یرده ولا تقدرون علی ما لم یقدره ثم برهن علیه بقوله ما من دابة

الا هو آخذ بناصيتها اي الا هو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ
بالنواصي تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم
ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد اديت ما علي
من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط مني ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف
ربي قوما غيركم استيناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين في ديارهم واموالهم
او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع كانه قيل وان تتولوا
يعذرني ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم ويستخلف اسقط النون
منه ان ربي على كل شيء حفيظ رقيب فلا تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ
مستول عليه فلا يمكن ان يضره شيء ولما جاء امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب نجينا هودا
والذين امنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة الاف ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان
ما نجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم
او المراد به تنجيتهم من عذاب الاخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا
بالسموم فهم معذبون في الاخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة
باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم واثارهم جحدوا بايات ربهم كفروا بها وعصوا
رسله لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول
واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعندا وعنودا
اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر
وما يرديهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي جعلت اللعنة تابعة لهم في
الدارين تكبهم في العذاب الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف
الجار الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين
لما نزل عليهم بسبب ما حكي عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الا

الاعتبار بحالهم قوم هود عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم
والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض هو كونكم منها لا
غيره فانه خلق آدم ومواد النطف التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها و
استبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها
دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم
تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح
قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا
سيدا او مستشارا في الامور وان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك
انقطع رجاؤنا عنك اتنهينا ان نعبد ما يعبد اباؤنا على حكاية الحال الماضية واننا
لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبري عن الاوثان مريب موقع في الريبة من
ارابه او ذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب في الامر قال يا قوم ارايتم ان كنت
على بينة من ربي بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين واتاني منه رحمة
نبوة فمن ينصرني فمن يمنعني من عذابه ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك
به فما تزيدونني اذن باستتباعكم اياي غير تخسير غير ان تخسروني بابطال ما منحني الله به و
التعريض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه
ناقة الله لكم اية انتصب اية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت
عليها لتنكيرها فذروها تاكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء
فياخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلثة ايام
فعقروها فقال تمتعوا في داركم عيشوا في منازلكم او في داركم الدنيا ثلثة ايام الاربعاء
والخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب اي غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه

مجرى المفعول به كقوله • ويوم شهدناه سليماً وعامراً • او غير مكذوب على المجاز وكانّ
الواعد قال له اَفِ بك فان وفى به صدّقه والا كذّبه او وعد غير كذب على انه مصدر
كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صالحاً والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزي
يومئذ اى ونجيناهم من خزى يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم وفضيحتهم يوم
القيمة وعن نافع والكسائي يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف
اليه ان ربك هو القوي العزيز القادر على كل شئ والغالب عليه واخذ الذين ظلموا
الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين قد سبق تفسير ذلك في سورة الاعراف كان لم يغنوا
فيها الا ان ثمود كفروا ربهم نوّنه ابو بكر ههنا وفي النجم والكسائي في جميع القرآن وابن
كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو في قوله الا بعداً لثمود ذهاباً الى الحي او الاب الاكبر ولقد
جاءت رسلنا ابرهيم يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلثة جبريل وميكائيل
واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلّمنا
عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام اى امركم او جوابي سلام
او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ حمزة والكسائي سِلْم وكذلك في
الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما
ابطأ مجيئه به او فما ابطأ في المجئ به او فما تأخر عنه والجار مقدر او محذوف والحنيذ
المشوي بالرضف وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرّقته بالجلال
لقوله بعجل سمين فلما رأى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة
انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس
الادراك وقيل الاضمار قالوا لما احسوا منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى
قوم لوط انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمدّ اليه ايدينا لانا لا ناكل وامرأته
قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة فضحكت سروراً بزوال الخيفة او

بهلاك اهل الفساد او باصابة رأيها فانها كانت تقول لابرهيم اضمم اليك لوطا
فاني اعلم ان العذاب ينزل بهؤلاء القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدي بسلمى
ضاحكاً في لبابة ولم تعد حقاً ثديها ان تحلّبا • ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها
وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص
بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقيل انه
معطوف على موضع باسحق او على لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير مصروف ورُدّ للفصل
بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف اى
ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمى به لانه بعد الولد وعلى
هذا يكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء
ابرهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما في
الحكاية بعد ان وُلِدا فسمّيا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به منها
ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتا يا عجبا واصله في الشر فاطلق في
كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل أألد وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين
وهذا بعلي زوجي واصله القائم بالامر شيخاً ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال
والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو شيخ او
خبر بعد خبر او هو الخبر ان هذا لشئ عجيب يعني الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث
العادة دون القدرة ولذلك قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم
اهل البيت منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة مهبط المعجزات
وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن
نشأت وشابت في ملاحظة الآيات واهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد
التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كثير

الخير والاحسان فلما ذهب عن ابرهيم الروع ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم
وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شانهم ومجادلته
اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيء به مضارعا على حكاية الحال او لانه
في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو او دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا
او شرع في جدالنا او متعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان ابرهيم
لحليم غير عجول على الانتقام من المسيء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب والتأسف على
الناس منيب راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل على المجادلة وهو رقة
قلبه وفرط ترحمه يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت الملائكة يا ابرهيم اعرض عن هذا
الجدال انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه الازلي بعذابهم وهو اعلم بحالهم وانهم
آتيهم عذاب غير مردود مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا
سيء بهم ساءه مجيئهم لانهم جاؤا في صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان
يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية
عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب
شديد من عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا
لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات
الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء
بناتي فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن
من قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ
او مبالغة في تناهي خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهارا لشدة
امتعاضه من ذلك كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته
من حيث الشفقة والتربية وفي حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم هن

هن اطهر لكم انظف فعلا او اقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه
وقرئ اطهر بالنصب على ان هن خبر بناتي كقولك هذا اخي هو فصل فانه لا يقع بين
الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحون
من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي في شانهم فان اخزاء ضيف
الرجل اخزاؤه اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح قالوا لقد
علمت ما لنا في بناتك من حق من حاجة وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان الذكران قال
لو ان لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم او آوي الى ركن شديد الى قوي اتمنع به عنكم
شبهه بركن الجبل في شدته وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان يأوي
الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قال لو ان لي بكم قوة او اويا
وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روي انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم
من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا
لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك
ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم
فخرجوا يقولون النجا النجا فان في بيت لوط سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرأ
ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع في القرآن من السرى بقطع من الليل بطائفة منه
ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف او لا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ لاحد وفي المعنى للوط
الا امرأتك استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من
الليل الا امرأتك وهذا انما يصح على تاويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى
الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل من احد ولا
يجوز حمل القراءتين على الروايتين في انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب
التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة

والاولى جعل الاستثناء فى القرائتين من قوله ولا يلتفت مثله فى قوله ما فعلوه الا قليل
ولا يبعد ان يكون اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم
نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستيناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم
ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسراء
اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطاء العذاب فلما جاء امرنا عذابنا او امرنا
به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها فانه جواب لما وكان
حقه جعلوا عاليها اى الملائكة المامورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر
فانه روى ان جبرئيل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع
اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وامطرنا عليها على المدن او
على شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله سنك كل
فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادرّ عطيته والمعنى من مثل الشئ المرسل او
من مثل العطية فى الادرار او من السجل اى مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من
سجين اى من جهنم فابدلت لامه نونا منضود نضد معدا لعذابهم او نضد فى الارسال
بتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به مسومة معلمة
للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيماء تتميز به عن حجارة الارض او باسم من
يرمى به عند ربك فى خزائنه وما هى من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم حقيق بان تمطر
عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه السلام انه سال جبريل عليه السلام فقال يعنى ظالمى
امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير
للقرى اى هى قريبة من ظالمى مكة يمرون بها فى اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على
تاويل الحجر او المكان والى مدين اخاهم شعيبا ارادوا اولاد مدين بن ابرهيم عليه
السلام او اهل مدين وهو بلد بناه فسمى باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره و

ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه
من البخس المنافى للعدل المخل بحكمة التعاوض انى اريكم بخير بثروة تغنيكم عن البخس او
بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا
تزيلوها بما انتم عليه وهو فى الجملة علة النهى وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ
منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيمة او
عذاب الاستيصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهى صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم
اوفوا المكيال والميزان صرح الامر بالايفاء بعد النهى عن ضده مبالغة وتنبيها على انه
لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعى فى الايفاء ولو بزيادة لا يتاتى
دونها بالقسط بالعدل والسوية من غير زيادة ونقصان فان الازدياد ايفاء
وهو مندوب غير مامور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص
فانه اعم من ان يكون فى المقدار او فى غيره وكذا قوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين
فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس
كاخذ العشور فى المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة
الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا فى
الارض مفسدين امر دينكم ومصالح اخرتكم بقية الله ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه
عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها
باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين لى فى قولى
لكم وقيل البقية الطاعة كقوله والباقيات الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهى
تقواه التى تكف عن المعاصى وما انا عليكم بحفيظ احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم
فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم
نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد

اباؤنا من الاصنام اجابوا به بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلوته والاشعار
بان مثله لا يدعو اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب
عليه وكان كثير الصلوة فلذلك جمعوا وخصّوا بالذكر وقرأ حمزة والكسائي وحفص
على الافراد والمعنى اصلوتك تامرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل
لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اى وان نترك فعلنا
ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهي عن
التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا
به ذلك انك لانت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك او عللوا انكار
ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال
ذلك قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اشارة الى ما آتاه الله من العلم
والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما اتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط
محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية
ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف
والنهي عن دين الاباء والضمير في منه لله اى من عنده وباعانته بلا كدٍّ مني في تحصيله وما
اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه اى وما اريد ان آتي ما انهاكم عنه لاستبدّ به فلو كان صوابا
لآثرته فلم اعرض عنه فضلا ان انهاه عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مولٍّ
عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ما اريد الا ان
اصلحكم بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح
فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلثة على هذا النسق شأن وهو التنبيه على ان
العاقل يجب ان يراعي في كل ما ياتيه ويذره احد حقوق ثلثة اهمها واعلاها حق الله تعالى
وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي ان آمركم بما امرتكم به وانهاكم عما

عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اى
المقدار الذى استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف وما توفيقي الا بالله
وما توفيقي لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته عليه توكلت فانه القادر المتمكن
من كل شئ وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة
الى محض التوحيد الذى هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد
وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الله وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة
الحق فيما ياتيه ويذره من الله والاستعانة به في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم
اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله
للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقي معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح
من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة وان بصلتها ثاني مفعولي جرم
فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدي
الى مفعول والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته
الى المبني كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال وما قوم
لوط منكم ببعيد زمانا ومكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم اوليسوا ببعيد منكم في
الكفر والمساوى فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم
بشئ بعيد ولا يبعد ان يسوى في امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر
كالصهيل والشهيق واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه عما انتم عليه ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين
ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على
التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب التوحيد
وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليها وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك
استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه وانا لنريك فينا ضعيفا

لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءًا وظهيرًا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع
عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء
والشهادة والفرق بيّن ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف
من شوكتهم فان الرهط من الثلثة الى العشرة وقيل الى السبعة لرجمناك لقتلناك
برمي الاحجار او باصعب وجه وما انت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن
السفيه المحجوج يقابل الحجج والايات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه
على ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة فان المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك قال
يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء
الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلا تبقون على الله وتبقون على رهطي وهو يحتمل
الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات
النسب ان ربي بما تعملون محيط فلا يخفى شيء منها فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم
اي عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الانعام والفاء في
فسوف تعلمون ثمة للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لانه
جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ومن هو كاذب عطف على من
يأتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال
سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق
لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على
زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما اقول لكم اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم
او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه
برحمة منا انما ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف
قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح

الصبح فلذلك جاء بفاء السببية واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبرئيل
فهلكوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين واصل الجثوم اللزوم في المكان كان لم يغنوا فيها
كان لم يقيموا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصيحة
غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على
الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما
والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا بالتورية او المعجزات وسلطان
مبين هو المعجزات القاهرة او العصا وافرادها لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد
اي ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا
اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الاية تعم الامارة والدليل
القاطع والسلطان يخص القاطع والمبين يخص ما فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا
امر فرعون فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات
القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا
يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون
برشيد مرشد او ذي رشد وانما هو غي محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيمة الى
النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكره
بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم
قال وبئس الورد المورود اي بئس المورود الذي وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد
وتسكين العطش والنار بالضد والاية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان
من هذا عاقبته لم يكن في امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشيد ما يكون مامون
العاقبة حميدها واتبعوا في هذه في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي يلعنون في الدنيا
والاخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل الرفد

انهمك الرجل في الامر جد فيه مختار

مايضاف الى غيره ليعم والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهو اللعنة في الدارين
ذلك اى ذلك النبأ من انباء القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك منها قائم و
من تلك القرى باق كالزرع القائم وحصيد ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود والجملة
مستأنفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم
باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها للهلاك بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم فما
نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك
حين جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ
اخذ ربك وقرئ أخذ ربك بالفعل وعلى هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر اذا
اخذ القرى اى اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في
الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامها اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا لظلمهم
وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد وجيع غير مرجو
الخلاص عنه وهو مبالغة في التهديد والتحذير ان في ذلك اى فيما نزل بالامم الهالكة او
فيما قصه الله من قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة يعتبر به لعلمه بان ما
حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين في الآخرة او ينزجر به عن موجباته لعلمه بانه من اله
مختار يعذب من يشاء فان من انكر الآخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار
وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام لا للذنوب المهلكين بها ذلك
اشارة الى يوم القيمة وعذاب الآخرة دل عليه يوم مجموع له الناس اى يجمع له الناس و
التغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شانه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه
فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة وذلك
يوم مشهود اى مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به
كقوله في محفل من نواصي الناس مشهود • اى كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل

لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان ساير الايام كذلك وما نؤخره اى اليوم الا
لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التأجيل
كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود يوم يأتي اى الجزاء او اليوم كقوله ان تأتيهم الساعة
على ان يوم بمعنى حين او الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله ونحوه
وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة يأت بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم
بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او
بالانتهاء المحذوف الا باذنه الا باذن الله كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا
في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر او الماذون
فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه الاعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت له النار بمقتضى
الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم
مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير و
شهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق وآخره والمراد
بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه
روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خالدين فيها ما دامت السموات
والارض ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهما فان النصوص دالة على تأبيد دوامهم
وانقطاع دوامهما بل للتعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل
التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم لا
من دوامه دوامهما الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان
المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الآخرة وارضها ويدل عليه قوله تعالى يوم
تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل الآخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر
لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام

الثواب والعقاب فلا يجري لهم التنبيه الا ما شاء ربك استثناء من الخلود في النار لان
بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال
الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة
ايام عذابهم فان التابيد من مبدأ معين ينتقص باعتبار الابتداء كما ينتقص باعتبار
الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله
فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه
لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل
الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك
لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير
وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة يتنعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال
بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم
في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين ياتي اليوم او مدة لبثهم
في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التاويل يحتمل ان
يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق
وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك على الف الا الفان القديمان والمعنى سوى ما شاء
ربك من الزيادة التي لا اخر لها على مدة بقاء السموات والارض ان ربك فعال لما
يريد من غير اعتراض واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات
والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع
وتنبيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب
والعقاب في التابيد وقرأ حمزة والكسائي وحفص سُعِدوا على البناء للمفعول من
سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة

الجنة فلا تك في مرية شك بعد ما انزل عليك من مآل الناس مما يعبد هؤلاء من
عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت
عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه في انه يضر ولا ينفع ما يعبدون الا
الا كما يعبد اباؤهم من قبل استيناف معناه تعليل النهي عن المرية اي هم وآباؤهم
سواء في الشرك ما يعبدون عبادة الا كعبادتهم او ما يعبدون شيئا الا مثل ما
عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق اباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في
الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل
عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كآبائهم او من الرزق فيكون عذرا لتأخر
العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول
وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فآمن
به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار
الى القيمة لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق وانهم وان كفار قومك لفي
شك منه من القرآن مريب موقع للريبة وان كلا وان كل المختلفين المؤمنين منهم و
الكافرين والتنوين بدل المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع
الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة للقسم والثانية
للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد
على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمع ثلث ميمات فحذف اولاهن والمعنى
لمن الذين يوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لمًّا بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما
وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوته
شيء منه وان خفي فاستقم كما امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب
في شرح الوعد والوعيد امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة

للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا
من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما انزل والقيام بوظائف
العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال
عليه السلام شيبتني سورة هود ومن تاب معك اي تاب من الشرك والكفر وآمن
معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ولا
تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر
والنهي وفي الاية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس و
استحسان ولا تركنوا الى الذين ظلموا ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل
اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من
وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اي الموسومين بالظلم ثم
بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الاية ابلغ ما يتصور في النهي عن
الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت
على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفي افراط وتفريط فانه
ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه
لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان
غيره لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلوة طرفي النهار غدوة
وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة
من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة الغداة صلوة الصبح لانها
اقرب الصلوات من اول النهار وصلوة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لان ما بعد
الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون
كبسر وبسر في بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها

يكفرنها وفي الحديث ان الصلوة كفارة ما بينها ما اجتنبت الكبائر وفي سبب النزول
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني قد اصبت من امراة غير اني لم آتها فنزلت
ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده وقيل الى القران ذكرى للذاكرين عظة
للمتعظين واصبر على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدول عن
الضمير ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصلوة والصبر احسان وايماء
بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولو بقية
من الراي والعقل او اولو فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه
يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اي ذوي
ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر
بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا
منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم
للتحضيض واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل
اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ما كان
السبب لاستيصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي
عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن
الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض وقرئ واتبع
اي واتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده
تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لا يضمون
الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم
الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم
ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير

غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه ولا يزالون
مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا تكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا الا من رحم
ربك الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه
ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او
اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اى من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من
احدهما وكلا وكل نبأ نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك بيان
لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه
وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب
على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من
من انباء الرسل وجاءك فى هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ما هو حق
وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة وقل للذين لا يؤمنون
اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون
ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة لا يخفى عليه خافية
مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه فاعبده وتوكل عليه فانه
كافيك وفى تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد وما ربك
بغافل عما تعملون انت وهم فيجازى ما تستحقوا به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة هود اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به
وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء ان شاء الله

سورة يوسف مكية وآيها مائة واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات السورة وهى المرادة بالكتاب
اى تلك الآيات آيات السورة الظاهر امرها فى الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن
تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سألوا اذ روى ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين
سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف فنزلت انا انزلناه
اى الكتاب قرآنا عربيا سمى البعض قرآنا لانه فى الاصل اسم الجنس يقع على الكل والبعض
وصار علما بالغلبة ونصبه على الحال وهو فى نفسه اما توطئة للحال التى هى عربيا او الحال لانه
مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفى كل ذلك خلاف
لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة اى انزلناه مجموعا او مقروا بلغتكم كى تفهموه وتحيطوا
بمعانيه وتستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور
الا بالايحاء نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع
الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول
كالنقض والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه بما اوحينا بايحائنا اليك هذا
القرآن يعنى السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر
وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو
تعليل لكونه موحى وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة اذ قال يوسف بدل
من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال ومنصوب باضمار اذكر ويوسف عبرى
ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بنى للمفعول
او الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابرهيم عليهم السلام
وعنه صلى الله عليه وسلم الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق
ابن ابرهيم يا ابت اصله يا ابى فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما فى الزيادة ولذلك
قلبها هاء فى الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها

ابن عامر في كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة
وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها
مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح
منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب اني رايت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله
لا تقصص رؤياك وقوله هذا تاويل رؤياي احد عشر كوكبا والشمس والقمر روي عن
جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم
التي رآهن يوسف فسكت فنزل جبرئيل فاخبره بذلك فقال ان اخبرتك هل تسلم قال نعم
قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح
والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن
له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها رايتهم لي ساجدين استئناف لبيان حالهم
التي رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بني تصغير
ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن اثني عشرة سنة لا تقصص رؤياك
على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه
ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية
غير انها مختصة بما يكون في النوم فرق بينهما بحرفي التانيث كالقربة والقربى وهي
انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما
تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى
فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة
تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة
لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير
والا احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يتعدى به تاكيدا

تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر
العداوة لما فعل بآدم وحواء فلا يالو جهدا في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على
الكيد وكذلك اي وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس
يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا حصلته
لنفسك ويعلمك كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تاويل الاحاديث
من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان
ان كانت كاذبة او من تاويل غوامض كتب الله وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم
جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا بنعمة
الآخرة وعلى آل يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب او نسله
كما اتمها على ابويك بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه
من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل من قبلك او من قبل هذا الوقت ابراهيم واسحق عطف
بيان لابويك ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم يفعل الاشياء على ما ينبغي لقد كان في
يوسف واخوته اي في قصتهم آيات دلائل قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك
للسائلين لمن سال عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهودا وروبيل وشمعون
ولاوي وزبالون ويشجر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت
تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما
حينئذ واربعة آخرون دان ونفتالي وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة اذ
قالوا ليوسف واخوه بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين
احب الى ابينا منا وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما
يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى وجائز في المضاف ونحن عصبة و
الحال انا جماعة اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة

فصاعدًا استمواً بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفي ضلال مبين لتفضيله المفضول
اولترك التعديل في المحبة روى انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته
يحدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على
التعرض له اقتلوا يوسف من جملة المحكى بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الامن
قال لا تقتلوه وقيل انما قاله شمعون وقيل دان ورضى به الاخرون او اطرحوه ارضا
منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة
يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى
غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار أن من بعده
من بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله عما جنيتم
او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم
لكم بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم يعني يهودا وكان احسنهم فيه رأيا وقيل روبيل
لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه في غيابة الجب في قعره سمي بها لغيبوبته عن عين
الناظر وقرأ نافع في غيابات على الجمع كانه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات
بالتشديد يلتقطه ياخذه بعض السيارة بعض الذين يسيرون في الارض ان كنتم فاعلين
بمشورتي او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على
يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله عن
رأيه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور تأمنا بالادغام باشمام وعن نافع بترك
الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا
غدا الى الصحراء نرتع نتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب ونلعب بالاستباق
والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء
فيه وفي يلعب وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ

وقرئ نرتع من ارتع ماشيته ونرتع بكسر العين ونلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون
ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه واخاف
ان ياكله الذئب لان الارض كانت مذأبة وقيل رأى في المنام ان الذئب قد
شد على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع في رواية قالون
وفي رواية اليزيدي وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا واشتقاقه من
تذأبت الريح اذا هبت من كل جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة
اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا
لخاسرون ضعفاء مغبونون او مستحقون بان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال
فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس
او بئر بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب
لما محذوف مثل ما فعلوا من الاذى فقد روى انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا يؤذونه
ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهودا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه
فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم و
يحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر
كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط
ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبريل بالوحي كما قال واوحينا اليه
وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى
وعيسى وفي القصص ان ابرهيم عليه السلام حين القي الى النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل
بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب عليهم السلام فجعله
في تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبريل والبسه اياه لتنبئنهم بامرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك
وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى

والمهيبات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له
منكرون بشره بما يؤل اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل
باوحينا اى آنسناه بالوحى وهم لا يشعرون ذلك وجاؤا اباهم عشاء آخر النهار وقرئ
عشيا وهو تصغير عشى وعشا بالضم والقصر جمع اعشى اى عشوا من البكاء يبكون متباكين
روى انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بنى واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا
نستبق نتسابق فى العدو او فى الرمى وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل
وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا
صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاؤا على قميصه بدم كذب اى
ذى كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب
على الحال من الواو اى جاؤا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اى كدرا وطرى وقيل
اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه
فى موضع النصب على الظرف اى فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز تقديمها على
المجرور روى انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسال قميصه واخذه والقاه على وجهه وبكى حتى
خضب وجهه بدم القميص وقال ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابنى ولم يمزق
عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا اى سهلت لكم وهونت فى اعينكم امرا
عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل
وفى الحديث الصبر الجميل الذى لا شكوى فيه اى الى الخلق والله المستعان على ما تصفون
على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح و
جاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلثة
من القائه فيه فارسلوا واردهم الذى يرد الماء ويستقى لهم وكان مالك بن ذعر
الخزاعى فادلى دلوه فارسلها فى الجب ليملأها فتدلى بها يوسف فلما راه قال يا بشرى هذا

هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعالى فهذا اوانك وقيل هو اسم
صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرا غير الكوفيين يا بشراى بالاضافة وقرئ يا بشرى
بالادغام وهو لغة وبشراى بالسكون على قصد الوقف واسروه اى الوارد واصحابه من
سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل
الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهودا كان ياتيه كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده
فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه فسكت يوسف
مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اى اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع
فانه ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف
بابيهم واخيهم وشروه وباعوه وفى مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته بثمن
بخس مبخوس لزيفه او نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون
ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين
وكانوا فيه فى يوسف من الزاهدين الراغبين عنه والضمير فى وكانوا ان كان للاخوة
فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشئ
متهاون به خائف عن انتزاعه مستعجل فى بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه
آبق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذين فهو متعلق بمحذوف
يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذى اشتراه من مصر وهو
العزيز الذى كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان
بن الوليد العمليقى وقد آمن بيوسف ومات فى حيوته وقيل كان فرعون موسى عاش
اربعمائة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون
يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روى انه اشتراه العزيز وهو ابن
سبع عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلث وثلثين وتوفى وهو ابن مائة وعشرين

واختلف فيما اشتراه به من جعل شراه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان
ابيضان وقيل ملؤه فضة وقيل ذهبا لامراته راعيل او زليخا اكرمي مثواه اجعلي
مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا
ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد و
لذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استاجره
وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته في قلب
العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من تاويل
الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه
وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتب الله واحكامه فينفذها
او تعبير المنامات المنبهة عن الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل
كما فعل لسنيه والله غالب على امره لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف اراد
به اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته
وهو سن الوقوف ما بين الثلثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ
الحلم آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني علم تاويل الاحاديث
وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه
في عنفوان امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد
يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد وغلقت الابواب قيل كانت سبعة و
التشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق وقالت هيت لك اي اقبل وبادر او تهيأت و
الكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كاين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرأ
ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وهي لغة فيه وقرئ

وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من هاء يهيء اذا تهيأ وعلى هذا فاللام من صلته قال
معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشان ربي احسن مثواي سيدي قطفير احسن تعهدي
اذ قال لك في اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله اي انه خالقي احسن
منزلتي بان عطف علي قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون المجازون الحسن بالسيء و
قيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني باهله ولقد همت به وهم بها قصدت مخالطته
وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء
امضاه والمراد بهمه ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما
لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل
عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان راى برهان
ربه في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم
بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل
عليه وقيل راى جبريل وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل
نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك اي مثل ذلك التثبيت
ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا
المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر
في كل القرآن اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب فحذف الجار
او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه
الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا و
القط الشق والفيا سيدها وصادفا زوجها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك
سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها و
تغييره على يوسف واغراءه به انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى اي شيء جزاؤه الا

الا السجن قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمؤاتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من
السجن او العذاب ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن
خال لها صبيا في المهد وعن النبي عليه السلام تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة فرعون و
شاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى ابن مريم وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها
لتكون الزم عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل
على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد
جيبه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت
ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول وعلى ان فعل الشهادة من القول وتسميتها
شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تاويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره
قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن علي باحسانك
امنن عليك باحساني السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة
كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما راى قميصه
قد من دبر قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان السوء او ان هذا الامر
من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها او لسائر النساء ان كيدكن عظيم فان
كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال
والشيطان يوسوس به مسارقة يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث
اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من
القوم المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هي اسم لجمع امراة
وتانيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال
اي اشعن الحكاية في مصر او صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقي والخباز
والسجان وصاحب الدواب امراة العزيز تراود فتيها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها

والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى فتي لقولهم فتيان والفتوة شاذة
قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على
التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هناه بالقطران فاحرقه انا
لنريها في ضلال مبين في ضلال من الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن
باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن ذلك لترينهن
يوسف او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل
دعت اربعين امراة فيهن الخمس واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من الوسائد
واتت كل واحدة منهن سكينا يعني تتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن
يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او
يهاب يوسف من مكرها اذا خرج وحده على اربعين نسوة في ايديهن الخناجر وقيل
متكأ طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون الطعام والشراب تترفا ولذلك نهي عنه
قال جميل • فظللنا بنعمة واتكانا • وشربنا الحلال من قلله • وقيل المتكأ طعام يحز
حزا كان القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع
الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكا من
تكئ يتكئ اذا اتكى وقالت اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه اعظمنه وهبن حسنه الفائق
وعن النبي صلى الله عليه وسلم رايت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان
يرى تلالؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت المراة اذا حاضت
لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف على حذف اللام اي حضن له
من شدة الشبق كما قال المتنبي • خف الله واستر ذا الجمال ببرقع • فان لحت حاضت
في الخدور العواتق • وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن
حاش لله تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قرا

ابو عمرو في الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التبرئة في باب الاستثناء
فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى
براءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا
الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار في ناحية الله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا
لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي
الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اي بعبد مشترى لئيم ان هذا الا ملك
كريم فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة
او لان جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه الا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي
هو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني في الافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره
ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني او فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا
رفعا لمنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طالبا للعصمة اقرت لهن
حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته ولئن لم يفعل ما آمره اي ما آمر به
فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير ليوسف ليسجنن وليكونا
من الصاغرين الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغر من صغر
بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنفعا
على حكم الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرأ يعقوب بالفتح
على المصدر احب الي مما يدعونني اليه اي آثر عندي من مواتاتها زنا نظرا الى العاقبة
وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن
خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها او دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي بالسجن
لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسال الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله
عليه وسلم على من كان يسال الصبر والا تصرف عني وان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك

الي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة اصب اليهن امل الى اجابتهن او الى انفسهن
بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها
وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة وهي الشوق واكن من الجاهلين من السفهاء
بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم
والجهال سواء فاستجاب له ربه فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف فصرف
عنه كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة
للعصيان انه هو السميع لدعاء الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من
بعد ما راوا الايات ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما راوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة
الصبي وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره
ليسجننه حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه حتى تبصر ما يكون منه او
يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن بضع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به
العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان اي ادخل
يوسف السجن واتفق ان ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام
بانهما يريدان ان يسماه قال احدهما يعني الشرابي اني اراني في المنام وهي حكاية حال ماضية
اعصر خمرا اي عنبا وسماه بما يؤول اليه وقال الآخر اي الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا
تاكل الطير منه تنهس منه نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون تاويل
الرؤيا او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما راياه في السجن يذكر الناس ويعبر
رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتاويل ما راينا ان كنت تعرفه قال
لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله اي بتاويل ما قصصتما علي او بتاويل الطعام
يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد و
يرشدهما الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سالاه منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين

منازلهم من العلماء في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة لهم من الاخبار بالغيب ليدلهما
على صدقه في الدعوة والتعبير قبل ان ياتيكما ذلكما اي ذلك التاويل مما علمني ربي بالالهام
والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجيم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم
كافرون تعليل لما قبله اي علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك واتبعت ملة آبائي ابرهيم و
اسحق ويعقوب او كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع
اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة
على اختصاصهم وتاكيد كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله
من شيء اي شيء كان ذلك اي التوحيد من فضل الله علينا بالوحي وعلى الناس وعلى
سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتثبيتهم عليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون
هذا الفضل فيعرضون عنه ولا ينتبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل
وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر
النعمة ولا يشكرها يا صاحبي السجن اي يا ساكنيه او يا صاحبيّ فيه فاضافهما اليه على الاتساع
كقوله يا سارق الليلة اهل الدار ءارباب متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام
خير ام الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره
ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم
وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان الا اشياء باعتبار اسام اطلقتم عليها من غير
حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم
سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما
تطلقون عليها ان الحكم في امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب
لذاته الموجد للكل والمالك لامره امر على لسان انبيائه الا تعبدوا الا اياه الذي دلت
عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم لا تميزون المعوج عن القويم وهذا من التدرج في

في الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة
ثم برهن على ان ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما
بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم
الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون
في جهالاتهم يا صاحبي السجن اما احدكما يعني الشرابي فيسقي ربه خمرا كما كان يسقيه قبل و
يعود الى ما كان عليه واما الآخر يريد الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه فقالا كذبنا فقال
قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما
ولذلك وحده فانهما وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال
للذي ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي
فهو الناجي الا ان يأول الظن باليقين اذكرني عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني
فانسيه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته
له او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله
عليه السلام رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس و
الاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء
فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك
اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف لما دنا فرجه راى الملك في المنام سبع بقرات
سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات سمان مهازيل فابتلعت المهازيل السمان
وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت
اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات
واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر
التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على

سمان لانه نقيضه يا ايها الملأ افتوني في رؤياي عبّروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم
عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها
من العبور وهو المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبّرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية
العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون
معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام
اي هذه اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم
فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل
او لتضمنه اشياء مختلفة وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام المنامات
الباطلة خاصة اي ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات الصادقة كانه مقدمة ثانية
للعذر في جهلهم بتأويله وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي وادّكر بعد امّة
وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ امة بكسر الهمزة
وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان يقال امه يأمه امها اذا نسي و
الجملة اعتراض ومفعول القول انا انبئكم بتأويله فارسلون اي الى من عنده علمه او الى السجن
يوسف ايها الصديق اي فارسل الى يوسف فجاءه وقال يا يوسف وانما وصفه
بالصديق وهو المبالغ في الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه و
رؤيا صاحبه افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات
اي في رؤيا ذلك لعلي ارجع الى الناس اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد اذ قيل
ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تأويلها او فضلك ومكانك وانما لم يبتّ الكلام فيهما لانه
لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم قال تزرعون سبع سنين دأبا
اي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اي تدأبون
دأبا وتكون الجملة حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب في العمل وقيل

وقيل تزرعون امر اخرج في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه في سنبله
كيلا يأكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة الا قليلا مما تأكلون في تلك
السنين ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن اي يأكل اهلهن ما
ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون
تحرزون لبذور الزراعة ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون فيه
من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون
لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي
وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل منه اي
يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او
بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان أوّل البقرات السمان والسنبلات
الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان
باكل ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي او بان انتهاء
الجدب بالخصب او بان السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم وقال
الملك ائتوني به بعد ما جاءه الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول ليخرجه قال ارجع الى ربك
فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن انما تأنى في الخروج وقدم سؤال النسوة
وفحص حالهن لتظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به
الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها وعن النبي
صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال
فاسأله ما بال النسوة ولم يقل فاسأله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال
وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون
ان ربي بكيدهن عليم حين قلن لي اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله

عليه وعلى انه بريء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن
ما شأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن يوسف عن نفسه
قلن حاش لله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء
من ذنب قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه
ليناخ قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما او ظهر من حص
شعره اذا استأصله بحيث ظهر بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول انا راودته عن نفسه
وانه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك ليعلم قاله يوسف لما عاد اليه
الرسول واخبره بكلامهن اي ذلك التثبت ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب بظهر
الغيب وهو حال من الفاعل والمفعول اي لم اخنه وانا غائب عنه او هو غائب عني او ظرف
اي بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان الله لا يهدي كيد الخائنين لا
ينفذه ولا يسدده او لا يهدي الخائنين بكيدهم واوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه
تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسي
اي لا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله
عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما قال ليعلم اني لم اخنه قال
له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك ان النفس لامارة بالسوء من حيث انها بالطبع
مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في اثرها كل الاوقات الا ما رحم ربي
الا وقت رحمة ربي او الا ما رحمه الله من النفوس فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع
اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى
نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام
ان ربي غفور رحيم يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر المستغفر لذنبه
المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي ا

اجعله خالصا لنفسي فلما كلمه اي فلما اتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء قال انك
اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي انه لما خرج من
السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك
من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال ما هذا اللسان
قال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال
احب ان اسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها
فاجلسه على السرير وفوض امره اليه وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه
منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد منها افرائيم وميشا قال اجعلني على خزائن
الارض ولني امرها والارض ارض مصر اني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه التصرف
فيها ولعله عليه السلام لما رأى انه يستعمله في امره لا محالة آثر ما تعم فوائده وتجل عوائده وفيه
دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى
اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده وكذلك
مكنا ليوسف في الارض ارض مصر يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى
وقرأ ابن كثير نشاء بالنون نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا والآخرة ولا
نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا وآجلا ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا
يتقون الشرك والفواحش لعظمه ودوامه وجاء اخوة يوسف روي انه لما استوزره
الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة
وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه الناس اليه فباعها اولا بالدراهم والدنانير
حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم
حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الرأي رأيك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان
قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين للميرة فدخلوا عليه

فعرفهم وهم له منكرون اى عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه فى سن
الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التى راوه عليها من حاله حين فارقوه
وقلة تاملهم فى حلاه من التهيب والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر
ركائبهم بما جاؤا لاجله والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة
الى اخرى وما تزف به المرأة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتونى باخ
لكم من ابيكم روى انه لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله
نحن بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبى من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا
اثنى عشر فذهب احدنا الى البرية وهلك قال فكم انتم هاهنا قالوا عشرة قال فاين الحادى
عشر قالوا عند ابينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا احد هاهنا
من يشهد لنا فقال فدعوا بعضكم عندى رهينة وائتونى باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم
فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطى لكل نفر حملا فسألوا حملا زائدا للاخ لهم من
ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان ياتوا به ليعلم صدقهم الا ترون انى اوفى الكيل اتمه وانا
خير المنزلين للضيف والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تاتونى
به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون اى لا تقربونى ولا تدخلوا ديارى وهو اما نهى او نفى
معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه اباه سنجتهد فى طلبه من ابيه وانا لفاعلون ذلك لا
نتوانى فيه وقال لفتيته لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائى وحفص لفتيانه على جمع
الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم فانه وكل بكل رحل واحدا يعبى فيه
بضاعتهم التى شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا
عليهم وترفعا من ان ياخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به
لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها او لكى يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم
يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل

حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع
من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرأ حمزة والكسائى بالياء على اسناده الى الاخ اى يكتل
لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل امنكم عليه الا
كما امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم فى يوسف وانا له لحافظون فالله خير حافظا فاتوكل
عليه وافوض امرى اليه وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمنى بحفظه ولا يجمع على مصيبتين
وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا فى قراءة حمزة والكسائى وحفص يحتمله والحال كقولهم
لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم
ردت اليهم وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها فى بيع وقيل قالوا
يا ابانا ما نبغى ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا ورد
علينا متاعنا او لا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغى فى القول ولا نزيد فيما حكينا
لك من احسانه وقرئ ما تبغى على الخطاب اى اى شئ تطلب وراء هذا من الاحسان او
من الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا استيناف موضح لقوله ما نبغى ونمير اهلنا
معطوف على محذوف اى ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ
اخانا عن المخاوف فى ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا
اذا كانت ما استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان يكون الجمل
معطوفة على ما نبغى اى لا نبغى فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير اى مكيل
قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك او نزداد واليه
ما يكال لاخيهم ويجوز ان يكون الاشارة الى كيل بعير اى ذلك شئ قليل لا يضايقنا فيه الملك
ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شئ يسير لا يخاطر لمثله بالولد
قال لن ارسله معكم اذ رأيت منكم ما رأيت حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطونى ما اتوثق
به من عند الله اى عهدا مؤكدا بذكر الله لتأتننى به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله

لتأتننى به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء
مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتأتننى به على كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل
على ان قوله لتأتننى به فى تأويل النفى اى لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم
كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اى ما اطلب الا فعلك فلما آتوه موثقهم عهدهم قال الله
على ما نقول من طلب الموثق به وايتائه وكيل رقيب مطلع وقال يا بنى لا تدخلوا من
باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوى جمال وابهة مشتهرين فى
مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله
لم يوصهم بذلك فى الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعى اليها خوفه
على بنيامين وللنفس آثار منها العين والذى يدل عليه قوله عليه السلام فى عوذته
اللهم انى اعوذ بكلمات الله التامة من كل هامة وعين لامة وما اغنى عنكم من الله
من شىء مما قضى عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا
محالة ان قضى عليكم سوءا ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع
بين الحرفين فى عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف
والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث
امرهم ابوهم اى من ابواب متفرقة فى البلد ما كان يغنى عنهم راى يعقوب واتباعهم له من الله
من شىء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع فى
رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب الا حاجة فى نفس يعقوب استثناء منقطع اى ولكن
حاجة فى نفسه يعنى شفقته عليهم وحرازته من ان يعانوا قضيها اظهرها ووصى بها وانه
لذو علم لما علمناه بالوحى ونصب الحجج ولذلك قال وما اغنى عنكم من الله من شىء ولم يغتر
بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر وانه لا يغنى عنه الحذر ولما دخلوا على
يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام او فى المنزل روى انه اضافهم فاجلسهم مثنى

مثنى فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخى يوسف حيا لجلس معى فاجلسه معه
على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثانى له فيكون معى فبات عنده وقال
له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك
يعقوب ولا راحيل قال انى انا اخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا
يعملون فى حقنا فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة فى رحل اخيه قيل كانت
مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال فيها وكانت
من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى
انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير انكم لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف
او كان تعبية السقاية والنداء عليها برضا بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون
يوسف من ابيه او انكم لسارقون والعير القافلة وهى اسم الابل التى عليها الاحمال لانها
تعير اى تتردد فقيل لاصحابها كقوله عليه السلام يا خيل الله اركبى وقيل جمع عير واصلها
فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا
عليهم ماذا تفقدون اى شىء ضاع عنكم والفقد غيبة الشىء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه
وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع
وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير
من الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل اؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة
وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء
مختصة باسم الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم
على براءة انفسهم لما عرفوا منهم فى كرتى مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم
كرد البضاعة التى جعلت فى رحالهم وكعم الدواب كيلا تتناول زرعا او طعاما لاحد
قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرق او الصواع على حذف المضاف ان كنتم

كاذبين في ادعائكم البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته
اخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام
او خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه
على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي
الظالمين بالسرقة فبدأ باوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر
قبل وعاء اخيه نفيا للتهمة ثم استخرجها اي السقاية او الصواع لانه يذكر
ويؤنث من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وقبلها همزة كذلك كدنا مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف
بان علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك ملك مصر لان دينه
الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد الا ان يشاء الله ان
يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اي لكن
اخذه بمشية الله واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعناه درجته وفوق كل
ذي علم عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم ان الله تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان
فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم
هو الله تعالى ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم
وهو مخصوص قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف
قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابرهيم وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب
اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها
فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم وقيل كان لابي امه صنم فسرقه وكسره و
القاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق او دجاجة فاعطاها السائل فاسرها يوسف
في نفسه ولم يبدها لهم اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه
وقيل انها كناية بشريطة التفسير يفسرها قوله قال انتم شر مكانا فانه بدل من اسرها والمعنى

والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا اي منزلة في السرقة لسرقتكم اخاكم او في سوء الصنيع
مما كنتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير
الشأن والله اعلم بما تصفون وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان
له ابا شيخا كبيرا في السن او القدر ذكروا حاله استعطافا له عليه فخذ احدنا مكانه بدله
فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستأنس به انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك
او من المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا
متاعنا فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه انا اذا لظالمون في مذهبكم
هذا وان مراده ان الله اذن في اخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحة ورضاه
عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما فلما استيأسوا يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة
السين والتاء للمبالغة خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحده لانه
مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندي وانديه قال كبيرهم في السن وهو
روبيل او في الرأي وهو شمعون وقيل يهودا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا
من الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتأكيد من جهته ومن
قبل ومن قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شأنه وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية
في موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف
بالظرف او على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل
وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون
موصولة اي ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الجناية ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض
فلن افارق ارض مصر حتى يأذن لي ابي في الرجوع او يحكم الله لي بالخروج منها او
بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل
ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت

من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسّه وكان بنو يعقوب اذا غضب احدهم
فمسّه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبذرًا من بذر يعقوب
وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق
على ما شهدنا من ظاهر الامر وقرئ سُرِّق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما
علمنا بان راينا ان الصاع استخرج من وعائه وما كنا للغيب لباطن الحال حافظين
فلا ندري انه سرق او دُسّ الصاع في رحله او وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين
اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك تصاب به كما اصبت بيوسف واسئل القرية
التي كنا فيها يعنون مصر او قرية بقربها لحقهم المنادي فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسئلهم
عن القصة والعير التي اقبلنا فيها واصحاب العير التي توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون
تاكيد في محل القسم قال بل سولت اي فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال
بل سولت اي زينت وسهلت لكم انفسكم امرًا اردتموه فقررتموه والا فما ادرى الملك
ان السارق يؤخذ بسرقته فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان
يأتيني بهم جميعًا بيوسف وبنيامين واخيهما الذي توقف بمصر انه هو العليم بحالي وحالهم
الحكيم في تدبيرها وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة لما صادف منهم وقال يا اسفى على يوسف
اي يا اسفى تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء
المتكلم وانما تاسف على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزءه كان قاعدة
المصيبات وكان غضًّا آخذًا بمجامع قلبه ولانه كان واثقًا بحيوتهما دون حيوته وفي
الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى
ان يعقوب حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفى وابيضت عيناه من الحزن
لكثرة بكائه من الحزن كأن العبرة محقت سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمي
وقرئ من الحَزَن وفيه دليل على جواز التاسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لا

لا تدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ولده ابرهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا
عليك يا ابرهيم لمحزونون فهو كظيم مملو من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه لا يظهره
فعيل بمعنى مفعول لقوله تعالى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شدّه على ملئه او بمعنى فاعل
لقوله تعالى والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرّته اذا ردها الى جوفه
قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اي لا تفتؤ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما في
قوله • فقلت يمين الله ابرح قاعدا • لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه
علامة الاثبات كان على النفي حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض
الذي اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت
بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب او تكون من الهالكين من الميتين
قال انما اشكو بثي وحزني همي الذي لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر الى الله لا الى احد
منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي واعلم من الله من صنعه ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا
يدع الملتجي اليه ما لا تعلمون او من الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حيوة يوسف قيل
رأى ملك الموت في المنام فسأله عنه فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت
حتى تخر له اخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما
والتحسس تطلب الاحساس ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه
وقرئ من رُوح الله اي من رحمته التي تحيى بها العباد انه لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته في شيء من الاحوال فلما
دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر
شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة ردية او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته
اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل

الصنوبر وحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل فاتم لنا الكيل و
تصدق علينا برد اخينا او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف
في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء او تختص بنبينا عليه وعليهم السلام ان الله يجزي المتصدقين
احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه السلام في القصر هذه صدقة
تصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله قال هل علمتم
ما فعلتم بيوسف واخيه اي هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى
كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته
وانما قال ذلك تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما راى من عجزهم وتمسكنهم
لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه السلام في تخليص بنيامين وذكروا له
ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم فعل
الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك
حقق بان ودخول اللام عليه وقرا ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم
وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن راسه فراوا علامة بقرنه تشبه الشامة
البيضاء وكانت لسارة ويعقوب مثلها قال انا يوسف وهذا اخي من ابي وامي ذكره
تعريفا لنفسه وتفخيما لشانه وادخالا له في قوله قد من الله علينا اي بالسلامة والكرامة
انه من يتق اي من يتق الله ويصبر على البليات او على الطاعات وعن المعاصي فان الله
لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين
التقوى والصبر قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة
وان كنا لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك قال لا تثريب عليكم
لا تانيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش للازالة كالتجليد فاستعير
للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار

للجار الواقع خبر لا تثريب والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام
او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها حينئذ وهو ارحم الراحمين فانه
يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا
اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا
فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ
عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني
من حفدة ابرهيم عليه السلام اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث
الذي كان في التعويذ فالقوه على وجه ابي يات بصيرا اي يرجع بصيرا اي ذا بصر واتوني
انتم وابي باهلكم اجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت
من عمرانها قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح ما عبق بقميصه
من ريحه حين اقبل اليه يهودا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون تنسبوني الى الفند وهو
نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتي
وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا اي الحاضرون تالله انك
لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع
للقائه فلما ان جاء البشير يهوذا روي انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه
بحمل هذا اليه القاه على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب او يعقوب نفسه فارتد
بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من
حيوة يوسف وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدا والمقول لا تياسوا من روح
الله او اني لاجد ريح يوسف قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق
المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسال له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم
اخره الى السحر او الى صلوة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من

يوسف او بعلمه انه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة
قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل عليه السلام
وقال ان الله تعالى قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل
على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه اليه
رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين
دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامراة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة
وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى آوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما
نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب في قوله واله اباءك ابراهيم واسماعيل واسحق او لان
يعقوب تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من القحط
واصناف المكاره والمشية متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان في
موضع خارج حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة فان السجود
كان عندهم يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو لابويه
واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا تاويل
رؤياي من قبل رايتها ايام الصبي قد جعلها ربي حقا صدقا وقد احسن بي اذ اخرجني
من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا
اصحاب المواشي واهل البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي افسد بيننا
وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجري ان ربي لطيف لما يشاء
لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه مشيته ويتسهل دونها انه هو العليم بوجوه
المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شيء في وقت وعلى وجه يقتضي الحكمة روي ان
يوسف طاف بابيه عليهما السلام في خزائنه فلما ادخله خزانة القرطاس قال يا بني ما اغفلك
عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل قال او ما تساله قال

قال انت ابسط مني اليه فسأله قال جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله
الذئب قال فهلا خفتني رب قد آتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني
من تاويل الاحاديث الكتب او الرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التاويل
فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادى او منادى برأسه
انت وليي ناصري ومتولي امري في الدنيا والآخرة او الذي يتولاني بالنعمة فيهما توفني
مسلما اقبضني والحقني بالصالحين من آبائي او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روي
ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفي واوصى ان يدفن بالشام الى جنب
ابيه فذهب به ودفنه ثمة ثم عاد وعاش بعده ثلثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى
الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال
فراوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى
مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد
له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امراة ايوب ذلك اشارة الى ما
ذكر من نبأ يوسف والخطاب للرسول وهو مبتدأ من انباء الغيب نوحيه اليك خبران له
وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى ان هذا النبأ غيب لم تعرفه
الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه في غيابة الجب
وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا
سمع ذلك فتعلمه منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره في غير هذه القصة كقوله ما كنت
تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في
اظهار الآيات عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسألهم عليه على الانباء او
القرآن من اجر جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة
وكأين من آية وكم من آية والمعنى وكاي عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود الصانع

وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموات والارض يمرون عليها على الايات ويشاهدونها
وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدا
خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب على ويطؤون الارض وقرئ والارض
يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم
بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبني اليه
او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الاية في مشركي مكة وقيل
في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة
تغشاهم وتشملهم او تاتيهم الساعة بغتة فجاة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها
غير مستعدين لها قل هذه سبيلي يعني الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر
السبيل بقوله ادعوا الى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة
غير عمياء انا تاكيد للمستتر في ادعوا او على بصيرة حال منه او مبتدا خبره على بصيرة ومن
اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها من الشركاء
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفي
استنباء النساء يوحي اليهم كما اوحي اليك ويتميزوا بذلك عن غيرهم وقرا حفص نوحي في كل
القرآن ووافقه حمزة والكسائي في سورة الانبياء من اهل القرى لان اهلها اعلم واحلم
من اهل البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من
المكذبين بالرسل والايات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المنهمكين
عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الاخرة ولدار الحال او الساعة او الحيوة الاخرة خير للذين
اتقوا الشرك والمعاصي افلا تعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرا نافع وابن
عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتى اذا
استيأس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي ايامهم فان من قبلهم امهلوا

امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين
متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون
او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اي وظن المرسل اليهم ان الرسل
قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني للرسل اي وظنوا ان
الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روي عن ابن عباس
ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في
القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل
التمثيل وقرا غير الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم
وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما
تراخي عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي والمؤمنين وانما لم يعينهم
للدلالة على انهم الذين يستاهلون ان يشاد بنجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرا ابن عامر
وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجي ولا يرد باسنا عن القوم
المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان المستثنين لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء
واممهم او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبراة عن شوائب
الالف والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن حديثا مفترى ولكن
تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين
اذ ما من امر ديني الا وله سند من القرآن بوسط او غير وسط وهدى من الضلالة ورحمة
ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علموا
ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله
عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

سورة الرعد مدنية

وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الآية وآيها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم

المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك آيات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك
اشارة الى آياتها اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة او القرآن والذي انزل اليك
من ربك هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او
احدى الصفتين على الاخرى والرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى
وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت
بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر
والتامل فيه الله الذي رفع السموات مبتدأ وخبره ويجوز ان يكون الموصول صفة
والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ
عمد كرسل ترونها صفة لعمد او استيناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على
وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على ساير الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية
واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح
بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات ثم استوى على
العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد
من السرعة ينفع في حدوث الكائنات وبقائها كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها
ادواره او لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت
يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك يفصل الآيات
ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون
لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها
قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها
الاقدام ويتقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت

ثبت جمع راسية والتاء للتانيث على انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال
وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق
بقوله جعل فيها زوجين اثنين اي وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين
كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير يغشي الليل النهار يلبسه مكانه
فيصير الجو مظلما بعد ما كان مضيئا وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يغشي بالتشديد ان في
ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود
صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها وفي الارض قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها
سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا
تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع في
الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث
انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل و
بساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرأ ابن
كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات صنوان نخلات
اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقرأ حفص بالضم وهو لغة بني
تميم كقنوان في جمع قنو تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمر شكلا
وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد
الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى
بالتذكير على تاويل ما ذكر وحمزة والكسائي ويفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان في ذلك
لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم
حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شيء
عليه والآيات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدأ فهي دالة على امكان الاعادة من حيث

انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته أئذا كنا ترابا أئنا لفي خلق
جديد بدل من قولهم او مفعول له والعامل في اذا محذوف دل عليه أئنا لفي خلق جديد اولئك
الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال في اعناقهم مقيدون
بالضلال لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيامة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة
بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا بما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد
خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا
حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل
المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقصصته منه و
قرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع
والمثلات على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم مع
ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل على جواز العفو قبل
التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب
الكبائر او اول المغفرة بالستر والامهال وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن شاء
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احدا العيش ولولا وعيده
وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه لعدم اعتدادهم
بالايات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى انما انت منذر مرسل للانذار كغيرك
من الرسل وما عليك الا الاتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك
ولكل قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى
الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل من
الايات ثم اردف ذلك ما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى

قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر
على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي حملها او ما
تحمله انه على اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد وما تنقصه
وما تزداده في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند
مالك وسنتان عند ابي حنيفة وروي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع
سنين واعلى عدده لا حد له وقيل نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة و
قال الشافعي اخبرني شيخ باليمن ان امرأة ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد
نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال الله تعالى وازدادوا
تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ما ان تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز
فانهما لله تعالى او لما فيها وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله تعالى انا
كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة
اليه تقتضي ذلك عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير العظيم الشان
الذي لا يخرج عن علمه شيء المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين
وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل
طالب للخفاء في مختبأ بالليل وسارب بالنهار بارز يراه كل احد من سرب سروبا
اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من
يا ذئب يصطحبان كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية
متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله لمن اسر او جهر واختفى او سرب معقبات ملائكة
تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب
بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونه او اعتقب فادغمت التاء في القاف
والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة

على تعويض اليائين احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من
الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من بأسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له
او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى
الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول
السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة
حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له
فلا رد له فالعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع
عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله محال هو الذي يريكم البرق خوفا من
اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع
او التأويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذوي او
اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره و
يطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة وانما
وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين
به فيضجون بسبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله وكمال قدرته
ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما سئل النبي صلى الله
عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب
والملائكة من خيفته من خوف الله واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب
بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال
التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة او للحال
فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول
صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله تعالى على اربد صاعقة
فقتلته ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت
في بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال المماحلة المكايدة لاعدائه من محل فلان
اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف باستعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى
القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على
غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان
يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد
له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة
فان من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة
الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله
وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الاية في عامر واربد ان اهلاكهما
حيث لم يشعرا به محال من الله واجابة لدعوة رسوله او دلالة على انه على الحق وان
كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم او بيان
ضلالهم وفساد رأيهم والذين يدعون اي والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف
الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه
لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه
الى الماء ليبلغ فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر
على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى
دعائهم لها بمن اراد ان يغرف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء
وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من

في السموات والارض طوعا وكرها يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة
والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة و
الضرورة وظلالهم بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاؤوا او كرهوا
وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال او العلة
وقوله بالغدو والآصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال من الضلال وتخصيص
الوقتين لان الامتداد والتقلص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى وقناة والآصال
جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو
الدخول في الاصيل قل من رب السموات والارض خالقهما ومتولي امرهما قل الله اجب
عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به قل
افاتخذتم من دونه ثم الزمهم بذلك لان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل اولياء لا يملكون
لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون
انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم اولياء رجاء
ان يشفعوا لهم قل هل يستوي الاعمى والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها
والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم ام هل تستوي
الظلمات والنور الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالياء ام جعلوا لله شركاء
بل اجعلوا والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار فتشابه
الخلق عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم
الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء
عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق قل الله خالق كل شيء لا خالق غيره فيشاركه في
العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله
وهو الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب على كل شيء انزل من السماء ماء من السحاب و

او من جوانب السماء او من السماء نفسها فان المبادي منه فسالت اودية انهار
جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجاري فيه
وتنكيرها لان المطر يأتي على تناوب بين البقاع بقدرها بمقدارها الذي علم الله انه نافع
غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا رفعه والزبد وضر الغليان رابيا
عاليا ومما توقدون عليه في النار يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس
على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه ابتغاء حلية اي طلب حلي او متاع كالاواني وآلات
الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها زبد مثله اي ومما توقدون عليه زبد
مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء او للتبعيض وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء
على ان الضمير للناس واضماره للعلم به كذلك يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل
فانه مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الاودية على
قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منابعه
ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقنى والآبار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ
الحلي واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة
زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء يجفا به اي يرمي به السيل و
الفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس كالماء
وخلاصة الفلز فيمكث في الارض ينتفع به اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات
للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا له
وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل لشان الفريقين ضرب المثل
لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهو المثوبة او الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ
خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان
مآل غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه

لا ينقص منه شيء ومأويهم مرجعهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف افمن يعلم
انما انزل اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة
للانكار ان تقع شبهة في تشابههما بعد ما ضرب من المثل انما يتذكر اولوا الالباب ذووا العقول
المبرأة عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله ما عقدوه على انفسهم
من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق
ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون
ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء ويندرج في
ذلك مراعاة جميع حقوق الناس ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون سوء الحساب خصوصا
فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا على ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى
ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء او سمعة ونحوهما واقاموا الصلوة المفروضة وانفقوا
مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن لا يعرف بالمال وعلانية لمن عرف
ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون
الحسنة السيئة فتمحوها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي
الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولي الالباب فاستئناف
بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدأ خبره يدخلونها
والعدن الاقامة اي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم
وازواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الاخر او
او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم و
تعظيما لشأنهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوفين بتلك
الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم
والتقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا ينفع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من

من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة بدوام
السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل
والباء للسببية او البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن
العين بنقل كسرتها الى الفاء وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعني مقابلي الاولين
من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاقرار والقبول ويقطعون ما امر الله به ان
يوصل ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار
عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار الله يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا اي اهل مكة بالحيوة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما
الحيوة الدنيا في الاخرة في جنب الاخرة الا متاع الا متعة لا تدوم كعجالة الراكب و
زاد الراعي والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الاخرة
واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه
اية من ربه قل ان الله يضل من يشاء باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات ويهدي
اليه من اناب اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كانه
قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى
اهتدائهم وان انزلت كل اية ويهدي اليه من اناب بما جئت به بل بادنى منه من الايات
الذين امنوا بدل من من او خبر مبتدأ محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا
عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالة على وجوده و
وحدانيته او بكلامه يعني القران الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن اليه
الذين امنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه
واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ
وحسن مآب بالنصب كذلك مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة قد خلت

من قبلها تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلوا عليهم الذي اوحينا
اليك لتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحيناه اليك وهم يكفرون بالرحمن وحالهم انهم يكفرون
بالبليغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما
انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم
وقيل نزلت في مشركي مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قل هو ربي
اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي
عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم ولو ان قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد
منه تعظيم شأن القرآن او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان كتابا زعزعت
به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله عند قراءته او تشققت
فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى فتقرأه او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن
لانه الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار او لما آمنوا به كقوله ولو اننا نزلنا
اليهم الملائكة الاية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقرآنك الجبال
عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى
الشام او ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا
فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب متقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما
بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الامر جميعا بل لله القدرة
على كل شيء وهو اضراب عما تضمنه لو من معنى النفي اي بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه
من الآيات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله افلم
ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم مع ما راوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما
روي ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسيره
وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم بان المأيوس عنه لا يكون ولذلك علقه بقوله ان

لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق
المشية باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين آمنوا
عن ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بآمنوا ولا يزال الذين كفروا
تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقلهم او تحل قريبا
من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شرورها وقيل الاية في كفار مكة فانهم لا يزالون
مصابين بما صنعوا برسول الله فانه عليه السلام كان لا يزال يبعث السرايا فتغير
حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول صلى الله
عليه وسلم فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية حتى ياتي وعد الله الموت او القيامة
او فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب في كلامه ولقد استهزئ برسل
من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين
به والمعنى حين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان في دعة وامن ثم اخذتهم
فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم افمن هو قائم على كل نفس رقيب عليها بما كسبت من
خير او شر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره
كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استئناف او عطف على كسبت ان جعلت ما مصدرية
او على الخبر المقدر للمبتدأ اي افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء او لم
يوحدوه وجعلوا عطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة
وقوله قل سموهم تنبيها على ان هؤلاء الشركاء لا يستحقون به العبادة ويستأهلون
الشركة ام تنبئونه بل اتنبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف بما لا يعلم في الارض بشركاء
يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل
شيء ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار
معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي على نفسه بالاعجاز

بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا اباطيله ثم خالوها او كيدهم للاسلام بشركهم
وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا
بالفتح اي وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل
الله يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر
ما يصيبهم من المصائب ولعذاب الاخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله من
عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل
في الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره
تجري من تحتها الانهار على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل
الجنة جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من
العائد المحذوف من الصلة اكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ
كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى
امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين
والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام
واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان
وثلثون بالحبشة او عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم
الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه
والسيد والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما يخالف شرائعهم او ما يوافق ما
حرفوه منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين اي قل لهم اني امرت
فيما انزل الي بان اعبد الله واوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما
ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية في جزئيات
الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعو لا الى غيره واليه مآب واليه

واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ما عدا ذلك من
التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك ومثل هذا
الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم في القضايا والوقايع
بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال
ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم بعد ما حولت
عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع
العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم ولقد ارسلنا رسلا
من قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي لك وما كان
لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه ان يأتي باية تقترح عليه وحكم يلتمس منه الا باذن الله
فانه المليء بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما تقتضيه استصلاحهم
يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب
ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره
مثبتا او يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخرين وقيل يمحو
الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويثبت بالتشديد
وعنده ام الكتاب اصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه
واما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك وكيف ما دارت الحال اريناك بعض ما
اوعدناهم او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب المجازاة لا عليك
فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلايعه اولم يروا انا نأتي
الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم لا معقب
لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه
يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن

لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم
عما قليل في الآخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم
بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه بمكر دون مكره فانه القادر على ما هو المقصود
منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين
حيثما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم في غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله بهم واللام تدل على ان
المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع و
ابو عمرو الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله وسيعلم من
اعلمه اذا اخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله
شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتي ما يغني عن شاهد يشهد عليها ومن
عنده علم الكتاب علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز او علم التورية وهو ابن سلام و
اضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله اي كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في
اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر
وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ
والظرف خبره وهو متعين للثانية وقرئ ومن عنده علم بالحرف والبناء للمفعول
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن
كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله

سورة ابرهيم مكية وهي احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب اي هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه من
الظلمات من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار
من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط

العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استيناف على انه جواب لمن يسأل
عنه واضافة الصراط الى الله اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه
على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله الله الذي له ما في السموات وما في الارض على
قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر محذوف والذي صفته وعلى قراءة الباقين
عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب
شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوأل
وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين
يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة يختارونها عليها فان المختار للشيء يطلب من نفسه ان
يكون احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان و
قرئ ويصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا نكب وليس فصيحا
لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا
عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة
للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه او على انه مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد اي
ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة
او للامر الذي به الضلال فوصف به لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه
ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي
صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم
استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد
في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح وكد النفس من القرب
المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة

وسكون على الجمع كعُمُد وعَمَد وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم وانه تعالى انزل الكتب كلها
بالعربية ثم ترجمها جبرئيل او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير
القوم والتورية والانجيل ونحوهما لم ينزل ليبين للعرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن
الايمان ويهدي من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم الذي لا يضل
ولا يهدي الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعني اليد والعصا وسائر معجزاته ان اخرج قومك
من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان في الارسال معنى القول او بان اخرج فان صيغ
الافعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح ان توصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله
بوقائعه التي وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ان في
ذلك لايات لكل صبار شكور يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فاذا سمع بما نزل على من قبله
من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل
لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن واذ
قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجيكم من ال فرعون اي اذكروا نعمته وقت انجائه
اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريد بها
العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب
ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من ال فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد
بالعذاب ههنا غير المراد في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه
التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة وفي ذلكم من
حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان يكون الاشارة
الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تاذن ربكم ايضا من كلام موسى عليه السلام وتاذن
بمعنى اذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم
يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة و

ولئن كفرتم ان عذابي لشديد فلعلي اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم
الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر او مفعول تاذن
على انه يجري مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا
من الثقلين فان الله لغني عن شكركم حميد مستحق للحمد في ذاته محمود تحمده الملائكة و
تنطق بنعمه ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام
وعرضتموها للعذاب الشديد الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من
كلام موسى او كلام مبتدأ من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا
او الذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم
عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود كذب النسابون جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا
ايديهم في افواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من
الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه او استهزاء عليه كمن غلب عليه الضحك او اسكاتا للانبياء
وامرا لهم باطباق الافواه او اشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا
تنبيها على ان لا جواب لهم سواه او ردوها في افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى
هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردوا ايادي الانبياء
التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم
يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا
لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة
او ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الشيء قالت رسلهم افي الله شك
ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي انما
ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشار الى ذلك بقوله
فاطر السموات والارض وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان

بعثه ايانا ليغفر لكم او يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له مقام
المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه تعالى فان الاسلام يجبه دون المظالم
وقيل جي بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القران تفرقة بين الخطابين
ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث
جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول
الخروج عن المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله وجعله اخر اعماركم قالوا
ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان
يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد
اباؤنا بهذه الدعوى فاتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية
او على صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاؤا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم
اية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء
من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله
ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيته
تعالى وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اي ليس الينا الاتيان بالايات ولا
تستبد به استطاعتنا حتى ناتي بما اقترحتموه وانما هو امر يتعلق بمشية الله فيخص كل نبي
بنوع من الايات وعلى الله فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم
عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا ترى قوله وما لنا
الا نتوكل على الله اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم
ان الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف هنا وفي العنكبوت ولنصبرن على ما اذيتمونا
جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله
فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم وقال الذين

الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا على ان يكون احد
الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم
قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن امن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فاوحى
اليهم ربهم اي الى رسلهم لنهلكن الظالمين على اضمار القول واجراء الايحاء مجراه لانه نوع
ولنسكننكم الارض من بعدهم اي ارضهم وديارهم كقوله واورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا
لاوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين و
اسكان المؤمنين لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة
يوم القيمة او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد اي وعيدي
بالعذاب او عذابي الموعود للكفار واستفتحوا سالوا من الله الفتح على اعدائهم او القضا
بينهم وبين اعاديهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف
على فاوحى والضمير للانبياء وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سالوه ان ينصر
المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد اي
ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله معاند للحق ومعنى الخيبة اذا كان
الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين كان اوقع من ورائه جهنم اي من بين يديه
فانه مرصد بها واقف على شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الاخرة وقيل من وراء حيوته
وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى
فيها ما يلقى ويسقى صديد عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف
جرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير في يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف
يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس
وياتيه الموت من كل مكان اي اسبابه من الشدائد فتحيط به من جميع الجهات وقيل من

كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت فيستريح ومن
ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اى يستقبل فى كل وقت عذابا اشد مما هو عليه
وقيل هو الخلود فى النار وقيل حبس الانفاس وقيل الاية منقطعة عن قصة
الرسل نازلة فى اهل مكة طلبوا الفتح الذى هو المطر فى سنتهم التى ارسل الله عليهم بدعوة رسوله
فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعدهم ان يسقيهم فى جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار
مثل الذين كفروا بربهم مبتدأ خبره محذوف اى فيما يتلى عليكم صفتهم التى هى مثل فى الغرابة
او قوله اعمالهم كرماد وهى على الاول جملة مستانفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من
المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح فى
يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم و
ليله قائم شبه صنايعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو
ذلك من مكارمهم فى حبوطها لبنائها على غير اساس من معرفة الله والتوجه بها اليه او
اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا من اعمالهم على
شىء لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم
مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد فانه الغاية فى البعد عن طريق الحق الم تر خطاب
للنبى والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموات و
الارض بالحق بالحكمة والوجه الذى يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائى خالق السموات
ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا اخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا
للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم
بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر ان يبدلهم بخلق اخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك
على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا
شانه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء وبرزوا لله

جميعا اى يبرزون من قبورهم يوم القيمة لامر الله ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا
يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله
عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضى لتحقق وقوعه فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف يريد
ضعاف الراى وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو
للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا فى تكذيب
الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة
او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شىء من
الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اى بعض
الشىء الذى هو عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض اى بعض شىء هو بعض عذاب الله
والاعراب ما سبق ويحتمل ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اى فهل انتم مغنون بعض
العذاب بعض الاغناء قالوا اى الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا
عما فعلوا بهم لو هدينا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اى اخترنا لكم
ما اخترناه لانفسنا او لو هدينا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم
له لكن سد دوننا طريق الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع
والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة
الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله
سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون
خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا
وقال الشيطان لما قضى الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
خطيبا فى الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا
انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان

كانا فالاصنام تنفعكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان لي عليكم من سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي اسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوسوستي فان من صرح العداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو الكسب الذي يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخي بمغيثي وقرا حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحري ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف في ضربته واعطيتكاه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة اني كفرت بما اشركتمون من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتموني اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرات منه واستنكرته كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياي فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لادم واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله

الله وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اي تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه كلمة طيبة كشجرة طيبة اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف اي هي كشجرة وان يكون اول مفعولي ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها في السماء ويجوز ان يريد وفروعها اي افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثاني ابلغ تؤتي اكلها تعطي ثمرها كل حين وقته الله لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت استوصلت واخذت جثتها بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقران والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك مرفوعا وبشجرة في الجنة والخبيثة بالحنظل والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم في الحيوة الدنيا فلا يزالون اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى عليهما السلام وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الاخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا تدهشهم اهوال القيمة وروي انه عليه السلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فياتيه ملكان

فيجلس في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني
الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك
قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين ظلموا انفسهم
بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن ويفعل الله
ما يشاء من تثبيت بعض واضلال اخرين من غير اعتراض عليه الم تر الى الذين بدلوا نعمة
الله كفرا اي شكر نعمة الله كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها
سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه
وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك
فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين
بالكفر وعن عمر وعلي رضي الله عنهما هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما
بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين واحلوا قومهم شايعوهم في الكفر
دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من القوم
اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم وبئس القرار اي وبئس
المقر جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذي هو التوحيد وقرا ابن كثير وابو عمرو
ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد
ولكن لما كان نتيجته جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل
الشهوات التي تتمتع بها وفي التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه
الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم الى النار
وان المخاطب لانهماكه فيه كالمامور به من امر مطاع قل لعبادي الذين امنوا خصهم بالاضافة
تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه اي
قل لعبادي الذين امنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم فيكون

فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب
الموجب له ويجوز ان يقدرا بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم
يحسن في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما
جوابا اقيموا وانفقوا اقيما مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة بين الشرط
وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا سرا وعلانية
منتصبان على المصدر اي انفاق سر وعلانية او على الحال اي ذوي سر وعلانية
او على الظرف اي وقتي سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به
من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدي به نفسه
ولا خلال ولا مخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة
ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما
على النفي العام الله الذي خلق السموات والارض مبتدأ وخبر وانزل من السماء ماء
فاخرج به من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول اخرج ومن
الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة
او المصدر لان اخرج في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بامره بمشيته الى حيث توجهتم
وسخر لكم الانهار فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية
اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدابان في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه
من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم واتاكم من كل ما
سالتموه اي بعض جميع ما سالتموه يعني من كل شيء سالتموه شيئا فان الموجود من كل
صنف بعض ما في قدرة الله ولعل المراد بما سالتموه ما كان حقيقا بان يسال لاحتياج
الناس اليه سئل او لم يسال وما يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون
المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اي واتاكم من كل شيء ما احتجتم اليه وسالتموه

بل ان الحال ويجوز ان يكون ما نافية في موضع الحال اي واتاكم من كل شيء غير سائليه
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها فانها
غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ان الانسان لظلوم
يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل
ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد
بلد مكة امنا ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا امنا ان المسئول
في الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفي الثاني جعله من البلاد الآمنة واجنبني وبني
بعدني واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها في جانب وقرئ واجنبني وهما لغة نجد واما
اهل الحجاز فيقولون جنبني شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه
اياهم وهو بظاهره لا يتناول احفاده وزعم ابن عيينة ان اولاد اسماعيل عليه السلام
لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون
البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا من الناس فلذلك
سالت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار
السببية كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعني على ديني فانه مني اي بعضي لا ينفك عني في امر
الدين ومن عصاني فانك غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق
للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق
بينه وبين غيره ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي او ذرية من ذريتي فحذف
المفعول وهم اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع
يعني وادي مكة فانها حجرية لا تنبت عند بيتك المحرم الذي حرمت التعرض له والتهاون
به او لم يزل معظما ممنعا تهابه الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك
سمي عتيقا اي اعتق منه ودعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما

كان او ما يئول اليه روي ان هاجر كانت لسارة فوهبتها من ابرهيم عليه السلام فولدت
منه اسمعيل فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر
الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثم طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فراوهما و
عندهما عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك في البانها ففعلت ربنا ليقيموا الصلوة
اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق
الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة
بالذات من اسكانهم ثمه والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو
الدعاء لهم باقامة الصلوة كانه طلب منهم الاقامة وسال من الله ان يوفقهم لها فاجعل
افئدة من الناس اي افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل
لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء
كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرئ آفدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة
كآدر في ادؤر وان يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة يعجلون
نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان
يكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم شوقا ووداد وقرئ تهوى على البناء للمفعول من
اهوى اليه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع وارزقهم
من الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله
حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء حتى يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في
يوم واحد ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا
ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا للعبودية لك
وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن
من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجاء الى الله

وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لانه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته الى كل
معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي وهب لي وانا كبير آيس عن
الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها من الآية اسمعيل واسحق روي
انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة سنة ان ربي لسميع الدعاء
اي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل
اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله على المجاز وفيه اشعار بانه
دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من اجل
النعم واجلاها رب اجعلني مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي عطف على
المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله او استقراء عادته في الامم الماضية انه
يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل دعائي واستجب دعائي او تقبل عبادتي ربنا اغفر لي و
لوالدي وقرئ لابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحواء
وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على
ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا
عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله والمراد به تثبيته على ما عليه من انه مطلع على احوالهم و
افعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من
توهم غفلة جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما
يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار اي تشخص ابصارهم
فلا تقر في اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي او مقبلين بابصارهم
لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشيء مقنعي رؤسهم رافعيها لا يرتد
اليهم طرفهم بل تبقى عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم
وافئدتهم هواء خلاء اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق و

وللجبان قلبه هواء اي لا رأي فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء وقيل
خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعني يوم القيمة او يوم
الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب
ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان
قريب او اخر آجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل
جواب للامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا
اقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب
على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم
اقسموا بطرا وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا
ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا
بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر و
المعاصي كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى بفي كقر وغني واقام وقد يستعمل بمعنى
التبوء فيجري مجراه كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدون في منازلهم
من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا لكم الامثال من احوالهم اي بينا لكم
انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال
المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وعند الله
مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له
وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال مسوى لازالة الجبال ومعدا لذلك
وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبي
ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا و
تمكنا من آيات الله وشرائعه وقرأ الكسائي لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام

هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان
كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا
ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا لقوله
ان الله لا يخلف الميعاد فاذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلف رسله ان الله عزيز
غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض
بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب
بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده والسموات عطف على الارض وتقديره والسموات
غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم
جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه
قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والاية تحتملهما وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من
فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها
احد خطيئة وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه
ما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم
العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل
بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة
على ما اشعر به قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا
من اجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان
الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد
غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا تجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن
بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا
مع الشياطين او مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم و

وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم
وارجلهم في الاصفاد متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال
سلامة بن جندل وزيد الخيل مقرنا في صفاد يعض بعد وبعظم ساق واصله الشد
سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابهل
فيطبخ فتهنا به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة
يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة
لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين
كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات
الردية والهيئات الوحشية فتجلب اليها انواعا من الغموم والالام وعن يعقوب قطرآن
والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية او حال من الضمير
في مقرنين وتغشى وجوههم النار اي وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا
في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن
المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة وقوله
يوم يسحبون في النار على وجوههم ليجزي الله كل نفس اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس
مجرمة ما كسبت او كل نفس من مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون
لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا ان
الله سريع الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب هذا اشارة الى القران او السورة
او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن الله بلاغ للناس كفاية
لهم في الموعظة ولينذروا به عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فيكون
اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل او تلي وقرئ
بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتامل فيما فيه

من الايات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم
ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه ذكر لهذا البلاغ ثلث فوائد هي الغاية والحكمة في انزال
الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح
القوة العملية التي هي التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفائزين بهما وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام
وعدد من لم يعبد

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك ايات الكتاب وقران مبين الاشارة الى ايات السورة والكتاب هو
السورة وكذا القران وتنكيره للتفخيم اي ايات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرانا يبين
الرشد من الغي بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال
المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيمة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف
وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحه مع التشديد والتخفيف
وبتاء التانيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل
الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة
موصوفة كقوله • ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال • ومعنى التقليل فيه
الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحرى ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه
كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيمة فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا
ذلك والغيبة في حكايه ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم يأكلوا
ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال
عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط
الرسول صلى الله عليه وسلم من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغالا

اشتغالا بما لا طائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه
طول الامل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح
والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا يدخلها الواو كقوله الا لها منذرون
ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال دخلت عليها تاكيدا للصوقها بالموصوف ما
تسبق من امة اجلها وما يستاخرون عنه وتذكير ضمير امة فيه للحمل على المعنى وقالوا يا ايها
الذي نزل عليه الذكر نادوا به النبي صلى الله عليه وسلم على التهكم الا ترى الى ما نادوه له
وهو قوله انك لمجنون ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى
انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر اي القران لو ما تاتينا
بالملائكة ركبت لو مع ما كما ركبت مع لا لمعنيين امتناع الشئ لوجود غيره والتحضيض
بالملائكة ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه
نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة قبل ان كنت من الصادقين
في دعواك ما ننزل الملائكة بالياء مسندا الى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص
بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل الا
بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان تاتيكم
بصورة تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن
ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا اذا
منظرين اذن جواب لهم وجزاء الشرط مقدر اي ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين
انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله
وانا له لحافظون اي من التحريف والزيادة والنقص جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر
لا يخفى تغيير نظمه على اهل اللسان او نفي تطرق الخلل اليه في الدوام بضمان الحفظ له كما نفي
ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي صلى الله عليه وسلم ولقد ارسلنا من قبلك

اى وما يستأخرون

في شيع الاولين في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه
اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم و
جعلناهم رسلا فيما بينهم وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كما يفعل هؤلاء وهو
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وما للحال لا يدخل الا مضارعا بمعناه او ماضيا قريبا منه
وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه ندخله في قلوب المجرمين والسلك ادخال
الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على انه
تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر في قوله لا يؤمنون به له وهو
حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا
غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب
الضمائر توافقها في المرجوع اليه ولا يتعين ان يكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان يكون
حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الاول بل تقويه وقد خلت سنة الاولين
اي سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون
وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون
يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون او تصعد الملائكة
وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم في العناد وتشككهم في الحق انما سكرت ابصارنا
سدت من الابصار بالسحر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر
ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه
عند ظهور غيره من الآيات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه
لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا في السماء بروجا
اثني عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء
وزيناها بالاشكال والهيئات البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة

قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم فلا يقدر ان يصعد
اليها فيوسوس اهلها ويتصرف في امرها ويطلع على احوالها الا من استرق السمع بدل
من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات
لما بينهم من المناسبة في الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن
عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلث سموات
فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد
لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من استرق السمع
فاتبعه فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد تطلق
للكواكب والسنان لما فيهما من البريق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي
جبالا ثوابت وانبتنا فيها في الارض او فيها وفي الجبال من كل شيء موزون مقدر
بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن متناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن و
يقدر او له وزن في ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها من
المطاعم والملابس وقرئ بالهمزة على التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين عطف
على معايش او على محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم
يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الآية الاستدلال بجعل الارض ممدودة
بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة
خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد في الالوهية
والامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ في ذلك فقال
وان من شيء الا عندنا خزائنه اي وما من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه
اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة
التي لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم حده

الحكمة وتعلقت به المشية فان تخصيص بعضها بالايجاد فى بعض الاوقات مشتملا على بعض
الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التى
جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر
والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات فى قوله ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وارسلنا
الريح على تاويل الجنس فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له
بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين فى الغدران و
العيون والابار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما تدل حركة الهواء فى بعض الاوقات
من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضى الغور فوقوفه دون حد
لا بد له من مخصص وانا لنحن نحيى بايجاد الحيوة فى بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها
وقد اول الحيوة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون
الباقون اذا مات الخلائق كلها ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين
من استقدم ولادة وموتا ومن استاخر او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج
بعد او من تقدم فى الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة او تاخر لا يخفى علينا شىء من احوالكم
وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل
رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان
امراة حسناء كانت تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا
ينظر اليها وتاخر بعض ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير
للدلالة على انه القادر والمتولى لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه
على ان ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم
كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة متقن فى افعاله عليم وسع علمه كل شىء ولقد خلقنا
الانسان من صلصال طين يابس يصلصل اى يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل

اذا انتن تضعيف صل من حماء طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة
صلصال اى كائن من حماء مسنون مصور من سنة الوجه او مصبوب ليبس ويتصور
كالجواهر المذابة تصب صورتها فى القوالب من السن وهو الصب كانه افرغ الحماء فصور
منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى
سواه ونفخ فيه من روحه او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل
بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس
كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة
واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خلقناه من قبل من قبل
خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ فى المسام ولا يمتنع خلق
الحيوة فى الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها فى الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المولفة
التى الغالب فيها الجزء النارى فانها اقبل لها من التى الغالب فيها الجزء الارضى وقوله
من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الاية كما هو للدلالة على كمال
قدرة الله وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التى يتوقف عليها
امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك واذكر وقت قوله للملائكة
انى خالق بشرا من صلصال من حماء مسنون فاذا سويته عدلت خلقته وهيأته لنفخ
الروح فيه ونفخت فيه من روحى حتى جرى اثاره فى تجاويف اعضائه فحيى واصل النفخ
اجراء الريح فى تجويف جسم اخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث
من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسرى حاملا لها فى تجاويف الشرايين الى
اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه لما مر فى النساء
فقعوا له فاسقطوا له ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملائكة كلهم اجمعون اكد بتاكيدين
للمبالغة فى التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم

سجد والمجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك لكان الثانى حالا لا تاكيدا الا ابليس
ان جعل منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون مع الساجدين اى ولكن ابليس ابى وان
جعل متصلا كان استينافا على انه جواب سائل قال هلا سجد قال يا ابليس ما لك الا تكون
اى غرض لك فى ان لا تكون مع الساجدين لادم قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفى
اى لا يصح منى وينافى حالى ان اسجد لبشر جسمانى كثيف وانا ملك روحانى خلقته من صلصال
من حماء مسنون وهو اخس العناصر وخلقتنى من نار وهى اشرفها استنقص ادم باعتبار
النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه فى سورة الاعراف قال فاخرج منها من السماء او
الجنة او زمر الملائكة فانك رجيم مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر
او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة هذا
الطرد والابعاد الى يوم الدين فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه
زمان الجزاء وما فى قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى آخر ينسى عنده
هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه
فيصير كالزائل قال رب فانظرنى فاخرنى والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك
رجيم الى يوم يبعثون اراد ان يجد فسحة فى الاغواء ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث
فاجابه الى الاول دون الثانى قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك
عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يكون المراد بالايام الثلثة
يوم القيمة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت
وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم
لوقوعه فى الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلائق
فى تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على منصب ابليس لان خطاب الله
له على سبيل الاهانة والاذلال قال رب بما اغويتنى الباء للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن

لازينن لهم فى الارض والمعنى اقسم باغوائك اياى لازينن لهم المعاصى فى الدنيا التى
هى دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفى انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل
للسببية والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغى او التسبيب له بامره اياه بالسجود لادم عليه السلام
او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليطه
له على اغواء بنى آدم بان الله تعالى علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار
امهل او لم يمهل وان فى امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا
يخفى على ذوى الالباب ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم
المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدى وقرا ابن كثير و
ابن عامر وابو عمرو بالكسر فى كل القرآن اى الذين اخلصوا نفوسهم لله قال هذا صراط على
حق على ان اراعيه مستقيم لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين
من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق على يؤدى الى الوصول الى من غير اعوجاج و
ضلال وقرئ على من علو الشرف ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من
الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود
بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من
ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لى
عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول
يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقى لافضائه الى تناقض الاستثنائين
وان جهنم لموعدهم لموعد الغاوين او المتبعين اجمعين تاكيد للضمير او حال والعامل فيها
الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه
لا يعمل لها سبعة ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم فى المتابعة
وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار

بمجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية او لان اهلها
سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثا
لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين
والسابع للمنافقين وقرا ابو بكر جزء بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها
على الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه
او من المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان
المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة في جنات وعيون لكل واحد
جنة وعين او لكل عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما
جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية ادخلوها
على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين بسلام
سالمين او مسلما عليكم آمنين من الآفة والزوال ونزعنا في الدنيا بما الف بين
قلوبهم او في الجنة بتطييب نفوسهم ما في صدورهم من غل من حقد كان في الدنيا وعن علي
رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات
الجنة ومراتب القرب اخوانا حال من ضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في آمنين
او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز
ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين
حالا من المستقر في على سرر لا يمسهم فيها نصب استيناف او حال بعد حال من الضمير في
متقابلين وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم
وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة
دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته
بالمغفرة والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابراهيم

على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليكم سلاما
قال انا منكم وجلون خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا
من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل
ولا توجل من اوجله ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استيناف في معنى
التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرا حمزة نبشرك من البشر
بغلام هو اسحق عليه السلام لقوله فبشرناها باسحق عليم اذا بلغ قال ابشرتموني على ان
مسني الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به في مثل هذه
الحال وكذلك قوله فبم تبشرون اي فباي اعجوبة تبشروني او فباي شيء تبشرون
فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرا ابن كثير بكسر النون مشددة
في كل القران على ادغام نون الجمع في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف
نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين بابقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك
بالحق بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول
الله تعالى وامره فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على
ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابرهيم
عليه السلام باعتبار العادة دون القدرة قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون
اي المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال لا
ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرا ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ
بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما شانكم الذي ارسلتم لاجله
سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة
لا تحتاج الى عدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم عليهما السلام او لانهم
بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤوا بها

قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء من قوم
كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من قوم كان منقطعا الضمير
في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين المجرمين وآل لوط المؤمنين
به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل
لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اي مما يعذب به القوم وهو استيناف اذا اتصل
الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله
الا امراته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف
الحكمين الكلهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرا حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا قدرنا
انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرا ابو بكر قدرنا هاهنا وفي النمل بالتخفيف
وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا
اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره و
اسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص فلما جاء
آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان تطرقوني
بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما
يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه واتيناك
بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب بهم
في الليل وقرا الحجازيان بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير
بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في آخره قال فتى الباب وانظر حدها
في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم
وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه
ما اصابهم او لا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا

ليوطنوا انفسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضي اليه وهو الشام
او مصر فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى الضمير المحذوف على الاتساع وقضينا
اليه اي اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء
مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر
على الاستيناف والمعنى انهم يستاصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم مصبحين داخلين في
الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء
في معنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا
فيهم قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه
واتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلون بسببهم من الخزي وهو الهوان
او لا تخجلون فيهم من الخزاية وهي الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا
وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن
ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم
وفيه وجوه ذكرت في سورة هود ان كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم
بحيوة المخاطب وهو النبي عليه السلام وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك
قسمي وهو لغة في العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم انهم لفي
سكرتهم لفي غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب الذي
يشار به اليهم يعمهون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم
الصيحة يعني صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبرئيل مشرقين داخلين في وقت شروق
الشمس فجعلنا عاليها عالي المدينة او عالي قراهم سافلها وصارت منقلبة بهم وامطرنا
عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان
لهذه القصة في سورة هود ان في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفكرين المتفرسين

الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها وان المدينة او القرى
لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك لاية للمؤمنين بالله
ورسله وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه
الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة فانتقمنا منهم بالاهلاك وانهما
يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما وكان ذكر احدهما
منبها على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به اللوح ومطمر
البناء لانهما مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب
واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يكون المراد بالمرسلين صالحا ومن
معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونها وآتيناهم آياتنا فكانوا
عنها معرضين يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقبها وشربها و
درها او ما نصب لهم من الادلة وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام
ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم ان
الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت
الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق
الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك
امثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض وان الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن
كذبك فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل
هو منسوخ باية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم
العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم
وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان وابي هو الخالق وهو يصلح للقليل
والكثير والخلاق يختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع

سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة ولذلك لم
تفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس والحواميم السبع وقيل سبع صحائف
وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك
مثنى تكرر قراءته او الفاظه او قصصه ومواعظه او مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز او مثن
على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن او
كتب الله كلها فيكون من للتبعيض والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الآيات او السور
فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد
الوصفين على الآخر لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به ازواجا
منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات
مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي
من الدنيا فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه عليه السلام وافى باذرعات سبع
قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة
فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم
لقد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا وقيل انهم
المتمتعون به واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم وقل اني انا النذير المبين
انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل
العذاب الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا
عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول
فاهلكهم الله يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه
السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف لقوله ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك و
المقتسمون هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة

والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين او
اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن ما يقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لا تمدن الى آخره اعتراضا ممدا لها الذين جعلوا
القرآن عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء
وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
العاضهة والمستعضهة وعن عكرمة رضي الله عنه العضة السحر وانما جمع جمع السلامة
جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره فوربك لنسألنهم
اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم او النسبة الى السحر فنجازيهم عليه وقيل عام في كل ما
فعلوا من الكفر والمعاصي فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا
فافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع
محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع واعرض عن المشركين فلا تلتفت الى ما يقولون
انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن
المغيرة والعاص بن وائل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن
المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبرئيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومأ الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق
بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومأ الى اخمص
العاص فدخلت شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف
حارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة
فجعل ينطح رأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب فعمي
الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم
انك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك فسبح

بحمد ربك فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او
فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين
وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين
اي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل
بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر
حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد عليه السلام

سورة النحل مكية غير ثلث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

أتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول من قيام الساعة
واهلاك الله اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام
تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق من
حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص عنه
سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم
وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على
تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين او لهم ولغيرهم لما روي انه لما نزلت
اتى امر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه
ينزل الملائكة بالروح بالوحي او القرآن فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل او يقوم في
الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي علم
الرسول صلى الله عليه وسلم تحقق ما توعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه
بالعلم به وقرأ ابن كثير وابو عمرو وينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى
تتنزل وقرأ ابو بكر تنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل من امره بامره او من اجله

على من يشاء من عباده ان تتخذ رسولا ان انذروا بان انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته انه لا اله الا انا فاتقون ان الشان لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض ومخففة من الثقيلة والآية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمالات القوة العملية وان النبوة عطائية والآيات التي بعدها دليل وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منهما او مما يفتقر في وجوده او بقائه اليهما ومما لا يقدر على خلقهما وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم منطيق مجادل مبين للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد اترى ان الله يحيي هذا بعدما قد رم فنزلت والانعام الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفأ به فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تأكلون اي تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الآي او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوي او التفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من

من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المراعي فان الافنية تتزين بها في الوقتين ويجل اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوي الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصفان له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم تكن فضلا عن ان تحملوها على ظهوركم اليه الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة اي لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها او مصدرا في موقع الحال من احد الضميرين اي متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيها اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق واقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد

وقال ومنها جائر مائل عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله
ان يبين طريق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد
والجائر اذا جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اي عن القصد ولو شاء لهديكم
اجمعين اي ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة
للاهتداء هو الذي انزل من السماء من السحاب او من جانب السماء ماء لكم منه
شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها
يوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لان مياه العيون والابار منه لقوله فسلكه
ينابيع وقوله فاسكناه في الارض ومنه شجر ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه
المواشي وقيل كل ما نبت على الارض شجر قال نعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل
في اطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها
واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات ينبت لكم به الزرع وقرأ
ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وبعض
كلها اذ لم ينبت في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل
منه لانه سيصير غذاء حيوانيا وهو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح
بالاجناس الثلثة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته
فان من تأمل ان الحبة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها
وتخرج منه ساق الشجرة وينشق اسفلها وتخرج منه عروقها ثم ينمو ويخرج منه الاوراق
والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال و
الطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتأثيرات الفلكية الى الكل علم ان
ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد ولعل
فصل الاية لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هيأها لمنافعكم

لمنافعكم مسخرات بامره حال من الجميع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها
كيف شاء او لما خلقن له بايجاده وتقديره او لحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى ان
يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم
فلا ريب في انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها
مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر جمع لاختلاف الانواع
وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن
عامر والشمس والقمر ايضا ان في ذلك لايات لقوم يعقلون جمع الاية وذكر العقل لانها
تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال
النبات وما ذرأ لكم في الارض عطف على الليل اي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان و
نبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك لاية لقوم يذكرون
ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم وهو الذي سخر
البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص لتأكلوا منه
لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع
الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك و
الثوري على ان من حلف لا يأكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان
على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة ولا يحنث
الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان
اي تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى
الفلك السفن مواخر فيه جواري فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل
صوت جري الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون
اي تعرفون نعم الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى في باب

الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع به وتحصيل المعائش والقى فى
الارض رواسى جبالا رواسى ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب وذلك لان
الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك
بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها
تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التى تمنعها عن الحركة
وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هى بمقر احد على ظهرها فاصبحت
وقد ارسيت بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه وسبلا لعلكم
تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة الله وعلامات ومعالم تستدل بها السابلة من جبل
وسهل وريح ونحو ذلك وبالنجم هم يهتدون بالليل فى البرارى والبحار والمراد بالنجم الجنس
ويدل عليه قراءة والنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان و
بنات النعش والجدى ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثير الاسفار للتجارة مشهورين
بالاهتداء فى مسائرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام
الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك
والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الدلائل
المتكاثرة على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان
يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شىء من ذلك بل على ايجاد شىء ما وكان
حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس
المخلوقات العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه
اولوا العلم او الاصنام واجراؤها مجرى اولى العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله
ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة وكانه قيل ان من يخلق ليس
كمن لا يخلق من اولى العلم فكيف بما لا علم عنده افلا تذكرون فتعرفوا ذلك فانه

فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذى يحضر عنده بادنى تذكر والتفات وان تعدوا نعمة
الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد
النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان ما وراء ما عد نعم لا تنحصر
وان حق عبادته غير مقدور ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم فى اداء شكرها
رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما
تعلنون من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم والذين
تدعون من دون الله اى والآلهة الذين تعبدونهم من دونه وقرأ ابو بكر يدعون
بالياء وقرأ حفص ثلثها بالياء لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن
لا يخلق بين انهم لا يخلقون شيئا لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم
صفات تنافى الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى
التخليق والاله ينبغى ان يكون واجب الوجود اموات غير احياء هم اموات لا يعتريهم الحيوة
او اموات حالا او مآلا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغى ان يكون
حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت بعثهم او
بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغى ان يكون عالما
بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف
الهكم اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج والذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة
وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم
بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر
بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف و
ركونا الى المألوف فانه ينافى النظر والاستكبار عن اتباع الرسول عليه السلام و
تصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة فى الباب ولذلك رتب عليه ثبوت

الآخرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع
الرفع بجرم لانه مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا
عن التوحيد واتباع رسوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على التهكم
او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله او المنزل
اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض على تقدير انه منزل فهو اساطير
الاولين لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة يوم
القيمة اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة
رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من يضلونهم
وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها
الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل
الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اي سووا منصوبات
ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا
عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم فصار سبب هلاكهم واتيهم العذاب من
حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به
نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة الاف ذراع ليترصد اهل السماء فاهب الله
الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله ربنا
انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركاي اضاف الى نفسه استهزاء او
حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين
في شانهم وقرا نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله
قال الذين اوتوا العلم اي الانبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم
ويتكبرون عليهم او الملائكة ان الخزي اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين و

وفائدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون وعظا لمن سمعه
الذين تتوفيهم الملائكة وقرا حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء في التاء وموضع الموصول
يحتمل الاوجه الثلاثة ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا واخبتوا
حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا نعمل من سوء كفر وعدوان
ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام بلى اي فتجيبهم
الملائكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى آخر
الآية استيناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيمة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب
يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن في زعمنا واعتقادنا عاملين سوءا واحتمل ان
يكون الراد عليهم هو الله او اولوا العلم فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابها المعد له
وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم و
قيل للذين اتقوا يعني المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا وفي نصبه
دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على خلاف
الكفرة روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله
عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له
ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا ولدار الآخرة خير اي
ولثوابهم في الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده
حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار الآخرة
فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص
بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات
وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك
يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفيهم

الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم
وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم
بالكلية الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم
تعملون حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان
الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تأتيهم الملائكة
لقبض ارواحهم وقرأ حمزة والكسائي بالياء او يأتي امر ربك القيمة او العذاب المستاصل
كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما
اصابوا وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية
اليهم اليه فاصابهم سيئات ما عملوا اي جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية
الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون واحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا
في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا
ولا حرمنا من دونه من شيء انما قالوا ذلك استهزاء ومنعا للبعثة والتكليف متمسكين
بان ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيها او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك
وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم و
لشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب من
الشبهتين كذلك فعل الذين من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله
فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهو لا يؤثر في هدى من
يشأ الله هداه لكنه يؤدي اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب
وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم
كلها سببا لهدى من اراد اهتداءه وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله كالغذاء الصالح
فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا

ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يأمر بعبادة الله واجتناب الطاغوت فمنهم من
هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد
هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال
وثباته بفعل الله وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به في الاية الاخرى
فسيروا في الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد
وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي من يضل
من يريد ضلاله وهو المعنى بمن حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدى على البناء
للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله
جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما
انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ولقد رد الله
عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان
يبعث موعد من الله عليه حقا انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث مقتضى
حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم
بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمألوف
فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال ليبين لهم اي يبعثهم ليبين لهم
الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون
وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين
الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون وهو بيان امكانه وارادته وتقديره ان تكوين الله بمحض قدرته
ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء
ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي

فيكون عطفا على تقول وجوابا بالام والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله
واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة
او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب
وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل وقوله في الله اي في حقه ولوجهه لنبوئنهم
في الدنيا حسنة مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الآخرة اكبر مما يعجل لهم
في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال
له خذ بارك الله فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة افضل لو
كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم
او للمهاجرين اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدائد
كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون
منقطعين الى الله مفوضين الى الله الامر كله وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحي اليهم
رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت السنة الالهية بان لا
يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليه على السنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت
في سورة الانعام فان شككتم فيه فاسئلوا اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار
ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفي الآية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة
واما قوله جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء وقيل لم يبعثوا
الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي انه عليه السلام رأى جبريل
على صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات
والزبر اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي المعجزات والكتب كانه جواب قائل قال بم
ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا في الاستثناء مع رجالا اي وما ارسلنا
الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم اي رجالا ملتبسين با

بالبينات او بيوحي على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله على ان قوله فاسألوا
اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا اليك الذكر اي
القرآن وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم في الذكر بتوسط
انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص
بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وارادة
ان يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق افامن الذين مكروا السيئات وهم الذين احتالوا
لهلاك الانبياء او الذين مكروا رسول الله وراموا صد اصحابه عن الايمان ان
يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط او يأخذهم في تقلبهم اي متقلبين في
مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم
فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون او على ان ينقص شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم
حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روي ان عمر قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا
فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك
في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته تخوف الرحل منها تامكا قردا
كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال
شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم فان ربكم لرؤف رحيم حيث لا يعاجلكم
بالعقوبة اولم يروا الى ما خلق الله من شيء استفهام انكار اي قد رأوا امثال هذه
الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة
مبهمة بيانها يتفيؤا ظلاله اي اولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة عن
اليمين والشمائل عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعارة من يمين
الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل لاعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد

الضمير في ظلاله وجمعه في قوله سجدا لله وهم داخرون وهما حالان من الضمير في ظلاله و
المراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت
لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب او سجدا حال من الظلال وهم داخرون
حال من الضمير والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها وباختلاف مشارقها
ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة
على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام في انفسها ايضا داخرة اي صاغرة
منقادة لافعال الله فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل ولان الدخور
من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي
لان الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل
له فان الاظلال في اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض
وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الشرقي من الارض ولله يسجد ما في السموات
وما في الارض اي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه
وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله من دابة بيان لهما لان
الدبيب هي الحركة الجسمانية سواء كانت في ارض او سماء والملائكة عطف على المبين به عطف
جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة
ارواح مجردة او بيان لما في الارض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له اجلالا
وتعظيما او المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم
كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون
عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه
وهو فوقهم بالقهر كقوله وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون
او بيان له وتقرير لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون من ا

الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف و
الرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه
دلالة على ان مساق النهي اليه او ايماء بان الاثنينية تنافي الالوهية كما ذكر الوحد
في قوله انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية
او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية فاياي فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم
مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود كانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبوا
لا غير وله ما في السموات والارض خلقا وملكا وله الدين اي الطاعة واصبا لازما
لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اي
وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن
وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال وما بكم من نعمة
فمن الله واي شيء اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة
معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار
بانها من الله لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه و
الجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم
يشركون وهم كفاركم ليكفروا بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا
بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا فريق منهم وهم انتم ويجوز ان يكون من
للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد بما آتيناهم من نعمة
الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من الله تعالى فتمتعوا
امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا
وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب ويجعلون لما لا
يعلمون اي لآلهتهم التي لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التي لا يعلمونها فيعتقدون

فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف للعلم او لجهلهم على
ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم من الزروع والانعام
تالله لتسئلن عما كنتم تفترون من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه
ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه
له من قولهم او تعجب منه ولهم ما يشتهون يعني البنين ويجوز في ما يشتهون الرفع بالابتداء
والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان
يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف واذا بشر احدهم
بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من
الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم مملو غيظا من المرأة
يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر به من سوء المبشر به عرفا ايمسكه محدثا نفسه
متفكرا في ان يتركه على هون ذل ام يدسه في التراب ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ
ما وقرئ بالتانيث فيهما الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله
عندهم للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية
بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق
ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن
صفات المخلوقين وهو العزيز الحكيم المتفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله
الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها من غير ذكر
لدلالة الناس والدابة عليها من دابة قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه
كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء
بكفرهم لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا
فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون بل هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة و

ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكون كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم
السلام لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله ما يكرهون
اي ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل
الاموال وتصف السنتهم الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى اي عند الله كقوله ولئن
رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لا جرم ان
لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده وانهم مفرطون مقدمون الى النار من افرطته
في طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على انه من الافراط في المعاصي وقرئ
بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الماء ومكسورا من التفريط في الطاعات
تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على قبائحها وكفروا
بالمرسلين فهو وليهم اليوم اي في الدنيا وعبر باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان
يزين لهم او يوم القيمة على انه حكاية حال ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اي زين
الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولي هولاء اليوم يغريهم ويغويهم وان يقدر
مضاف اي فهو ولي امثالهم والولي القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ
الوجوه ولهم عذاب اليم في القيمة وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذي
اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم
يؤمنون معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله انزل من
السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها انبت فيها انواع النبات بعد يبسها ان في ذلك
لآية لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم في الانعام لعبرة دلالة يعبر بها من
الجهل الى العلم نسقيكم مما في بطونه استيناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده
ههنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه
في المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض

فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحد او له على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ
نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح من بين فرث ودم لبنا فانه يخلق من
بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث وهو الاشياء المأكولة
المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان البهيمة اذا
اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله
ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي يغذي البدن
لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى
ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاط اربعة معها مائية فتميز
القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة
والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه على ما يليق به بتقدير العليم
الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرودة والرطوبة
على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او
بعضه الى الضروع فيبيض لمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله
تعالى في احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة
لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته
ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت
من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدأ منه الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم او
حال من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا صافيا لا يستصحبه لون
الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين
سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف ومن ثمرات النخيل والاعناب
متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرهما وقوله تتخذون منه

سكرا استئناف لبيان الاسقاء او تتخذون ومنه تكرير للظرف تأكيدا او خبر
لمحذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين
الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر
سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل والاية ان كانت سابقة على
تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم
قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون
الرزق ما يحصل من اثمانه ان في ذلك لاية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل
في الايات واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف في قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين ان
اتخذي بان اتخذي ويجوز ان تكون مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتأنيث الضمير
على المعنى فان النحل يذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف التبعيض
لانها لا تبني في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا في كل مكان منها
وانما سمي ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة
القسمة التي لا تقوى عليها حذاق المهندسين الا بالات وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه
على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء لاجل الياء وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء
ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فاسلكي ما اكلت سبل ربك
في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي
الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس
ذللا جمع ذلول وهو حال من السبل اي مذللة ذللها الله وسهلها لك او من الضمير في
اسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به يخرج من بطونها عدل به عن خطاب النحل
الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم شراب
يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تأكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل

في بطنها عسلا ثم تقيء ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية
حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في
بيوتها شيء كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واصفر
واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل او الفصل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في
الامراض البلغمية او مع غيره كما في ساير الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء
منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا
جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل
فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب
بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرئ فكانما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما
بين الله من احوال النحل ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل
بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد له من قادر حكيم يلهمها
ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم باجال مختلفة ومنكم من يرد يعاد الى ارذل العمر
اخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو تسعون
سنة وقيل خمس وسبعون لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية
في النسيان وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير اعمارهم قدير يميت الشاب النشيط ويبقي الهم
الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم
وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ
والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم
ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادي رزقهم
بمعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم فان ما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله
في ايديهم فهم فيه سواء في ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز

فالموالي والمماليك سواء

ان تكون واقعة موقع الجواب كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت
ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض
مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه
افبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما
انعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم
بايضاحها والباء لتضمين الجحود معنى الكفر وقرأ ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل
بعضكم والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم و
قيل هو خلق حواء من آدم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة واولادا او اولاد اولاد او بنات
فان الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان
على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين
ورزقكم من الطيبات من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق
في الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات
ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب وبنعمة الله هم يكفرون حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او
حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة
او للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات
والارض شيئا من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل
عنه ولا يستطيعون اي لا تمكنهم ان يتملكوه او لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده
في لا يملك لان ما مفرد في معنى الآلهة ويجوز ان يعود الى الكفار اي ولا يستطيع هؤلاء
مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الامثال فلا
تجعلوا له مثلا تشركون به او تقيسون عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال ان الله
يعلم فساد ما تعولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل في التعظيم من

عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون وانتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو
تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رايكم دون نصه ويجوز ان يراد
فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب
فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء
ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون مثل ما يشرك
به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا
كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما
مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي اعجز
المخلوقات وبين الله الغني القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول
والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وسلب
القدرة للتمييز عن المكاتب والماذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان
المملوك لا يملك والاظهر ان من موصوفة لتطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون
لانه للجنس فان المعنى هل يستوي الاحرار والعبيد الحمد لله كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا
عن العبادة لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لا يعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه
لاجلها وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء
من الصنائع والتدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على من يلي امره
اينما يوجهه حيثما يرسله مولاه في امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه
كقوله اينما اوجه الق سعدا وتوجه بلفظ الماضي لا يات بخير بنجح وكفاية مهم هل يستوي هو
ومن يامر بالعدل ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل
الشامل لمجامع الفضائل وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على طريق مستقيم لا
يتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين

الوصفين لانهما كمال ما يقابلها وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللاصنام لابطال
المشاركة بينها او للمؤمن والكافر ولله غيب السموات والارض يختص به علمه لا يعلمه
غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم
القيمة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض وما امر الساعة وما امر قيام القيمة
في سرعته وسهولته الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو
اقرب او امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف تلك الحركة بل في الآن الذي
تبتدأ فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في آن واو للتخيير او بمعنى بل
وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشيء الذي تقولون
فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه ان الله على كل شيء قدير فيقدر ان يحيي
الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال والله اخرجكم من
بطون امهاتكم وقرأ الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة او اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها
وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق لا تعلمون شيئا جهالا مستصحبين جهل
الجمادية وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم
جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرر
الاحساس حتى تتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية
بالنظر فيها لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه الم يروا
الى الطير قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب العامة مسخرات مذللات
للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية له في جو السماء في الهواء المتباعد
من الارض ما يمسكهن فيه الا الله فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها
ولا دعامة تحتها تمسكها ان في ذلك لايات تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها
الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها في الهواء على خلاف طبعها لقوم

يؤمنون لانهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه
وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود
الانعام بيوتا هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول المتخذة من الوبر و
الصوف والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها
تستخفونها تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها يوم ظعنكم وقت ترحالكم ووضعها و
ضربها ويوم اقامتكم وقت الحضر والنزول وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح
ومن اصوافها واوبارها واشعارها الصوف للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز
واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى
حين الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم او الى
ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل لكم مما خلق من الشجر والجبال والابنية وغيرها ظلالا
تتقون به حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تستكنون بها من الكهوف و
البيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل ثيابا من الصوف والكتان والقطن
وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقاية الحر كانت اهم عندهم
وسرابيل تقيكم بأسكم يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس كذلك كما تم
هذه النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه فتؤمنون به او
تنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او
تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان
تولوا اعرضوا ولم يقبلوا منك فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ
وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون نعمة الله اي يعرف المشركون
نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله ثم ينكرونها بعبادتهم
غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة

نعمة الله نبوة محمد عليه السلام عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد
الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم
لم يعرف الحق لنقصان العقل او التفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد
التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون ويوم نبعث من كل
امة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا
في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة
المنع من الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم
ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى وهو الرضا وانتصاب يوم بمحذوف
تقديره اذكروا وخوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا رأى الذين ظلموا العذاب عذاب
جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون يمهلون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم
اوثانهم التي دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا
ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف
بانهم كانوا مخطئين في ذلك او التماس بان يشطر عذابهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون
اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء او انهم عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم لقوله
كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ او في انهم حملوهم
على الكفر والزموهم اياه لقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي
والقوا والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا
وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون
لهم حين كذبوهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على
الكفر زدناهم عذابا لصدهم فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين
بصدهم ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم يعني نبيهم فان نبي كل امة بعث منهم

وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب استيناف او حال
باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين على التفصيل والاجمال بالاحالة
الى السنة والقياس وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه وبشرى للمسلمين
خاصة ان الله يامر بالعدل بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل
والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات
المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان
احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او الكيفية كما قال عليه السلام
الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذي القربى واعطاء
الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط
في متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر
على متعاطيه في اثارة القوة الغضبية والبغي والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر
عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو
مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلث ولذلك قال ابن
مسعود هي اجمع آية في القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو
لم يكن في القرآن غير هذه الاية لصدق عليه انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة للعالمين
ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهي والميز
بين الخير والشر لعلكم تذكرون تتعظون واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم يعني البيعة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل
كل امر يجب الوفاء به ولا يلايمه قوله اذا عاهدتم وقيل النذر وقيل الايمان بالله ولا
تنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله ومنه اكد
بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول

به رقيب عليه ان الله يعلم ما تفعلون في نقض الايمان والعهود ولا تكونوا كالتي
نقضت غزلها ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي نقضت
غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من
غزلها او المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شانه
وقيل هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك تتخذون ايمانكم
دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا او في الجار الواقع موقع الخبر اي ولا تكونوا متشبهين
بامرأة هذا شانها متخذي ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم
يكن منه ان تكون امة هي اربى من امة بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من
جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش فانهم
كانوا اذا رأوا شوكة في اعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم
الله به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون
بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسول الله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم و
قلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للاربى وقيل للامر بالوفاء وليبينن لكم
يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله
لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضل من يشاء بالخذلان ويهدي
من يشاء بالتوفيق ولتسئلن عما كنتم تعملون سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا
ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا ومبالغة في قبح المنهي فتزل
قدم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة
على ان ذلك قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء العذاب في
الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بصدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من
نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الاخرة ولا تشتروا

بعهد الله ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عوضا يسيرا وهو ما كانت
قريش يعدون بضعاف المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد انما عند الله من
النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الآخرة هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون ان كنتم
تعلمون من اهل العلم والتمييز ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد ينقضي وما عند الله
من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق
ولنجزين الذين صبروا اجرهم على الفاقة واذى الكفار وعلى مشاق التكاليف باحسن
ما كانوا يعملون بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من
اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى بينه بالنوعين دفعا للتخصيص وهو مؤمن
اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب
فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان
كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الآخرة
بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات
ان يتهنا بعيشه وقيل في الآخرة ولنجزينهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرأت
القرآن اذا اردت قراءته كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم
فاسأل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور على انه للاستحباب
وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره
قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من
هذا القبيل وعن ابن مسعود رضي الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
هكذا اقرأنيه جبرئيل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية على
الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء الله المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا

لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك
امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما
سلطانه على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به بالله او بسبب الشيطان
مشركون واذا بدلنا آية مكان آية بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا
او حكما والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة
بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير
وابو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة انما انت مفتر متقول على الله تأمر بشيء ثم
يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على
قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون حكمة
الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب قل نزله روح القدس يعني جبريل عليه السلام
واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس
بالتخفيف وفي ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح مما يقتضي
التبديل من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين آمنوا على الايمان بانه كلامه
وانه اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت
قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اي
تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت
بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي
وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التورية والانجيل وكان
الرسول عليه السلام يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد
العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون
اليه اعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه مأخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة

والملك اي يلحدون بفتح اليا والحا اعجمي غير بين وهذا وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو
بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل على وجهين احدهما
ان ما يسمعه منه كلام اعجمي لا يفهمه هو ولا انتم والقرآن عربي تفهمونه بادنى تأمل فيكون ما
تلقفه منه وثانيهما هب انه تعلم منه المعنى باستماع كلامه ولكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك
اعجمي وهذا عربي والقرآن كما هو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي في القرآن
لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك
من غلام سوقي يسمع منه بعض اوقات مروره عليه كليمات اعجمية لعلهما لم يعرفا معناها
وطعنهم في القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون
بآيات الله لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل
الى الجنة ولهم عذاب اليم في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعد ما اماط شبهتهم ورد طعنهم
فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله لانهم لا يخافون
عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الى الذين كفروا او الى قريش هم الكاذبون اي
الكاذبون على الحقيقة او الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه
الخرافات اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروءة او الكاذبون
في قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون
وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون او مبتدأ خبره محذوف دل عليه
قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب بالذم وان تكون شرطية محذوفة الجواب دل عليه
قوله الا من اكره على الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد
كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق
بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب من الله ولهم
عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه وروي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الا

الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال
فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها
فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط
الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل
على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله
ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله
قال فما تقول في فقال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال
فما تقول في قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة
الى الكفر بعد الايمان او الوعيد بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة بسبب انهم آثروها
عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين اي الكافرين في علمه الى ما يوجب الايمان ويعصمهم
عن الزيغ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق
والتأمل فيه واولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن
تدبر العواقب لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى
بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اي عذبوا كعمار بالولاية
والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح اي بعد ما
عذبوا المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا و
صبروا على الجهاد وما اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد
والصبر لغفور رحيم لما فعلوا قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا يوم تأتي كل نفس
منصوب برحيم او باذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها

شان غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون
اجورهم وضرب الله مثلا قرية اي جعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل
الله بهم نقمة او لمكة كانت آمنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف يأتيها رزقها اقواتها رغدا
واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء
كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع والخوف استعار الذوق
لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة
عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال
فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف
اليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا الى المستعار له وقد
ينظر الى المستعار كقوله • ينازعني ردائي عبد عمرو • رويدك يا اخا عمرو بن بكر • لي الشطر الذي
ملكت يميني • ودونك فاعتجر منه بشطر • استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى
المستعار بما كانوا يصنعون بصنعهم ولقد جاءهم رسول منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون
اي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة بدر فكلوا
مما رزقكم الله حلالا طيبا امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم الله عليهم بعد ما زجرهم
عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية
ومذاهبها الفاسدة واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم
انكم تقصدون بعبادة الالهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل
لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لما امرهم بتناول ما احل لهم
عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم
فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما في بطون هذه

الانعام خالصة لذكورنا الآية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر
المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليها دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب
الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول
اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام او مفعول لا
تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اي ولا تقولوا هذا حلال وهذا
حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لمجرد قول تنطق به السنتكم من
غير دليل ووصف السنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة
الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام
كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب
جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب
لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان الذين يفترون على الله الكذب
لا يفلحون لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع
قليل اي ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم
في الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اي في سورة الانعام في قوله
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم
بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق
بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا
السوء بجهالة بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في
العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك
واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة
ان ابراهيم كان امة لكماله واستجماعه فضائله لا تكاد توجد الا متفرقة في اشخاص كثيرة

كقوله وليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين
الذي جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره
بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما احله او لانه كان وحده
مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه
اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته لقوله
اني جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له قائما باوامره حنيفا مائلا عن الباطل ولم
يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابرهيم عليه السلام
شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة
اجتباه للنبوة وهديه الى صراط مستقيم في الدعوة الى الله وآتيناه في الدنيا حسنة بان
حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا
طويلا في السعة والطاعة وانه في الآخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما سأله بقوله
والحقني بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما لتعظيمه والتنبيه على ان اجل ما اوتي
ابرهيم اتباع الرسول عليه السلام ملته او للتراخي ايامه ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا في التوحيد
والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب فهمه
وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت تعظيم السبت والتخلي
فيه للعبادة على الذين اختلفوا فيه على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان يتفرغوا
للعبادة يوم الجمعة فابوا وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات
والارض فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت
وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له
الحيل وذكرهم ههنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله وان ربك ليحكم بينهم
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل فريق بما يستحقه ادع

ادع من بعثت اليهم الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل
الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة والاولى
لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم
وجادلهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين و
ايثار الوجه الايسر والمقدمات التي هي الاشهر فان ذلك انفع في تسكين لهبهم وتبيين
شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي انما عليك البلاغ
والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله اعلم بالضالين
والمهتدين وهو المجازي لهم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امره بالدعوة وبين طرقها
اشار اليه والى من يتابعه بالمخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك
عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح في دين الاسلاف
والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه السلام لما رأى حمزة وقد مثل به فقال والله
لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان
للمقتص ان يماثل الجاني وليس له ان يجاوزه وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم
وتصريحا على الوجه الآكد بقوله ولئن صبرتم لهو اي للصبر خير للصابرين من الانتقام
للمنتقمين ثم صرح الامر به لرسوله لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال
واصبر وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين او على المؤمنين
وما فعل بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير في ضيق وهما
لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق ان الله مع الذين اتقوا المعاصي
والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية والفضل ومع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم
محسنون بالشفقة على خلقه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما
عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سورة بني اسرائيل مكية وقيل الا قوله وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات وهي مائة وعشر آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه
وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره
سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه
عن العجز عما ذكر بعده واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفايدته الدلالة
بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل اى بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به
من المسجد الحرام بعينه لما روى انه عليه السلام قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت
بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام لان كله
مسجد او لانه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى لما روى انه كان نائما في بيت ام هانى بعد
صلوة العشاء فاسرى به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون
فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به
وسعى رجال الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال لقد صدق قالوا اتصدقه
على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة
سافروا الى بيت المقدس فجلى له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد
اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا
مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير
كما اخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف
في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسرى بجسده
الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش و

واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس
ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل
الى موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية
في قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة
السريعة في بدن النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد
الاقصى بيت المقدس سمي به لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله ببركات
الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى عليه السلام ومحفوف
بالانهار والاشجار لنريه من اياتنا كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته
بيت المقدس وتمثل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة
الى التكلم لتعظيم تلك البركات والايات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد
صلى الله عليه وسلم البصير بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك واتينا موسى الكتاب
وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا على اي لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل و
قرأ ابو عمرو بالياء على لئلا يتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم غيري ذرية
من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ لا تتخذوا بالتاء او على انه
احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا
الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او بدل من واو
يتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله عليهم في انجاء آبائهم بحملهم مع نوح
عليه السلام في السفينة انه ان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا يحمد الله تعالى على مجامع
حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء
به وقيل الضمير لموسى عليه السلام وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا
مبتوتا في الكتاب في التورية لتفسدن في الارض جواب قسم محذوف او قضينا على

اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم مرتين افسادتين اوليهما مخالفة احكام التورية
وقتل شعيا وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام وقيل ارميا و
لتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله او لتظلمن الناس فاذا جاء وعد اوليهما
وعد عقاب اوليهما بعثنا عليكم عبادا لنا بختنصر عامل لهراسف على بابل وجنوده و
قيل جالوت الجزري وقيل سنجاريب من اهل نينوى اولي بأس شديد ذوي قوة وبطش
في الحرب شديد فجاسوا ترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان خلال الديار وسطها
للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التورية وخربوا المسجد والمعتزلة
لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع وكان وعدا
مفعولا وكان وعد عقابهم لابد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم
على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله في قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث
الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك
دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بختنصر او بان سلط داود على
جالوت وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل
من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم
لان ثوابها لها وان اسأتم فلها فان وبالها عليها وانما ذكرها باللام ازدواجا فاذا
جاء وعد الاخرة وعد عقوبة الاخرة ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها
بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر
ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث او لله ويعضده قراءة الكسائي بالنون
وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام على الوجوه
الاربعة على انه جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف هو بعثناهم
كما دخلوه اول مرة وليتبروا وليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا

تتبيرا او ذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف
اسمه جودرز وقيل خردوش قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه
دما يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقوني فقتل عليه
الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى
فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك
من اجلك فاهدأ باذن الله قبل ان لا ابقي احدا منهم فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة
الاخرة وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله
عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب
الجزية على الباقين هذا لهم في الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون
الخروج منها ابد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القران يهدي للتي
هي اقوم للحالة او الطريقة التي هي اقوم الحالات او الطرق ويبشر المؤمنين الذين
يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرأ حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف وان الذين
لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه بشر
المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان
بالشر ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو
شر دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله
لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم عليه السلام فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض
فسقط روي انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت
اكتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل
دعائي رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب
استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من

من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الاية فاجيب له فضرب عنقه يوم بدر صبرا
وجعلنا الليل والنهار آيتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان
غيره فمحونا آية الليل بالاشراق والاضافة فيها للتبيين كاضافة العدد الى المعدود
وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر او مبصرا اهله كقولهم
اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس وتقدير الكلام
وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين او جعلنا الليل والنهار ذوى آيتين ومحو
آية الليل التى هى القمر جعلها مظلمة فى نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى
المحاق وجعل آية النهار التى هى الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء
بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا فى بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا
به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركاتهما عدد السنين والحساب وجنس
الحساب وكل شئ تفتقرون اليه فى امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه بيانا
غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه من عش الغيب
ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشأمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو
سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد فى عنقه لزوم الطوق فى عنقه ونخرج له
يوم القيمة كتابا هى صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان الافعال الاختيارية
تحدث فى النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال
من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج وقرئ و
يخرج يلقاه منشورا لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا
حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على
ارادة القول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اى كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا
تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها

ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافى فوضع موضع الشهيد لانه يكفى المدعى ما اهمه
وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على تأويل النفس بالشخص
من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجى اهتداؤه غيره ولا
يردى ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس
اخرى بل انما تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع
فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية
واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنا وقته المقدر
كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها متنعميها بالطاعة
على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو
الخروج عن الطاعة والتمرد فى العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة
وقيل امرناهم بالفسق لقوله ففسقوا فيها كقولك امرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا الامر
بالقراءة على ان الامر مجاز عن الحمل عليه والتسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم
وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوى كقولهم امرته فعصانى وقيل
معناه كثرنا يقال امرت الشئ وآمرته فامر اذا كثرته وفى الحديث خير المال سكة مأبورة
ومهرة مأمورة اى كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قراءة
يعقوب آمرنا ورواية امّرنا عن ابى عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر بالضم امارة
اى جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر
على الفجور فحق عليها القول يعنى كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او
بانهماكهم فى المعاصى فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارها وكم اهلكنا
وكثيرا اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك
بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير

لتقدم متعلقه من كان يريد العاجلة مقصوراً عليها همه عجلنا له فيها ما نشاء لمن
نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشية والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد
جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشية والهم فضل ولمن نريد بدل البعض وقرئ
يشاء والضمير فيه لله تعالى حتى يطابق المشهورة وقيل لمن اراد الله به ذلك وقيل
الآية في المنافقين كانوا يراؤن المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم
في الغنائم ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموماً مدحوراً مطروداً من رحمة الله
ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما
نهي لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن
ايماناً صحيحاً لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون للشرائط الثلثة
كان سعيهم مشكوراً من الله اي مقبولاً عنده مثاباً عليه فان شكر الله الثواب على
الطاعة كلا كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء
مرة بعد اخرى ونجعل آنفه مدداً لسالفه هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك
من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظوراً ممنوعاً لا يمنعه في الدنيا من
مؤمن ولا كافر تفضلاً انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وانتصاب كيف
بفضلنا على الحال وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلاً اي التفاوت في الآخرة اكثر لان
التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله الهاً آخر الخطاب
للرسول والمراد به امته او لكل احد فتقعد فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت
كانها حربة او فتعجز من قولهم قعد عن الشيء اذا عجز عنه مذموماً مخذولاً جامعاً على نفسك
الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى ومفهومه ان الموحد يكون
ممدوحاً منصوراً وقضى ربك وامر امراً مقطوعاً به الا تعبدوا بان لا تعبدوا الا
اياه لان غاية التعظيم لا يحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي

لسعي الآخرة ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احساناً وبان
تحسنوا او واحسنوا بالوالدين احساناً لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز
ان يتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه اما يبلغن عندك الكبر احدهما
او كلاهما اما ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيداً ولذلك صح لحوق النون المؤكدة
للفعل واحدهما فاعل يبلغن ويدل على قراءة حمزة والكسائي من الف يبلغان
الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلاً او بدلاً ولذلك لم يجز ان يكون
تاكيداً للالف ومعنى عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك فلا تقل لهما اف فلا تتضجر مما
تستقذر منهما وتستثقل من مؤنهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذي
هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص
للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منوناً و
بالضم للاتباع كمنذ منوناً وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من سائر
انواع الايذاء قياساً بطريق الاولى وقيل عرفاً كقولك فلان لا يملك النقير
ولا القطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو في صف
المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك
باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولاً كريماً
جميلاً لا شراسة فيه واخفض لهما جناح الذل تذلل وتواضع فيهما جعل للذل جناحاً
كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها
للشمال يداً وللقرة زماماً وامره بخفضها مبالغة او اراد جناحه كقوله واخفض جناحك
للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى و
اخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول
من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله اليهما وقل رب

ارحمهما وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا
كافرين لان من الرحمة ان يهديهما كما ربياني صغيرا رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما و
ارشادهما في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما
قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت تريد
موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه
تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح
فانه كان للاوابين للتوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير
وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجاني على ابويه
جناية او لا بالوروده على اثره وآت ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة
والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل
المراد بذي القربى اقارب الرسول والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا
بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف فقال في الوضوء سرف
قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم في
الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في
الاسراف والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها
ويبذرون اموالهم في السمعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات و
كان الشيطان لربه كفورا مبالغا في الكفر فما ينبغي ان يطاع واما تعرضن عنهم وان
اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض
عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق من

من الله ان يأتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك
ترجوه ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق
بالجواب الذي هو قوله فقل لهم قولا ميسورا اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة
الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس
وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله ورزقنا الله
واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع
الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم فتقعد ملوما فتصير
ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير محسورا نادما او منقطعا بك
لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة فعد
الينا فذهب الى امه فقالت له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره
ونزع قميصه فاعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا للصلوة فلم يخرج فانزل
الله ذلك ثم سلاه بقوله ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه
لمشية التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك انه كان بعباده
خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد ان
البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان
يقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا
كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يكون تمهيد القوله ولا تقتلوا اولادكم
خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم
عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا
لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطأ الاثم يقال خطئ خطأ

قل صح

كان اثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه
كمثل ومثل وحذر وحذر وابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة او مصدر
خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ في قوله • تخاطأه القناص حتى وجدته • وخرطومه
في منقع الماء راسب • وهو مبني عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة
مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنا بالعزم واتيان المقدمات فضلا ان تباشروه
انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح زائدة وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو
الغصب على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله الا بالحق الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن
معصوم عمدا ومن قتل مظلوما غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي
امره بعد وفاته وهو الوارث سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه
او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان فان
الخطاء لا يسمى ظلما فلا يسرف اي القاتل في القتل بان يقتل من لا يحق قتله فان
العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة وقتل غير القاتل ويؤيد
الاول قراءة ابي فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب احدهما
انه كان منصورا علة النهي على الاستيناف والضمير اما للمقتول فانه منصور في
الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الاخرة بالثواب واما لوليه فان الله نصره حيث
اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب
القصاص والتعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا ان تتصرفوا
فيه الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف
الذي دل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه
وغيره ان العهد كان مسؤلا مطلوبا يطلب من العاهد ان لا يضيعه ويفي به او

او مسؤلا عنه يسأل الناكث ويعاتب عليه او يسأل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث
كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان
مسؤلا واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي
وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك في عربية القران لان العجمي اذا استعملته العرب و
اجرته مجرى كلامهم في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة و
الكسائي وحفص بكسر القاف ذلك خير واحسن تاويلا واحسن عاقبة تفعيل
من آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه
ومنه القافة ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من
منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند
سواء كان قطعا او ظنا فاستعماله بهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل
بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه السلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه
الله في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج وقول الكميت • ولا ارمي البريء بغير ذنب •
ولا اقفو الحواصن ان قفينا • ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اي كل هذه
الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا
وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء
لغيرهم كقوله • والعيش بعد اولئك الايام • كان عنه مسؤلا في ثلثتها ضمير كل اي كان
كل واحد منها مسؤلا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه
لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤلا مسند الى عنه كقوله غير
المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل وما يقوم مقامه
لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد
بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اي ذا مرح

وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح
النعت انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال
طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهي بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود
بجدوى ليس في التذلل كل ذلك اشارة الى الخصال الخمس والعشرين المذكورة
من قوله لا تجعل مع الله الها اخر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها المكتوبة في
الواح موسى عليه السلام كان سيئه يعني المنهي عنه فان المذكورات مامورات ومناه وقرأ
الحجازيان والبصريان سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي
عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى
فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان
او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل
المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى ذلك اشارة الى الاحكام
المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته والخير للعمل به ولا
تجعل مع الله الها اخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لا قصد له
بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب
عليه اولا ما هو عائدة الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم
ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب
لمن قال الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم
البنون واتخذ من الملائكة اناثا بناتا لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم
انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام لسرعة
زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من
اشرف خلق الله ادونهم ولقد صرفنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا

المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن
ابطال اضافة البنات اليه على تقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى واوقعنا التصريف
فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي ليذكروا من
الذكر الذي هو بمعنى التذكر وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة اليه قل لو
كان معه آلهة كما تقولون ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص بالياء فيه وفيما
بعده على ان الكلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم ووافقهما نافع وابن عامر وابو بكر
ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يخاطب به
المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالهم اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا جواب
عن قولهم وجزاء لو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل
الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله اولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه ينزه تنزيها وتعالى عما يقولون
علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه في اعلى مراتب الوجود والبقاء
لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه يسبح له السموات
السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم
الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث يدل بامكانها وحدوثها على الصانع
القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر
الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة
لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق
اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر تسبح بالتاء انه كان
حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت
القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا يحجبهم عن فهم

ما تقرأه عليهم مستوراً ذا ستر كقوله وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم او مستوراً عن الحس
او بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفى عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من
الآيات بعد ما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الانفس والآفاق تقريراً له وبياناً
لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة تكنها وتحول
دونها عن ادراك الحق وقبوله ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا
لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة اي منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقراً يمنعهم عن
استماعه ولما كان القرآن معجزاً من حيث اللفظ والمعنى اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم
المعنى وادراك اللفظ واذا ذكرت ربك في القرآن وحده واحداً غير مشفوع به آلهتهم
مصدر وقع موقع الحال واصله واحداً وحده ولوا على ادبارهم نفوراً هرباً من
استماع التوحيد ونفرة او تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون
به بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقرآن اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم
نجوى اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى
يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل ان يكون جمع نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا
رجلا مسحوراً مقدر باذكر او بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة
على ان تناجيهم بقولهم هذا او المسحور هو الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو
الرية اي الا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك
بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون
سبيلا الى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الى
الرشاد وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا حطاما ائنا لمبعوثون خلقا جديدا على الانكار
والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل في
اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر او حال قل

جواباً لهم كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم اي مما يكبر عندكم عن قبول
الحيوة لكونه ابعد شيء منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام
في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة
قبل والشيء اقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم
اول مرة وكنتم تراباً وما هو ابعد منه من الحيوة فسينغضون اليك رؤسهم
فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا فان
كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر او الظرف اي يكون في زمان قريب وان يكون
اسم عسى او خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون اي يوم يبعثكم فتنبعثون استعار
لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر امرهما وان المقصود منهما الاحضار
للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم اي حامدين لله على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون
التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد
الحامدين عليه وتظنون ان لبثتم الا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي
مر على قرية او مدة حيوتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا
التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا المشركين ان الشيطان ينزغ
بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضي الى العناد وازدياد الفساد
ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة ربكم اعلم بكم ان يشأ
يرحمكم او ان يشأ يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه
الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فان ذلك يهيجهم على الشر مع ان ختام
امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم
على الايمان وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم
روي ان المشركين افرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فنزلت وقيل شتم عمر رجل فهم به فامره الله بالعفو وربك اعلم بمن في السموات والارض
وباحوالهم ويختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون
يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض بالفضائل النفسانية والتبري عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال و
الاتباع حتى داود عليه السلام فان شرفه بما اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتي من الملك
قيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله وآتينا داود زبورا
تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب في الزبور
من ان الارض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره هاهنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا
في الزبور من بعد الذكر لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول
ويؤيده قراءة حمزة بالضم فهو كالعباس والفضل ولان المراد وآتينا داود بعض
الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم قل ادعوا الذين زعمتم
انها آلهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر
عنكم كالمرض والفقر والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون
يبتغون الى ربهم الوسيلة هؤلاء الآلهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل
من واو يبتغون اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون
رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان
محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الملائكة والرسل وان من قرية الا نحن مهلكوها
يوم القيمة بالموت والاستيصال او معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية
كان ذلك في الكتاب في اللوح مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالآيات وما صرفنا عن
ارسال الآيات التي اقترحها قريش الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين
الذين هم امثالهم بالطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك و

اي اللوح المحفوظ

واستوجبوا الاستيصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستأصلهم لان فيهم من
يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال وآتينا
ثمود الناقة بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلهم ذوي بصائر
وقرئ بالفتح فظلموا بها فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالآيات
اي بالآيات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا
نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وآيات القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة فان امر
من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيمة والباء مزيدة او في موقع الحال والمفعول محذوف
واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة قدرته
او احاط بقريش يعني اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ
الماضي لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال
انه كان في المنام ومن قال انه كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية
رأى انه دخل مكة وفيه ان الآية مكية الا ان يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعله
رؤيا رآها في وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولما روي انه لما ورد ماءه
قال لكاني انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان فتسامعت به قريش وسخروا
منه وقيل رأى قوما من بني امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال
هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة للناس ما
حدث في ايامهم والشجرة الملعونة في القرآن عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما
سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها
الشجرة ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندر من ان تاكله النار واحشاء
النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبتلعها قدر ان يخلق في النار
شجرة لا تحرقها ولعنها في القرآن لعن طاعميها وصف به على المجاز للمبالغة او وصفها

بانها في اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مكروهة موذية من قولهم طعام
ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان وابي جهل والحكم بن ابي العاص و
قرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة في القران كذلك ونخوفهم
بانواع التخويف فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوز الحد واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب بنزع
الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او منه
اي ءاسجد له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار قال ارايتك هذا الذي
كرمت علي الكاف لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذي
صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته
علي بامري بالسجود له لم كرمته علي لئن اخرتني الى يوم القيمة كلام مبتدا واللام موطئة
للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته الا قليلا اي لاستاصلنهم بالاغواء الا قليلا لا اقدر ان
اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها ماخوذ من الحنك وانما علم ان
ذلك يتسهل له استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا
من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية
بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب
المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا
مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او بما في
جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخف من استطعت
منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم من الجلبة
وهو الصياح بخيلك ورجلك باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه
قوله عليه السلام يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز

ويجوز ان يكون تمثيلا لتسليطه على من يغويه بمغوار قوم صوت على قوم فاستفزهم
من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استاصلهم وقرا حفص رجلك بالكسر وقرئ
بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل ورجالك ورجالك
وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي
والاولاد بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد
العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم
المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتاخير التوبة لطول
الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطاء
بما يوهم انه صواب ان عبادي يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا
عبادك منهم المخلصين تخصصهم ليس لك عليهم سلطان اي على اغوائهم قدرة وكفى بربك
وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم الذي يزجي هو الذي يزجي
لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله الربح وانواع الامتعة التي لا تكون عندكم انه
كان بكم رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما تعسر من اسبابه واذا مسكم
الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم كل من تدعونه في
حوادثكم الا اياه وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه او ضل
كل من تعبدونه من اغاثتكم الا الله فلما نجيكم من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد
وقيل اتسعتم في كفران النعمة كقول ذي الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي فاعرض
في المكارم واستطالا وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض افامنتم الهمزة
فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض
فان من قدر ان يهلككم في البحر بالغرق قدر ان يهلككم في البر بالخسف وغيره ان
يخسف بكم جانب البر ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة ليخسف وقرا

ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم لما
وصلوا الساحل كفروا واعرضوا فان الجوانب والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن
فيه من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اي ترمي بالحصباء ثم لا
تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر تارة
اخرى بخلق دواعي تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء
الا قصفته اي كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم
بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار
او صرف ولقد كرمنا بني ادم بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة و
التمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي الى اسباب المعاش و
المعاد والتسلط على ما في الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات
العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه
ومن ذلك ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما وهو ان كل حيوان يتناول طعامه
بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيديه وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من
حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء
ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير
ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة
او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسألة
موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعوا نصب باضمار اذكر او ظرف لما
دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعوا ويدعى ويدعو على قلب الالف واوا في لغة من
يقول افعو على ان الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا النجوى الذين ظلموا او ضميره
وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد

قد يقدر كما في يدعى كل اناس بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب
او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اي تنقطع علقة
الانسان وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل
بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة في ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف
الحسن والحسين رضي الله عنهما وان لا تفتضح اولاد الزنا فمن اوتي من المدعوين
كتابه بيمينه اي كتاب عمله فاولئك يقرؤون كتابهم ابتهاجا بما يرون فيه ولا يظلمون
فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتي في
معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتي كتابه بشماله اذا
اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان
قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ
الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الاخرة
اعمى لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الالة
والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل
الثاني للتفضيل من عمي بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان
افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه في حكم المتوسطة كما في اعمالكم بخلاف النعت فان
الفه واقعة في الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء في
التثنية وقد امالهما حمزة والكسائي وابو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما وان كادوا
ليفتنونك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب
لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع
عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب
لم فعلت ذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر

حتى تكلم بالهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشان
قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاستنزال عن الذي اوحينا اليك من الاحكام
لتفتري علينا غيره غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك
بافتتانك وليا لهم بريا من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم
شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم
لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا من
ان تركن اليه وهو صريح في انه عليه السلام ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان
العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك اي لو قاربت لاذقناك ضعف الحيوة وضعف
الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل
غيرك لان خطاء الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة الدنيا وعذابا
ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت
كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحيوة
عذاب الاخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع العذاب عنك
وان كادوا اي وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الارض ارض
مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك الا قليلا
الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل الاية نزلت
في اليهود حسدوا مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء
فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع
ثم قتل منهم بني قريظة واجلي بني النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذن على انه
معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذن لا يعمل اذا
كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلا

خلافك وهو لغة فيه قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا
سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله ذلك سنة وهو
ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل
لانها من اجلهم ويدل عليه ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس
لزوالها ويدل عليه قوله عليه السلام اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى
بي الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لا
تستقر يده وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل
الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتاقيت
مثلها في لثلث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء الاخيرة
وقران الفجر وصلوة الصبح سميت قرانا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به
على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم
لو فسر بالقراءة في صلوة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا
ان قران الفجر كان مشهودا يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة
من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو اخو الموت بالانتباه او كثير من المصلين
او من حقه ان يشهده الجم الغفير والاية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال
ولصلوة الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة صلوة المغرب و
قوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدأ الوقت ومنتهاه واستدل به على
ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود
للصلوة والضمير للقران نافلة لك فريضة لك على الصلوات المفروضة او فضيلة
لك لاختصاص وجوبه بك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القائم
فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة

لما روى ابو هريرة رضي الله عنه انه عليه السلام قال هو المقام الذي اشفع فيه لامتي
ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على
الظرف باضمار فعله اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك
ذا مقام وقل رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا واخرجني اي منه
عند البعث مخرج صدق اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج
من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله
الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا
حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح
على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا
نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان
حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق
الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج ان الباطل
كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود انه عليه السلام دخل مكة يوم الفتح وفيها
ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكث بمخصرة في عين واحد واحد منها فيقول جاء الحق وزهق
الباطل فينكب لوجهه حتى القي جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر
فقال عليه السلام يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القرآن ما هو شفاء
ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي للمرضى ومن
للبيان فانه كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفي من المرض كالفاتحة
وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين الا خسارا لتكذيبهم
وكفرهم به واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله ونأى بجانبه
لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار

الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفي فصلت
وناء على القلب او على انه بمعنى نهض واذا مسه الشر من مرض او فقر كان يؤسا شديد
اليأس من روح الله قل كل يعمل على شاكلته قل كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل
حاله في الهدى والضلالة او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم اعلم بمن هو
اهدى سبيلا اسد طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين
ويسألونك عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره قل الروح من امر
ربي من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده
او وجد بامره وحدث بتكوينه على ان السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثره
الله بعلمه لما روى ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين
وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن
بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التورية وقيل الروح
جبريل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربي معناه من وحيه
وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف
النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل
من فقد حسا فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله المعرفة
لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به
فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته
روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن
وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة
تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة
الانسانية ان يعلم من الحق والخير ما يسعه القوة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده

وهو بالاضافة الى معلومات الله التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو
بالاضافة اليه كثير ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك اللام الاولى موطئة للقسم
ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن
المصاحف والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا
محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون
استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا
بابقائه بعد المنة في تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليه
وابقائه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن في البلاغة
وحسن النظم وكمال المعنى لا ياتون بمثله وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل
التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولاهي لكان جواب
الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير • وان اتاه خليل يوم مسألة •
يقول لا غائب مالي ولا حرم • ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان
به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسائط
في اتيانه ويجوز ان يكون الاية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد صرفنا كررنا
بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان للناس في هذا القرآن من كل مثل من
كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس فابى اكثر الناس الا كفورا الا
جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متاول بالنفي وقالوا لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعدما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز القرآن
وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرا الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض
مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا
زخر او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او يكون لك بستان

بستان يشتمل على ذلك او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يعنون قوله تعالى او نسقط
عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة و
الكسائي ويعقوب في جميع القرآن الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة ونافع
وابو بكر في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدر
او فعل بمعنى مفعول كالطحن او تاتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه او شاهدا
على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة
محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله • فاني وقيار بها لغريب • او جماعة فيكون
حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة
او ترقى في السماء في معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا
نقرؤه وكان فيه تصديقك قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله تعالى من
ان ياتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة وقرا ابن كثير وابن عامر قال سبحان
اي قال الرسول هل كنت الا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل وكانوا لا
ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الايات اليهم ولا
لهم ان يتحكموا على الله حتى تتخيروها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في
ايات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا وما منع الناس
ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اي وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق
الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الا انكارهم ان يرسل الله بشرا قل جوابا
لشبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون كما يمشي بنو آدم مطمئنين ساكنين فيها
لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما الانس فعامتهم
عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس

وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول
اوفق قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم اي على اني رسول اليكم باظهار المعجزة على وفق
دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال انه كان
بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليه وفيه تسلية للرسول
عليه السلام وتهديد للكفار ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم
اولياء من دونه يهدونه ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم يسحبون عليها او يمشون
عليها روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان
الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما لا يبصرون
ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا
بالايات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا
بعد الحساب من الموقف الى النار موفي القوى والحواس مأويهم جهنم كلما خبت سكن
لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان نبدل جلودهم ولحومهم
فتعود ملتهبة مستعرة بهم كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا
يزالوا على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا و
قالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدمه
من عذابهم اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان
يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء وجعل لهم
اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيمة فابى الظالمون مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا
قل انتم تملكون خزاين رحمة ربي خزاين رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما
بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتني وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز
والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ

لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشيء فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذن
بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا وان البخلاء اغلب فيهم وكان الانسان
قتورا بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة لما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما
يبذل ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع
والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان
والسنون ونقص الثمرات مكان الثلثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سأل النبي
صلى الله عليه وسلم عنها فقال ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان
ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت
فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا المراد بالايات الاحكام العامة للملل الثابتة
في كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها في الآخرة من
السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا حكم مستانف زائد على الجواب
ولذلك غير فيه سياق الكلام فاسأل بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك
او سلهم من حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل على لفظ المضي
بغير همزة وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا او سأل على هذه القراءة او فسل يا محمد بني اسرائيل
عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الايات ليظهر للمشركين صدقك او لتتسلى
نفسك او لتعلم انه تعالى لو آتى بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد
يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ
نصبا باتينا او باضمار يخبروك على انه جواب الامر او باضمار اذكر على الاستيناف فقال له
فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرأ
الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء يعني الايات الا رب السموات والارض بصائر

بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا
مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا قارع
ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى يحوم حول
اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة
واللام الفارقة فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من
الارض ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستئصال فاغرقناه ومن معه جميعا
فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون
واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة
الكرة او الحيوة او الساعة او الدار الاخرة يعني قيام القيامة جئنا بكم لفيفا مختلطين
اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل
شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضي
لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الا
محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين
ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان له اول الامر واخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع
بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب فلا عليك الا التبشير والانذار وقرآنا فرقناه
نزلناه منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوم شهدناه
وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين سنة لتقرأه على الناس
على مكث على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه
ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل آمنوا به او لا تؤمنوا فان ايمانكم بالقرآن
لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله
تعليل له اي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب

الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل
او رأوا نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل
التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا
يتلى عليهم القرآن يخرون للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا لانجاز
وعده في تلك الكتب ببعثة محمد عليه السلام على فترة من الرسل وانزال القرآن عليه ويقولون
سبحان ربنا عن خلف الموعد ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة
ويخرون للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر عند انجاز
الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن
لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع
القرآن خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزلت حين سمع
المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد
الهين وهو يدعو الها آخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التورية
فالمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحد وان اختلف
اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن
الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اجود لقوله اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء
في الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين
في ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى
لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء
الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال
والاكرام ولا تجهر بصلوتك بقراءة صلوتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب و
اللغو فيها ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا

بين الجهر والمخافتة سبيلاً وسطاً فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي ان ابابكر
رضي الله عنه كان يخفت ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر كان يجهر ويقول اطرد
الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابابكر ان يرفع
قليلاً وعمر ان يخفض قليلاً وقيل معناه لا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها باسرها و
ابتغ بين ذلك سبيلاً بالاخفات نهاراً والجهر ليلاً وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن
له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة
به ليدفعها بموالاته نفي عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه
اختياراً او اضطراراً او ما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه
الذي يستحق جنس الحمد لانه كامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم على
الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف
عليه قوله وكبره تكبيراً وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في
التنزيه والتمجيد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في
ذلك روي انه عليه السلام اذا افصح الغلام من
بني عبد المطلب علمه هذه الاية وعنه عليه السلام
من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه
عند ذكر الوالدين كان له
قنطار في الجنة والقنطار
الف اوقية و
مائتا
اوقية

هذا آخر التفسير [illegible] وقع الفراغ من استنساخه [illegible]

[illegible]

يعنون وعد البعث اى الوعد المدلول عليه بقوله اتقوا ما بين ايديكم وخلفكم اى متى الساعة التى تعدوننا بمجيئها
وتأمروننا بالاتقاء من عذابها و بالانفاق ليضاعف اجره فيها يقولون ذلك انكارا لحقيقتها واستبعادا
لوقوعها وانما قوله ان كنتم صادقين للشرط فيستدعى جزاء ومتى للاستفهام فلا تصلح جزاء فالجواب قبل
هو وان كان فى صورة الاستفهام لكنه فى المعنى انكار كانهم قالوا ان كنتم صادقين فى الاخبار بوقوع البعث
فقولوا متى يقع

قوله ينتظرون فان قيل هم ما كانوا ينتظرون بل يجزمون بعدمها قلنا نعم الا انهم جعلوا منتظرين نظرا الى قولهم
متى يقع لان من قال متى يقع الشئ يفهم منه انه ينتظر وقوعه اعتبر فى ذكر الصيحة وجوه تدل على عظمها
احدها التنكير وثانيها قوله واحدة اى لا يحتاج معها الى ثانية وثالثها تأخذهم اى تعمهم بالاخذ و تصل
الى من فى الارض مشارقها ومغاربها

قوله بيان لما انعم عليه الخ يعني انه في وصف كفران نعمة خالقه شرع في بيان ما انعم عليه وقوله خصوصا قيد للمنعم عليه اي هو بيان للنعم التي اختص بها الانسان من بين خلقه لانه مختص بمجموعها والاختصاص اضافي ان اريد جنس الانسان لانه بالنسبة لغيره من انواع الانسان الحيوان كما سنبينه قوله والاستفهام للتحقير وذكر الجواب لا يقتضي انه حقيقي كما توهم لان المراد بالجواب ما هو على صورة الجواب لا ما دل من قوله من اي شيء خلقه ولو دل انه للتقرير والنعم من شيء المنكر كان له وجه ا ه وقوله من تبتدأ الخ من ابتدائية متعلقة بقوله بيان ومقابله قوله الى ان تم خلقه والى اخره لانه متعلق بقوله فقدره اطوارا ايضا اي مقابله مقدر بقرينة ما بعده وقوله لكونه اي لكون المقصود منه التحقير اجاب بقوله من نطفة الخ فانها حقيرة قذرة

منه

وقوله خصوصا قيد لما انعم عليه من النعم اي بيان للنعم المخصوصة التي انعم بها عليه من مبدأ حدوثه الى وقت تشويقه لجميع النعم

منه

قوله والاستفهام للتحقير اصله للاشعار بان من كان اصله مثل هذا الشيء الحقير كيف يليق به التكبر والتجبر والكفران بحق المنعم الذي سوى ذلك الاصل الحقير بمثل هذه الصورة والبهية قال الحسن كيف يتكبر من خرج من سبيل البول مرتين

منه

قوله وعد الاماتة الخ وخصت هذه النعم بالذكر لما فيها من ذكر احوال الناس الانسان من ابتدائه الى انتهائه وما يتضمن من النعم التي هي محض فضل من الله تعالى لانه حقير حيث خرج من مخرج البول مرتين ويكون من نطفة قذرة ثم صار ذا عذرة ثم صار جيفة اكراها رفعها فاذا تامل ذلك العاقل علم قبح الكفر وكفران نعم الرب سبحانه وتعالى وقوله والجملة اشارة الى ان ذلك هو الاصل ومقتضى الفطرة وان اختص البعض كالمؤمنين

منه

قوله لفقت من كدورت العادة الخ يعني انه مجاز عن رفعها اي ازالتها عن مكانها وقوله لان التوب الخ بيان لعلاقة اللزوم فيه والمانع من حمله على الحقيقة كونها من الاجرام التي لا تلف كالثياب واما كونه كريا غير منبسط فاهل الشرع لا يثبتونه فلا وجه له كما انه لا وجه لما قيل من انه لا مانع من حمله على الحقيقة سعدي

منه

ر قبل الان ما اكفره

ولم يسمع هذا قبل نزول القرآن وما نسب لامرء القيس من قوله تتمنى المرء في الصيف الشتاء، فاذا جاء الشتاء انكره

وهو لا يرضى بحال واحد قتل الانسان ما اكفره لا اصل له ومن يعرف كلام العرب يعلم انه من كلام المولدين وذوي الجاهل

سهاب

فان قلت اى فائدة فى زيادة لك والمعنى مستقل بدونه قلت فى زيادة لك ما فى طريقة الابهام والايضاح كانه قيل الم نشرح لك
ففهم ان ثم مشروحا ثم قيل صدرك فاوضح ما علم مبهما وكذلك لك ذكرك وعنك وزرك فان قلت كيف تعلق قوله
فان مع العسر يسرا بما قبله قلت كان المشركون يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين بالفقر والضيقة حتى سبق الى وهمه
انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار اهله واحتقارهم فذكره ما انعم به عليه من جلائل النعم ثم قال فان مع العسر يسرا كانه قال خولناك
ما خولناك فلا تياس من فضل الله فان مع العسر الذى انتم فيه يسرا فان قلت ان مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر
قلت اراد ان الله يصيبهم بيسر بعد العسر الذى كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة فى التسلية
والتقوية للقلوب فان قلت ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما لن يغلب عسر يسرين وقد روى مرفوعا انه خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين قلت هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وان موعد الله
لا يحمل الا على اوفى ما يحتمله اللفظ وابلغه والقول فيه انه يحتمل ان تكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما كرر قوله ويل يومئذ للمكذبين لتقرير
معناها فى النفوس وتمكينها فى القلوب وكما يكرر المفرد فى قولك جاءنى زيد زيد وان تكون الاولى عدة بان العسر مردوف باليسر لا محالة
والثانية عدة مستانفة بان العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستيناف وانما كان العسر واحدا لانه لا يخلو اما ان يكون
تعريفه للعهد وهو العسر الذى كانوا فيه فهو هو لان حكمه حكم زيد فى قولك ان مع زيد مالا ان مع زيد مالا واما ان يكون للجنس الذى
يعلمه كل احد فهو هو ايضا اما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس فاذا كان الكلام الثانى مستانفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الاول
بغير اشكال فان قلت فما المراد باليسرين قلت يجوز ان يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح فى ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما تيسر لهم فى ايام الخلفاء وان يراد يسر الدنيا ويسر الاخرة قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب
فان قلت فما معنى التنكير قلت التفخيم كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما واى يسر وهو فى مصحف ابن مسعود مرة واحدة فان قلت
فكيف تعلق قوله فاذا فرغت فانصب بما قبله قلت لما عدد نعمه السالفة ووعده الآنفة بعثه على الشكر والاجتهاد فى العبادة
والنصب فيها وان يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على ان لا يخلى وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة ذنبها
باخرى

والامين من امُن الرجل امانة فهو امين وقيل اُمّان كما قيل كُرّام فی کریم وامانته انه يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلاً بمعنى مفعول من امنه لانه مامون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرماً آمناً بمعنى ذى امن

كشاف

قوله لا يلزمها مقابلها بانه تعالى لما دل ظاهر قوله تعالى لا يصليها الا الاشقى الذى كذب وتولى على انه لا يدخل النار الا الكافر وهذا الحصر ترده النصوص الدالة على وعيد العصاة والفساق حمل صلي النار على لزومها والخلود فيها مقابلها بانه تعالى وخرج على ان لزومها هو كمال التصلي فيحمل عليه عند الاطلاق ولا شك ان الصلي بهذا المعنى منحصر في الكافر وامر الفاسق مفوض الى مشيئة الله تعالى فالله ان لا يدخلها او يدخلها ولكن لا يلزمها بل يخرج منها وجعل حمل صلي النار على لزومها وسيلة الى دفع ما يتوهم من ان منطوق قوله تعالى لا يصليها الا الاشقى يخالف مفهوم قوله وسيجنبها الاتقى فان مفهومه يدل على ان غير الاتقى لا يجنبها بل يصليها ويدخلها ودخول عصاة المؤمنين النار يخالف الحصر السابق فلما حمل صلي النار بمعنى دخولها كان منطوق الاول خلود الكافر فيها ومفهوم الثاني دخول العصاة وهو لا يخالف انحصار الخلود في الكافر لان دخول العصاة لا يستلزم خلودهم وهو ظاهر
شيخ زاده

قوله لقوله يتزكى استدل به على ان الايتاء ليس المراد به صرف المال مطلقا بل صرفه في مصارف الخير فان التزكي سواء كان بمعنى الطهارة من الذنوب او بمعنى التزايد في الخير لا يكون الا بصرفه في مصارف الخير وان كان يتزكى بدلا من يؤتي لا يكون له محل من الاعراب لانه لما كان بدلا من صلة الذي كان داخلا في حكم الصلة والصلات لا محل لها من الاعراب لان الصلة بعض الاسم وبعض الاسم لا محل له وان كان حالا من المنوي في يؤتي يكون المعنى يؤتيه متزكيا اي متطهرا من الذنوب او متزايدا في الخير زاكيا فيقع القدر عند الله لا للرياء والسمعة
شيخ زاده

قوله استثناء منقطع لان ابتغاء المرضاة ليس من جنس النعمة التي يجازى عليها فهو عند الله منصوب على الاستثناء المنقطع والمعنى لكن فعل ذلك ابتغاء وجه ربه اي لابتغاء وجهه ولطلب التوجه الى ربه وهو في الحقيقة مفعول له وما اوتي من المال مكافاة على نعمة سالفة فلذلك يجري مجرى اداء الدين فلا يكون له دخل في استحقاق مزيد الثواب وانما يستحق الثواب اذا كان فعله لاجل ان الله تعالى امر به وحثه عليه
شيخ زاده

قوله او متصل عن محذوف وتقدير الكلام لا يؤتي ماله لامر من الامور الا لابتغاء وجه ربه لا على ... فيكون المستثنى داخلا في المستثنى منه حقيقة على هذا المعنى وانما بنى الكلام على الحذف والتقدير مع انه خلاف الاصل لاقتضاء المعنى ذلك
شيخ زاده

قوله حين اشترى بلالا في جماعة تولاهم المشركون اي كانوا استولوا على تعذيبهم على الايمان يعني ان العبد المؤمن الذي اشتراه ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه واعتقه ليخلصه عن ايذاء المشركين وتعذيبهم اياه على ايمانه ليس بمنحصر في بلال بل هم جماعة وبلال واحد منهم
شيخ زاده

قوله والنهار ويؤيده قوله وقع في المائدة الضحى في مقابلة البيات التي تعم الليل كله وهنا وقع مقابلا لليل المقيد بوقت اشتداد ظلامه فههنا ينبغي ان يراد النهار وقت اشتداد الضوء كما ان المناسب هنالك ان يراد النهار مطلقا
عصام

قوله لقوله يتزكى في الكشاف اي يطلب عند الله ان يكون زاكيا من الزكاء لا يريد رياء ولا سمعة او يتفعل من الزكوة عصام

قوله فانه بدل من تولى مقابلا لقوله او حال يدل على انه اراد البدل النحوي وفيه انه من قسم التابع ولا اعراب للصلة حتى تثبت له تابع فالاولى ان المراد البدل على اصطلاح المعاني جيء به لان تولى ماله غير واف بتمام المراد عصام

قوله وعد بالثواب الذي يرضيه بعد الوعد بنجاته عن العقاب هذا على تقدير جعل الضمير الى الاتقى والاحق بنظم الكلام جعل الضمير للرب اي لا يوتي ماله الا لطلب رضى ربه ولسوف يرضى ربه عنه والله تعالى عنه اعلم عصام

قوله وتقديم الليل في السورة المتقدمة اي تقديم النهار قد وقع قبل السورة المتقدمة ايضا حيث قال والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشيها فكانه غفل عما تنبه له ههنا فاخر بيان النكتة عن موضعها الاليق بها وجعل الليل اصلا لتقديمه قوله تعالى وجعلنا الليل لباسا وقوله والليل اذا يغشيها الا ان يقال النهار مستند الى نور الشمس والاصل في الشمس العدم عصام

قوله وقرئ بالتخفيف يعني ما تركك هذا ينافي ما في بعض التعريفات واما توا ماضي يدع ويذر وشهد له الجوهري فقال لا يقال ودعه ولا وذره الا في الضرورة قال الشعر الذي استدل به الزمخشري لا يصلح شاهدا والاولى ان يجعل المخفف بمعنى المشدد وفي القاموس ودعه كوضعه وودعه بمعنى وودع ككرم ووضع سكن واستقر هذا عصام رح

واتفقوا على ان هل ههنا وفي قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر بمعنى قد كما تقول هل رايت صنيع فلان وقد علمت
انه قد رآه تريد ان تحمل المخاطب على ان يقر على مدلول الفعل الذي دخلت عليه كلمة هل كذا قال الامام في اول سورة الدهر
ومراده ان الاستفهام في هل اتيك للتقرير لان حمل الكلام على حقيقة الاستفهام غير متصور ههنا لاستحالته على الله تعالى وقد يكون
الاستفهام بهل للانكار والجحد لكل واحد كما تقول هل يقدر احد على مثل هذا كما يكون لحقيقة الاستفهام

قوله وجوه يومئذ مبتدأ وخاشعة خبره ويومئذ ظرف للخبر اي ذليلة يوم اذ غشيت تلك الداهية الناس ولعل وجه الابتداء
بالنكرة كون تقدير الكلام اصحاب وجوه الا انه لما كان الخشوع والذل لما كان يظهر في الوجه حذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه

الخضوع والخشوع والتواضع والتذلل كلها بمعنى ويكنى بالجميع عما يعتري الانسان من الذل والخزي والهوان يقال خضع الانسان اذا امال راسه الى الارض
او دنا منها

قوله تعمل ما تتعب فيه اشارة الى ان ارتفاع كل واحد من عاملة وناصبة على انه خبر بعد خبر وان ناصبة في المعنى تقييد للعمل
بانه من قبيل ما تتعب الوجوه فيه واذا كان كل واحد منهما خبرا بعد خبر يكون قوله يومئذ ظرفا لكل واحد
من الاخبار الثلثة ويكون الاخبار باسرها حاصلة في الآخرة

قوله او عملت ونصبت في اعمال لا تنفعها يومئذ اشارة الى جواز ان يكون بعض تلك الصفات حاصلا في الآخرة
وهو الخشوع والذلة وبعضها في الدنيا عاملة ناصبة اي انها خاشعة في الآخرة مع انها كانت في الدنيا عاملة ناصبة والمعنى
انها لم تنتفع بعملها ونصبها في الدنيا لكون ذلك العمل والنصب في غير طاعة الله تعالى ولا يمتنع وصفهم ببعض الاوصاف العارضة لهم
في الآخرة

قوله متناهية في الحر اي غايتها من اني الحميم اي انتهى حره والانا نهاية الحر قيل الضريع بمعنى المضرع كالاليم والبديع
بمعنى المولم والمبدع والمعنى الا من طعام يحملهم على ان يضرعوا ويذلوا عند تناوله لما فيه من الخشونة والمرارة والحرارة

روي ان كفار قريش قالت الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت قوله لا يسمن ولا يغني من جوع فلا يخلو اما ان يتعنتوا
بذلك الكلام كذبا فرد الله تعالى قولهم وكذبهم بذلك واما ان يتصدقوا فيه فيكون المعنى حينئذ ان طعامهم من ضريع
ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع

او على ان ناعمة للنسب بمعنى ذات
النعمة مثل تامر ولابن ثم يراد بالنعمة لازمها وهو الحسن والبهجة فيكون هذه الآية في المعنى نظير قوله تعالى تعرف في وجوههم
نضرة النعيم او يراد بها حقيقة النعمة فيكون ناعمة بمعنى متنعمة

قوله رضيت بعملها اشارة الى ان المراد بسعيها ما سعى فيه وهو عملها وان اللام في لسعيها متعلقة براضية
اي قد رضيت في الآخرة سعيها وهو عملها في الدنيا لما رأت من العاقبة الحميدة والتقدير راضية سعيها فلما
تقدم المعمول ضعف العامل فجيء باللام تقوية لعمله فهذه اللام مؤكدة لعمل الفعل وناصرة له على العمل ويجوز ان يكون
لام التعليل اي لاجل سعيها في طاعة الله تعالى راضية جزاءه وثوابه عليه المحل على ان يكون عالية من العلو في المكان

قوله لا تسمع يا مخاطب على ان يكون المنوي في لا تسمع ضمير انت والخطاب عام لكل من يصلح للخطاب قوله او الوجوه
فيكون المنوي ضميرها والتاء لتانيث الوجوه لا للخطاب قوله وبالياء ادفع لتانيث لفظ لاغية والياء
لان لفظ التانيث غير حقيقي او لان اللاغية بمعنى اللغو على انه مصدر كالعاقبة

قوله متصل بقوله ان ربك لبالمرصاد الى سوق كلامه يشعر بانه جعل قوله فاما الانسان اخبار القوله ان ربك لبالمرصاد فتكون الجملتان تفصيلا لحال الرب والانسان ولا يخفى ان هذه السوق يقتضي ان يقال واما الانسان وانه ح لا يكون ما سبق تمثيلا لاعداد العصاة للعذاب بل تمثيلا لارادته السعي للآخرة وايضا قوله فلا يريد الا السعي لها لا يتم على اصل الاشاعرة انما هو مسلك الاعتزال الذي سلكه الزمخشري لان الله تعالى لا يريد بفعل العبد من المعاصي لكن لا يرضى به ولا يجري في ملكه الا ما يشاء فالظاهر ان اتصاله بقوله ان ربك لبالمرصاد بالتفرع عليه كانه قيل فالانسان يؤخذ لا محالة لانه بين غناء جهلك موجب للتكبير والافتخار بالدنيا وبين فقر لا يصبر فيه ويكفر لاجله بالجزع والقول بما لا ينبغي عصام رح

قوله مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه وانما ردعه عنه لانه قال ربي اكرمن لبيان ان اكرامه مقصود لذاته وليس كذلك بل للابتلاء فربما يعقب اهانته عصام رح

قوله اي يأكلون ما جمع المورث من حلال وحرام عالمين بذلك وهناك توجيه ثالث اورده الزمخشري وهو انه يجوز ان يكون لذم الوارث الذي ظفر بالمال سهلا من غير ان يعرف فيه حيثية فيسرف في انفاقه ويأكله اكلا واسعا جامعا بين الوان المشتهيات من الاطعمة والاشربة والفواكه كما يفعله الوارث البطالون وهذا وكانه اسقطه ولم يلتفت اليه لانه لا يلائم قوله ويحبون المال حبا جما لان المسرف لا يكون محب المال عصام رح

قوله اي منفعة الذكرى لئلا يناقض ويمكن دفع التناقض بتنزيل ذكراه منزلة العدم لعدم ما يترتب عليه عصام رح

قوله واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة ولو وجب وجب قبوله فلا يرد ان عدم قبولها لان ذلك اليوم ليس يوم قبول التوبة عصام رح

قوله قد يتمنى ان يكون ممكن منه المحجور عن الشيء قد يتمنى كونه ممكنا من الشيء يقال مكنه منه اي اقدره عليه وربما يصحف فيجعل ان كان ممكنا منه شرطا ويكون اسم فاعل من الامكان ويرده ان التمني لا يتوقف على الامكان وربما ينافش بان قول المجبور وهذا القول فرق فانه يقول يا ليتني قدرت على ان اقدم لحيوتي ولا يقول يا ليتني قدمت لحيوتي ويدفعه ان هذا اول المسئلة لان كل من يقول ليتني فعلت فهو مجبور على اصل السنة والاظهر في الجواب ان التمني مبني على اختيار رتبة الاشعري نعم لو كان مقصود الكشاف رد مذهب الجبرية لا يتم هذا الجواب ايضا عصام رح

قوله اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه ولك ان تريد بالاحد الواحد الحقيقي فان الاحد من اسمائه عصام رح

قوله على ارادة القول اي يقول الله للمؤمن ويمكن الاستغناء عن تقديره بان يجعل خطابا الى النفس المطمئنة بعد المبالغة في سوء حال الامارة ووعيدها فالمراد بالرجوع الى الرب الانزجار بالرجوع اليه في كل امر في هذه الدنيا والمراد بالدخول في زمرة العباد وبالامر بالدخول في الجنة الامر بالدخول فيهما بالقوة القريبة من الفعل

قوله ارجعي الى امره بالموت او موعده يعني ارجع الى امره بالموت واثمرة او ارجع الى موعده بالموت وهو انه يكون منتهيا بالجنة الى البعث

قوله راضية بما اوتيت الاظهر راضية عن ربك مرضية عنده

قوله ذلك يقول من قال كانت النفوس قبل الابدان موجودة فان الرجوع الى الموت وقطع التعلق بالبدن يشعر بانه كان على مثل تلك الحالة مرة اخرى

قوله او بالبعث اي ارجعي الى امره بالبعث او موعده بالبعث عصام رح

قوله أي يغشى الشمس أو النهار أي يغطيه ويستره فإن كان المفعول المقدر ليغشى أحد الأمرين كان عدم ذكره
للعلم به فإن قوله في السورة المتقدمة والليل إذا يغشاها يدل على أن المفعول المقدر ههنا هو الشمس وقوله
يغشي الليل النهار يدل على أنه هو النهار وإن كان كل ما يستره الليل بظلامه كان عدم ذكره للتعميم

قوله ظهر بزوال الليل هذا المعنى على تقدير أن يكون المغشي النهار أو كل ما يستره الليل بظلامه منه رح

قوله أو تبين بطلوع الشمس وهذا على تقدير أن يكون المغشي الشمس منه رح

قوله والقادر الذي خلق مبني على أن يكون كلمة ما عبارة عن صفة العالم وأنها لتوغلها في الإبهام أفادت
أن الوصف الذي استعملت هي فيه بالغ إلى أقصى درجات القوة والكمال بحيث كان من لا يمكنه كنهه
وأنه لا سبيل للعقل إلى إدراكه بخصوصه وإنما الممكن هو إدراكه بأمر عام صادق وقيل ما مصدرية
أي وخلقه الذكر والأنثى منه رح

قوله إن سعيكم لأشتات إشارة إلى وجه الإخبار عن السعي وهو مفرد بشتى وهو جمع شتيت
كمريض ومرضى وقتيل وقتلى وبيانه أن السعي مصدر والمصدر جنس يشمل جميع أفراده لا سيما وقد أضيف
إلى الجمع فهو جمع في المعنى فكأنه قيل إن مساعيكم أي محال سعيكم المعنى أعمالكم لشتى وهو جواب القسم
أقسم الله تعالى بهذه الأشياء على أن أعمال عباده لشتى أي مختلفة في الجزاء فمنكم مثاب بالجنة على أعماله
ومنكم معاقب بالنار أو مختلف في نفسه متباعد بعضه عن بعض لأن بعضه ضلالة وبعضه هدى فمنكم مؤمن
ومنكم كافر ومطيع وفاجر منه رح

قوله تفصيل مبين لتشتت المساعي أي لتباعد الأعمال بحسب تباعد أجزيتها المختلفة وعاقبتها المحمودة
والمذمومة التي عبر عنهما باليسرى والعسرى منه رح

قوله والمعنى من أعطى الطاعة واتقى المعصية إشارة إلى أن عدم ذكر متعلقات هذه الأفعال للتعميم ليذهب
ذهن السامع كل مذهب مما يصح تعلق الفعل به فمتعلق الإعطاء جميع ما يتقرب بفعله وإتيانه من العبادات
القلبية والبدنية والمالية وإعطاؤها بذل النفس بها وإتيانها وكذا متعلق الاتقاء جميع ما كان
على أنه معصية وكل ذلك لما لم ينفع مع الكفر عقبه بقوله وصدق بالحسنى أي بالكلمة الدالة على التوحيد
والنبوة وهو كقوله أو إطعام في يوم ذي مسغبة إلى قوله ثم كان من الذين آمنوا

قوله للخلة التي تؤدي إلى اليسر إشارة إلى أن تأنيث اليسرى لتأنيث موصوفها المحذوف وهو الخلة أي الفعلة
والخلة بالفتح الخصلة وبالضم المودة والصداقة والأول أنسب هنا ومثل الخصلة اليسرى بدخول الجنة
لأنه يؤدي إلى اليسر والراحة كالعسرى بدخول النار لتأديه إلى العسر والشدة وأشار إلى أن تسميته
أحد الخصلتين باليسرى وأخراهما بالعسرى باعتبار مآلهما وعاقبتهما فإن كل ما أدت عاقبته إلى الراحة
والأمور المحمودة فذلك اليسرى ودخول الجنة كذلك وكل ما أدت عاقبته إلى التعب الردي فذلك العسرى
كدخول النار منه رح

قوله اذ يغشى الشمس او النهار راجع على التوجيهين الاولين يكون الليل تمام مقسما به على الثالث يكون المقسم به الليل
وقت شدة ظلامه والظلام بالفتح كالظلمة بالضم والظلمة بالضمتين ذهاب النور وفي الصحاح الظلام اول الليل
عصام

قوله ان سعيكم لشتى مختلفة اي في الجزاء فيرتبط به التفصيل الذي بعده كمال ارتباط وكذلك ان تريد
بالاختلاف كون البعض طالبا لليوم المتجلي والبعض طالبا لليل الغاشي وبعضها مستعانا بالذكر
وبعضها مستعانا بالانثى فيكون شديد المناسبة بالقسم
عصام

قوله فانذرتكم متفرع على كون الهداية عليه يعني فهديتكم بالانذار وبالغت في هدايتكم
عصام

قوله ولما كانت واوات العطف نوائب اشارة الى دفع ما يورد ههنا من ان تلك الواوات اما عاطفة فيلزم العطف على معمولين عاملين مختلفين واما قسمية فيلزم تعدد القسم ووحدة الجواب وقد اتفق الخليل وسيبويه على منعه ووجه الدفع انا نختار الشق الاول ونمنع لزوم المحذور لان هذه الواوات لما نابت مناب الواو الاولى القسمية الجارة بنفسها الناصبة بنيابتها مناب فعل القسم جاز ان يعمل الجر والنصب كالاصل ولذلك عمل الواو الثانية في القمر

سعدي افندي رحمه الله

الكاملية

قوله ولذلك افرد ذكره الخ ولكون المقصود على ايثار ما على من الدلالة على معنى الوصفية والقدرة القادرية افرد ذكر البناء الدال على وجوده وكمال قدرته فان الموصول ههنا لما كان عبارة عن الصفة التي هي بجعل صلته ما يدل عليها لان شان الصلة ان تميز الموصول وتعينه

شيخ زاده افندي رحمه الله

قوله وجعل الماءات مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل اليه يجرد المنوي في الهمها عما يرجع اليه فان الماءات التي في قوله تعالى وما بناها وما طحاها وما سواها ان كانت مصدرية لا يلوح المذكورات الا السماء والارض والنفس وما يتعلق بها من المعاني المصدرية وهي البناء والطحو والتسوية وشيء منها لا يصلح لان يرجع اليه المنوي في الهمها وقوله الا ان يضمر فيها اسم الله للعلم استثناء من قوله يجرد الفعل عن الفاعل واشارة الى ان سبق الذكر ليس بشرط في ارجاع الضمير اذا كان المرجع اليه لنباهة شانه مما لا يغيب عن العقل كقوله تعالى انا انزلناه

شيخ زاده افندي رحمه الله

بعض

قوله ونفس وما سواها والنفس ان حملت على البدن فتسويتها عبارة عن تعديل اعضائها بعضها على ما يشهد به علم التشريح وان حملناها على القوة المدبرة فتسويتها تكميل امرها باعطائها من القوى ما يتم به جميع احوالها وبعض تلك القوى محركة وهي اثنان شهوانية وغضبية وبعضها مدركة وهي عشرة الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة وبعضها لا محركة ولا مدركة وهي السبع الغاذية والنامية والمولدة والجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة

شيخ زاده افندي رحمه الله

قوله وفضل شقاوتهم جواب عن سؤال مقدر تقريره ان لفظ اشقى اسم تفضيل فيدل على زيادة موصوفه
في اصل الفعل فما السبب والعلة في زيادة شقاوة من بعث الى العقر فعقر على من بعث ورضي فاجاب بقوله
وفضل شقاوتهم لتوليهم وحاصل الجواب مذكور في حاشية الشيخ زاده افندي رح

قوله لتوليهم العقر فانهم لما باشروا العقر وتعاونوا عليه كانوا اشد شقاوة من غيرهم وهم الذين
بعثوا هؤلاء المباشرين ورضوا بعقرهم فان درجة مجرد الرضى والبعث ادون من درجة المباشرة
شيخ زاده افندي رح

قوله وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة يقال دمت الناقة بالشحم اذا طليت به والبست بحيث لم يبق
منها شيء لم يمسها الشحم ثم كررت للمبالغة في الاحاطة
شيخ زاده افندي رح

قوله فسوى الدمدمة بينهم او عليهم يعني ربط التسوية بهم اما بتقدير بينهم او عليهم
عصام رح

قوله فيبقى بعض الابقاء اي فترحم بعض الترحم وفي الصحاح ابقيت على فلان اذا ارعيت عليه ورحمته
قوله والواو للحال فقوله ولا يخاف عقبيها في محل النصب على انه حال من المنوي في فسواها الراجع
الى الله جل ذكره اي فسواها غير خائف عقبى ما صنع بهم من الاهلاك اي عاقبتها وتبعتها كما يخاف
الملوك والولاة لانه تعالى فعل بهم ما فعل بحق وحكمة وكل من كان فعله على وفق الحكمة ومقتضاها
فانه لا يخاف عاقبة فعله وان قرئ فلا يخاف بالفاء يكون معطوفا على قوله فسواها ومتفرعا عليها
شيخ زاده رح

اقسم الله تعالى بالليل ثم بالنهار لما في تعاقبهما منفعة من ان تحصى فانه لو كان الدهر كله ليلا لتعذر المعاش
ولو كان كله نهارا لاختل امر الاستراحة والمصالح المتعلقة بالليل فمقتضى الحكمة ليس الا تعاقبهما
قوله ان سعيكم لشتى جواب القسم اقسم الله تعالى بهذه الاشياء على ان اعمال عباده لشتى اي مختلف
في الجزاء فمنكم مثاب بالجنة على اعماله ومنكم معاقب بالنار او مختلف في نفسه متباعد بعضه عن بعض لان
بعضه ضلال وبعضه هداية فمنكم مؤمن ومنكم كافر ومطيع وفاجر
شيخ زاده افندي رح

قوله او آدم وحواء والتعريف للعهد وعلى التوجيه الثاني للجنس وعلى توجيه ما المصدرية يحتملهما
وفاعل الفعل ضمير الله للعلم به اذ لا خالق سواه ولا قائل بخلافه
عصام رح

قوله ثم سهل مخرجه فالسبيل محل خروجه من البطن وقوله فوهة الرحم بضم الراء وفتح الواو المشددة والسكون بها مخففة
بمعنى فمه وقوله الهمه ارالهم المجنبين حيث كانت رأسه من جهة العلو فاذا جاء وقت خروجه نكسها لاسفل ليسهل خروجه
على ما بينه اهل الخبرة بذلك قوله ثم السبيل يسره اي سهل له الطريق الذي يريد سلوكه من طريقي الخير والشر
بان اقدره عليه ومكنه منه والاقتدار على المراد نعمة ظاهرة بقطع النظر عن خيريته وشريته فلا يرد علينا انه كيف يعد
تسهيل طريق الشر من النعم وقيل انه عد من النعم لانه لو لم يكن مذللا لسبيل الخير لم يستحق المدح والثواب بتركه فتامل
قوله للمبالغة في التيسير بسبب التكرير الدال على ذلك فالضمير للسبيل وقوله وتعريفه اي السبيل باللام دون ان يقول سبيله
باضافته الى ضمير الانسان كما هو ظاهر اذا اريد مخرجه وكذا ان اريد سبيل الخير والشر فانه سبيله ايضا لانه لو قيل سبيله توهم
على انه على التوزيع فان لكل انسان سبيلا يخصه وهذا جار على التوجيهين كما يشير اليه قوله وفيه على المعنى الاخير فلا وجه
للقول بانه مخصوص بالثاني وقوله والقصد غيرها وهو الآخرة لان السبيل عبارة عن الدنيا وهي ممر والمقر الآخرة وقوله
ولذلك اي لكون القصد غيرها عقب السبيل بالاماتة اشارة الى انها ليست مقر الاحد لعدم البقاء فيها والموت هو الوصلة
لذلك القصد ولذا عد من النعم على الوجهين ايضا

ول دعاء عليه بأشنع الدعوات فإن القتل غاية شدائد الدنيا وأشنعها فإن قيل الدعاء على الإنسان إنما يليق بالعاجز والقادر
على الكل كيف يليق به ذلك أجيب بأن ذلك ورد على أسلوب كلام العرب يقولون إذا أنكروا فعل أحد قاتله الله والمقصود
بيان أنهم استحقوا أنواع العقاب حيث أتوا بأشنع القبائح وقوله ما أكفره تعجب من إفراطه في كفران نعم الله تعالى على صورته فإن التعجب
حقيقة التعجب إنما يتصور من الجاهل بسبب ما خفي سببه والذي أحاط علمه بجميع المعلومات لا يتصور منه ذلك فهو لحث على التعجب بحث الله تعالى
لخلقه أي تعجبوا من كفره بالله ونعمه مع معرفته بكثرة إحسانه إليه ويحتمل أن يكون ما في ما أكفره استفهامية ويكون ما أكفره
استفهاما بمعنى التقريع والتوبيخ أي أي شيء حمله على الكفر قيل المراد بالإنسان هم الذين أقبل الرسول صلى الله عليه وسلم وترك
ابن أم مكتوم بسببهم وقيل المراد ذم كل كافر ترفع بسبب غناه على الفقير واحتقرهم لأنه تعالى إنما ذمهم لترفعهم فوجب أن يعم
الحكم بسبب عموم العلة ولأنه تعالى زيف طريقتهم بسبب حقارة حال الإنسان في الابتداء والانتهاء على ما قال من نطفة
خلقه ثم أماته فأقبره وعموم هذا الزجر يقتضي عموم الحكم وارتباط هذه الآية بما قبلها يؤيد الأول فإنه تعالى لما ذكر القصة
المشتملة على استغناء صناديد قريش عن طلب الخير دعا عليهم بقوله قتل الإنسان وعجب عباده المؤمنين من ذلك بقوله
ما أكفره كأنه قيل أي سبب حمله على هذا الرفع والاستغناء مع أن أول مراتبه نطفة قذرة وآخره جيفة قذرة وهو
فيما بين المرتبتين حمال قذرة

قوله إلا استثناء منقطع فعلى هذا يكون من في من تولى شرطية ويعذبه جزاء وهو إخبار بالتعذيب في الآخرة والمعنى لست بمستول عليهم لكن من تولى منهم وأعرض عن إجابتك وكفر بالله وآياته فإن لله الولاية والقهر يعذبه العذاب الأكبر الذي هو عذاب جهنم قالوا علامة كون الاستثناء منقطعا أن يحسن دخول أن في المستثنى كما في هذه الآية فإنك تقول إلا أن من تولى وكفر فيعذبه الله وإذا كان الاستثناء متصلا محضا لا يحسن ذلك نحو عندي مائتان إلا درهما فلا يدخل عليه أن

قوله وقيل متصل على أنه استثناء من الضمير في عليهم أي لست عليهم بمسيطر إلا على من تولى وأقام على الكفر فإنك مسلط عليهم بأن يؤذن لك من قتله وسبيه وأسره وبعدما تقتلهم في جهاد تعذبهم الله في الآخرة العذاب الأكبر من القتل ولما استشعر أن الإيمان من أعمال القلب فالتسلط على أحد بإكراهه على الإيمان يكون بالجبر على القلب لأن تقبل الإيمان والتزامه إلى القتال ليس في وسع البشر إذ لا يستولي على القلب أحد غير الله تعالى أجاب عنه بأن الاستيلاء على جهاد الكفار وقتلهم الذي هو من الأسباب المؤدية إلى الإيمان بمنزلة الاستيلاء على الإيمان

قوله وكأنه أوعدهم بالجهاد في الدنيا إشارة إلى الجواب عما قيل إن السورة مكية وأنه صلى الله عليه وسلم ما كان مأذونا بالقتال إلا بعد الهجرة فكيف يصح حمل الكلام على الاستثناء المتصل المستلزم لأن يكون المعنى أنت متسلط على من تولى عن الإيمان وأقام على الكفر منهم محصول الجواب أن الكلام وارد على طريق الوعد له عليه الصلاة والسلام بإذنه للقتال ووعيد الكفار المعاندين لا على طريق الإخبار بالتسلط في الحال

قوله غافلون غير مبالين ولذا قال عن صلاتهم دون في صلاتهم والسهو يقع فيها للخواص ولا يذم به لانه ليس باختياري فلذا
فسر بما ذكر فان قلت تحصل تفسيره ليتم ما ركون لها كما في الكشاف فكيف قيل للمصلين قلت المراد المتسمين بسمة اهل الصلاة
او المصلي في وقت صلاة لا ينافي ترك غيرها فتأمل قوله والفاء جزائية اي في قوله فويل للمصلين وقوله
والمعنى الخ بيان له على الجزائية وقوله اذا كان الخ هو الشرط المقدر المفهوم من اول السورة الى قوله فويل وعدم المبالاة
من دع اليتيم وكونه من ضعف الدين يؤخذ من تفريعه على التكذيب بالدين كما مر والذم والتوبيخ هو المقصود من ذكرها كما مر
تقريره وقوله فالسهو الخ هو الجواب والجزاء الذي هو تفسير له فقوله فويل الخ ترق لما هو اقوى اي اذا كان ما ذكره
بهذه المثابة فحال الغافل عن صلاته الخ ولذا قال احق بذلك وكون هولاء غير المكذبين ذكره استطرادا كما قيل ليس
في كلام المص ما يدل عليه الا انه لا يأباه وكون الصلاة عماد الدين لانها اعظم شعائره الظاهرة وبه يعلم اسلام
المصلي وكون الزكوة قنطرة الاسلام الموصلة له ببذلها الدال على الانقياد التام وباستعطاف المبذول له بها
فقد يوصله للاخلاص توكيد ولذلك ركون هذه المذكورات احق بالذم والتوبيخ رتب الويل عليها لان التعليق بالحكم
للمشتق يدل على ان مأخذ الاشتقاق علته فعلة الويل السهو عن الصلاة والريا والمنع قوله وانما وضع المصلين موضع الضمير
وهو ما اشار اليه بقوله لهم وفيه اشارة الى اتحاد المصلين والمكذبين ولا يلزم ان يراد بهم هنا المنافقون لانه يصح
ان يراد المكلفون بالصلاة ولو كفارا ولذا يستدل بها على خطاب الكفار بالفروع وهذا على السببية وعلى الوجهين
ومعاملتهم مع الخالق من السهو والريا ومنع زكاة ومع الخلق بدع اليتيم وعدم الحض وقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم الخ
موضوع كاخوانه شهاب

قوله والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين يعني كرر وخولف بين البنائين وهما التمهيل والامهال لزيادة التسكين منه
والتصبير على اذى انكارهم البعث وكان الاصل في التكرار الموافقة فلما خولف اشعر بانه لامر ما وذلك زيادة التسكين
فان اصل التسكين قد حصل بالاول وافاد الثاني الزيادة فيه — ابن محمد رح

قوله لزيادة التسكين قيل لان في المخالفة اشعارا بالتغاير فهذا اوكد من مجرد التكرار ولا يخفى عليك ما فيه من الخفاء
ويجوز ان يقال التكرير يدل على الايجاب لا محالة وبناء الافعال يبين انه لا تدريج بعد ما اشعر بناء التفعيل التدريج ففيه زيادة التسكين
سعدي افندي رح

قوله وقرأ سبحان ربي الاعلى روي عن علي وابن عمر رضي الله عنهم انهم قرؤا سبحان ربي الاعلى الذي خلق فسوى ولعل
الوجه فيه ان قوله تعالى سبح امر بالتسبيح فلا بد وان يذكر ذلك التسبيح وما هو الا قوله سبحان ربي الاعلى ولعل مقصود المص
من ايراد الحديث بيان انه لم يبق طريق الامتثال بالامر وموضع الامتثال به فلا حاجة في الامتثال به الى قراءة النظم بما روي عنهم
شيخ زاده افندي رح

قوله من ماء دافق بمعنى ذى دفق وهو صب فيه دفع فالصاب هو الرجل والمنصب الماء فيحتاج فى وصف الماء بالدافق الى جعل الدافق كاللابن صيغة نسبة او الى جعل الاسناد مجازيا والحقيقة الدافق صاحبه ولم يرض الى الثانى وان اثبته الزمخشرى لكونه موافقا للوصف الثانى فى كونه حال الماء حقيقة ولم يجعل الدافق من دفق الماء اى انصب فيستغنى عن مؤنة التصحيح لانه لم يثبت بهذا المعنى الا [illegible] نسخ

قوله يتولد من فضل الهضم الرابع هو الهضم فى الاعضاء بعد الهضم فى العروق بعد الهضم فى الكبد بعد الهضم فى المعدة

عصام الدين رح

قوله ويسرع الافراط فى الجماع بالضعف فيه متعد بالباء اى يجعل الافراط فى الجماع الضعف فيه سريعا قوله والنخاع مثلثة مع كون الكسر اشهر خيط ابيض فى جوف عظم الرقبة يمتد الى الصلب قوله انه على رجعه لقادر فصل عما سبق لكون ما سبق جواب الاستفهام دونه وهذا انما [illegible] هنا من مواقع الفصل

عصام الدين رح

قوله فى نفى مستفاد من عطف قوله ولا ناصر على قوة فانه يدل على ان المراد بالقوة المنفية القوة الناشئة لا فى نفى القوة مطلقا والا لم يبق للعطف فائدة لان القوة المستفادة من الغير قوة ايضا وقد نفيت اولا والمعنى اذا رجعه الله الانسان فى ذلك اليوم فما له قوة فى نفسه يدفع بها عن نفسه ما حل به من العذاب ولا ناصر ينصره فى دفعه ولا شك انه زجر وتحذير ومن فى قوله من قوة زائدة لافادة عموم النفى لجميع افراد القوة والانصار قليلها وكثيرها كانه قيل ما له شىء من القوة ولا احد من الانصار

شيخ زاده رح

اقسم الله تعالى بها على ان الانسان لا يخلو من كبد ومقاساة مشقة فان كلمة لا في لا اقسم صلة
وقيل انها نافية والمعنى لا اقسم به وانت حل اي حال مقيم به نازل فيه بل اقسم بك
شيخ زاده رح

قوله والتنكير اي تنكير والد للتعظيم ووجه التعظيم ان اريد به آدم او ابراهيم عليهما السلام ظاهر وان اريد به
الذي يلد مطلقا فلتناوله الانبياء ولدلالته على كمال القدرة وتنكير الشيء وابهامه يدل على ان ذلك الشيء بلغ
من الفضل والكمال الى حيث لم يتصور ان يعبر عنه بما يدل على تعينه وخصوصيته وانما الممكن ان يعبر عنه باسم جنسه
فهذا وجه دلالة التنكير على التعظيم
شيخ زاده رح

قوله وايثار ما على من جواب عما يقال لو كان المراد بما ولد العقلاء لكان الظاهر ان يقال ومن ولد
على من وتقرير الجواب يتوقف على بيان الفرق بينهما وهو ان من لا يستعمل الا في ذوات من يعقل بخلاف ما فانها قد تستعمل
في صفة من يعقل وتفخيمها بانها مما لا يكتنه كنهها في البلوغ الى اقصى مراتب الفضل والشرف بحيث يكون الموصوف
بها عجيب الشان بحسب اتصافه بها كما في قوله تعالى والله اعلم بما وضعت اي باي شيء وضعت اي العلم انها
وضعت موضوعا عجيب الشان بديع الاوصاف فكذا قوله تعالى وما ولد اي ومولود اي مولود
عجيب الشان
شيخ زاده رح

قوله في كبد منصوب المحل على انه حال من الانسان اي مكابدا مهيأ لان يعتريه
انواع الشدايد والمصائب
شيخ زاده رح

قوله ولتعدد المراد بها اي بالعقبة فانها تعليل لمقدمة مدلولة لسياق الكلام وهي انه لولم يتعدد المراد بها
لم يحسن تكرار لا قال ابن هشام في مغني اللبيب اذا كان ما بعد لا فعلا ماضيا لفظا او تقديرا او جملة اسمية صدرها
معرفة او نكرة لم تعمل فيها وجب تكرارها وفيه مزيد تفصيل ارجع ان شئت سعدي افندي رحمه

قوله عطفه على اقتحم او فك لو كان قصده الى فك على صيغة الماضي لكان مبنيا على قراءة ابن كثير
ولو كان قصده الى فك مصدرا لكان قوله كان من الذين امنوا في تأويل المصدر اي ثم كونهم
من الذين امنوا وعلى الثاني الايمان دخل في العقبة عصام الدين رحمه

قوله وقرأ ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته بمعنى اغلقته انما اسند القراءة الى هذه الاعلام
رواة لكن في حيث قال وعن ابي بكر بن عياش لنا امام يهمز موصدة فاشتهي ان اسد
اذني اذا سمعته عصام الدين رحمه

قوله والشمس وضحاها اقسم الله تعالى بما ذكره من انواع مخلوقاته المتضمنة للمنافع العظيمة على فلاح من زكى نفسه
واصلحها وانماها بالعلم والعمل وخيبة من نقصها بالجهل والمعصية ترغيبا في الطاعات وتحذيرا عن المعاصي
سعدي افندي رحمه

كان الكفار من الفريقين من اهل الكتاب وعبدة الاصنام يقولون قبل مبعث النبي عليه الصلوة والسلام لا ننفك مما نحن عليه
من ديننا لا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مذكور في التورية والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى
ما كانوا يقولونه وما تفرق الذين اوتوا الكتاب يعني انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم
الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم ونظيره في الكلام ان يقول الفقير الفاسق
لمن يعظه لست بمنفك مما انا فيه حتى يرزقني الله تعالى الغنى فرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا
عن الفسق حتى توسر وما غمست رأسك في الفسق الا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما وانفكاك الشيء
من الشيء ان يزايله بعد التحامه به كالعظم اذا انفك من مفصله والمعنى انهم متشبثون بدينهم لا يتركونه الا عند مجيء البينة
والبينة الحجة الواضحة ورسول من الله بدل من البينة وفي قراءة عبد الله رسولا حالا من البينة صحفا قراطيس مطهرة من الباطل
فيها كتب مكتوبات قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والعدل والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق وانقشاعهم عنه او تفرقهم فرقا
فمنهم من آمن ومنهم من انكر وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند فان قلت لم جمع بين اهل الكتاب والمشركين اولا ثم افرد اهل الكتاب
في قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب قلت لانهم كانوا على علم به لوجوده في كتابهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له
ادخل في هذا الوصف وما امروا يعني في التورية والانجيل الا بالدين الحنيفي ولكنهم حرفوا وبدلوا وذلك دين القيمة اي دين الملة
القيمة وقرئ وذلك الدين القيمة على تاويل الدين بالملة فان قلت ما وجه قوله وما امروا الا ليعبدوا الله قلت وما امروا
بما في الكتابين الا لاجل ان يعبدوا الله على هذه الصفة الجلي
كشاف رح

قوله فانهم كفروا بالالحاد في صفات الله تعالى بيان لوصف الله تعالى اهل الكتاب بالكفر قبل بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم وذلك ان طريق
الكفر غير منحصر في انكار الدين الناسخ وتكذيبه بل قد يكون به ككفر اليهود بتكذيب عيسى عليه الصلوة والسلام وانكار دينه
وقد يكون بانكار حكم من احكام اصل الدين والعدول عن الحق ككفر النصارى قبل بعثة رسولنا صلى الله عليه وسلم بالالحاد
في صفات الله تعالى والعدول فيها عن الصواب كما قالوا في صفة العلم انها اقنوم من الاقانيم الثلثة تنقلب الى بدن عيسى ونحو ذلك
قوله تعالى منفكين عما كانوا عليه من دينهم فان قيل كيف يصح التفسير قوله تعالى منفكين بالانفكاك عن الكفر الذي كانوا عليه
حتى يكون معنى الاية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى تاتيهم البينة التي هي الرسول وانه يقتضي انهم صاروا منفكين عن كفرهم
عند اتيان الرسول واتفقوا عنده على الايمان واتباع الحق الذي جاء به صلى الله عليه وسلم وذلك لان كلمة حتى لانتهاء الغاية
فيقتضي ان يكون الحال التي بعد الغاية مخالفة للشيء التي كانت قبلها وقوله بعد ذلك وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد
ما جاءتهم البينة يقتضي ان يكون تفرقهم قد ازداد عند مجيء الرسول عليه الصلوة والسلام ولا يخفى ان هذا المعنى مناقض لمقتضى
الاية الاولى بالتفسير المذكور وهذه المناقضة انما لزمت من ذلك التفسير فيكون ذلك التفسير محالا وباطلا وجوابه ما اشار اليه
صاحب الكشاف بحمله الاية الاولى على كونها حكاية من الله تعالى لما كانوا يقولونه قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وهو قولهم لا ننفك

صح صح صح

صح صح صح

عما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التورية والانجيل وهو محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم
وعلى آله واصحابه اجمعين فاذا بعث نتفق على تصديقه ونجتمع على قبول دينه والدخول فيه قوله وما تفرقوا
الا من بعد ما جاءتهم البينة الزام عليهم بعد حكاية زعمهم الباطل وكلامهم الرابع على سبيل التوبيخ والتعيير كانوا يعدون اجتماعهم
على الحق وقت مجيئه كما كان ثمرته انه ما فرقهم عن الحق وما اقرهم على الكفر الا مجيئه فاذا كانت الآية الاولى خبرا بـ
حكاية كلامهم لا اخبارا ابتدائيا منه تعالى عن حالهم وكانت الآية الثانية وهي قوله وما تفرق الذين الخ اخبارا
عن الواقع ارتفع الاشكال لان محصول الآيتين ان الذي وقع كان على خلاف ما وعدوا واما اذا فسرت
الآية الاولى بان يقال لم يكونوا منفكين من الوعد باتباع الحق اذا جاء الرسول الموعود في التورية والانجيل
يتجه الاشكال والجواب

سيجي آخره

قوله ثم لا يموت فيها الخ ثم فيها للتفاوت الرتبي اشارة الى ان خلوده اقطع من دخوله النار
وصليه ولا يستريح بمعنى يجد راحة وهذا مخصوص بالكفرة لا بعصاة المؤمنين ففي مسلم عن ابي سعيد عن النبي
صلى الله عليه وسلم اما اهل النار الذين هم اهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس اصابتهم النار
بذنوبهم او قال بخطاياهم فاماتهم الله اماتة حتى اذا كانوا فحما اذن بالشفاعة فجيء بهم ضباير ضباير
فبثوا على انهار الجنة ثم قيل يا اهل الجنة افيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة في حميل السيل انتهى

وكما يجب تنزيه ذاته تعالى عما لا يصح ان يثبت له من الاوصاف يجب تنزيه اسمائه الدالة على الكمال عما لا يصح
فيها ذلك كالتأويلات الزائغة ومن تنزيه اسمائه ان لا يسمى بها غيره تعالى على الوجه الذي
يسمى بها المخلوق تعالى فان العبد وان صح ان يطلق عليه رحيم حليم كريم محسن ونحو ذلك لكن لا يطلق بوجه آخر
غير الوجه الذي اطلق به عليه تعالى ومن تنزيهها ايضا ان لا يسان عن ذكرها الا على وجه الخشوع والتعظيم
ويدخل فيه ان يذكر تلك الاسماء عند الغفلة وعدم الوقوف على معانيها وحقائقها والمراد باسماء الله تعالى
المعاني الجارية على الذات حمل مواطاة كالقادر والعليم لا الفاظهما فقط ولا المحمولة حمل اشتقاق اعني نحو القدرة
والعلم فانهما من الصفات وان كان قد يتجوز باستعمال احدهما مكان الآخر

سعدي افندي رح

قنوي

قوله وقرئ سبحان ربي الاعلى روي عن علي وابن عمر رضي الله عنهم انهم قرؤا سبحان ربي الاعلى الذي خلق
ولعل الوجه فيه ان قوله سبح امر بالتسبيح فلا بد وان يذكر ذلك التسبيح وما هو الا قوله سبحان ربي الاعلى
ولعل مقصود المصنف من ايراد الحديث بيان انه صلى الله عليه وسلم بين طريق الامتثال بالامر وموضع
الامتثال به فلا حاجة في الامتثال به الى قراءة النظم بما روي عنهما نقل عن التفسير الثعلبي ان اول من قال
سبحان ربي الاعلى ميكائيل عليه السلام قال النبي عليه الصلوة والسلام يا جبرئيل اخبرني عن ثواب من قالها
في صلوته او في غير صلوته فقال يا محمد ما من مؤمن ولا مؤمنة يقولها في سجوده او في غير سجوده الا كانت له
في ميزانه اثقل من العرش والكرسي وجبال الدنيا ويقول الله تعالى صدق عبدي انا الاعلى فوق كل شيء
وليس فوقي شيء اشهدوا ملائكتي اني قد غفرت لعبدي وادخلته جنتي فاذا مات زاره
ميكائيل عليه السلام كل يوم فاذا كان يوم القيمة حمله على جناحه فيوقفه بين يدي الله تعالى فيقول
يا رب شفعني فيه فيقول الله تعالى قد شفعتك فيه اذهب به الى الجنة وبعض هذا ذكره ابو الليث
في تفسيره باشبع من هذا القدر

سعدي افندي رح

قوله تركه خالدا في الدنيا وجه قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده بثلثة اوجه والمراد بالخلود في جميع الوجوه الخلود في الدنيا والحسبان حقيقة في الوجه الاول
واستعارة تمثيلية في الوجهين الاخرين والظاهر ان قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده استيناف على الوجه الاول وجملة حالية من المنوي في جمع
على الوجهين الاخرين ويجوز ان يكون جملة حالية على جميع التقادير وتقرير الوجه الاول على تقدير ان يكون الجملة استينافا انه لما قيل جمع مالا وعدده فكأنه
قيل ما بال الجمع المال وما يهتم به فقيل انه لرؤيته ان الحيوة والسلامة عن الامراض والآفات تدور على مراعات الاسباب الظاهرة يحسب حقيقة ان المال
سبب خلوده في الدنيا حتى ان نابت نائبة يتداركها بالالجات المناسبة لدفعها فاجمعه كما يجب مسببه وهو الخلود في الدنيا وتقرير المعنى على تقدير كون
الجملة حالية قريب من هذا التقرير ووجه الاستعارة في الوجه الثاني انه ليس من يحسب الخلود حقيقة لكن شبه حاله في حب المال واستغراق همته بجمعه وتكثيره ونسيانه الموت
وما بعده من قوارع الآخرة بحال من يحسب ان ماله اخلده فاطلق في حقه هذا التركيب مجازا والوجه الثالث قريب من الثاني الا ان طريق التشبيه فيه
ان يشبه حاله في ان حب الدنيا وطول آماله ومناه الاماني البعيدة وحمله على ان يعمل عمل من لا يظن الموت بل يحسب الخلود بحال من يحسب ان ماله اخلده في الدنيا
فاطلق في حقه ما يطلق على من يحسب ذلك حقيقة والحالة المشبهة في الوجهين هي الغفلة عن الموت وما بعده الا ان تلك الغفلة في الوجه الثاني ناشئة عن حب المال
والحرص الشديد على جمعه وتكثيره وفي الوجه الثالث ناشئة عن حب الدنيا واستغراق همته واوقاته على استيفاء اللذات الفانية

شيخ زاده افندي رح

قوله والتقييد بذلك لما في التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة
فان اصل الدلالة عليهما يحصل بمجرد ذكر الليل بعد موت النور لانقضائه بظهور ضوء
النهار وذلك لان سلخ ضوء النهار من الليل واتيان الليل خلف لباس
الظلام بغروب الشمس آية دالة على كمال قدرة احد وفيه ايضا نعمة جليلة للناس حيث
يستترون بظلمة الليل ويستريحون بالنوم وبالتعرض بانقضاء الليل وتعاقب
النهار عليه تقوى تلك الدلالة فان اية الليل اذا امحت مع كونها محيطة بجميع
اقطار العالم بانبساط اية النهار وشيوعها تجدد البرهان القاطع الدال على
كمال القدرة والاحسان الشامل لجميع الحيوانات لانهم يبصرون كانهم احيوا لهم
الحيوة بعد الموت ويتنبهوا بذلك لطلب الارزاق الممدة للحيوة الفانية التي
يتوسل بها الى سعادة الدارين فان قيل التقييد بالليل اذ لم يعتبر في القسم
بليال عشر قلنا المقسم به في قوله والليل اذا يسر هو الليل باعتبار
مسيره ومضيه وفي قوله وليال عشر هو الليالي بلا اعتبار مضيها بل
باعتبار خصوصية اخرى فلا يغني احدهما عن الاخر شيخ داماد افندي رحمه الله

قوله او العقد والطوال جمع فقد كان طوالا منهم مثل العماد قال مقاتل
كان طول احدهم اثني عشر ذراعا وقيل اربعمائة ذراع وكان واحد منهم
يأتي بالصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحي فيهلكهم فسموا ذات عماد
لطولها منهم   ابن محمد رحمه الله

ثم انه تعالى لما مثل المشرك بالماشي مكبا او بالاعمى او بمن يمشي على وجهه الى ان امر رسوله صلى الله عليه بان يقبح حالهم
ويصفهم بكفران نعمة الله تعالى حيث مكنهم الله تعالى من اصابة الحق وسلوك سبيله بان اعطاهم السمع والبصر
والفؤاد ولم يشكروا انعمها فلم يستعملوها فيما خلقت لاجلها اذ لم يقبلوا ما سمعوه ولم يعتبروا بما ابصروه
ولم يتفكروا بما نصب من الدلائل ولما كان المقصود من ذكر ما يدل على كمال قدرة الله وعلمه اثبات
صحة الحشر والجزاء ختم الاية بقوله واليه تحشرون واشار به الى ان جميع ما تقدم ذكره من الدلائل لاثبات
هذا المطلوب ولما اثبته حكى عن الكفار انهم يقولون متى هذا الوعد استهزاء وسخرية

شيخ داده افندي رح

قوله قليلا ما تشكرون اي تشكرون شكرا قليلا على ان ما زائدة والجملة استيناف او حال مقدرة
ولعله بمعنى النفي ان كان الخطاب للكفرة او بمعناه المعروف ان كان للكل

سعدي افندي رح

قوله بل الظن كانه ناظر الى احتمال كون المراد بالوعد ما وعدوا من الخسف والحاصب فانه لم يقع بعض لا يجب
وقوع مظنونه مع ان اكثرهم امنوا وقبلوا الدعوة

سعدي افندي رح

قوله اي الخط بالقلم يعني ان مفعول علم محذوف يتعلق به قوله بالقلم وتقدير الكلام
علم الخط بالقلم وقرأ ابن الزبير كذلك قوله لتقييد العلوم ويعلم به البعيد بان
لوجه كرمه الزائد في تعليم الكتابة بالقلم فان الغرض المسوق له الكلام بيان الاكرمية تعالى
والاشعار بان اشرف النعم واجلها هو العلم لان الاكرمية انما تتحقق بان نعمة احق
الاشياء وهو العلم بحقائق الاشياء فانه اشرف المواهب وعلم الخط والكتابة بالقلم
وسيلة يتوسل بها الى حفظ العلوم المهمة وتقييدها فلذلك قيل العلم صيد والكتابة قيد

شيخ زاده رح

قوله وقد عدد سبحانه وتعالى الخ يعني انه لا مناسبة بحسب الظاهر بين ان وصف الله تعالى نفسه بانه الذي
خلق الانسان من علق وبانه الذي علم بالقلم لكنه نزع التحقيق في غاية الحسن وذلك لانه تعالى بين
اول احوال الانسان وهو كونه علقة وهي اخس الاشياء وبين ايضا اخر امره وهو
صيرورته عالما بحقائق الاشياء قادرا متمكنا على ضبط تلك العلوم وتقييدها على تعليمها
وتبليغها الى اهل البلدان البعيدة وهو امتنان عظيم بنقله من اخس الاحوال الى اعلى المراتب
واشرفها ودليل باهر على وجود الاله الكريم ووفور قدرته وكمال حكمته وهو قوله ولما
كان اول الواجبات معرفة الله تعالى نزل اولا ما يدل على وجوده الخ شيخ زاده رح

قوله وبعدها الليل في السورة المتقدمة الح يعني ان كل واحد منهما له اثر عظيم في صلاح العالم
فاقسم به وللليل فضيلة السبق والاصالة لان النهار انما يحدث بطلوع النير وبغروبه يعود
الهواء الى الحالة الاصلية فلذلك قدم الظلمة في قوله وجعل الظلمات والنور كما ان للنهار
فضيلة الشرف الاستنارة فقدم هذا تارة وقدم الليل اخرى كالركوع والسجود قوله اركعوا
واسجدوا وقوله واسجدي واركعي مع الراكعين فان قيل ما السبب في انه ذكر الضحى
وهو ساعة من النهار وذكر الليل بكليته اجيب عنه بانه وان كان ساعة من نهار لكنه
يوازي جميع الليل كما ان محمدا عليه الصلوة والسلام يوازي جميع الانبياء عليهم الصلوة والسلام
وبان النهار وقت السرور والراحة والليل وقت الوحشة والغم فهو اشارة الى ان هموم
الدنيا ادوم من سرورها فان الضحى ساعة والليل ساعات
سجيه آ ح

قوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب عما كانوا عليه وهو كونهم غير منفكين عن كفرهم بل ثابتين مستمرين متفقين على ما كانوا عليه
من دينهم الى وقت مجيء الرسول وما فارقوا عما كانوا عليه من الاتفاق على الكفر بان تفرقوا فرقا بان صار البعض منهم مؤمنا
وبقي الباقون على الضلال القديم او بان يتردد ويتشكك ويتحير في دينه ومعتقده الاول في ساير الاديان بعد ما كان
كل فريق جازما بدينه معتقدا انه حقيقة فاليهود في يهوديته وكذا النصراني وعبدة الاوثان وبقي الباقون على كونهم
جازمين بكفرهم القديم واشار المص بتفسير هذه الآية على هذا الوجه الى دفع ما يتوهم من التناقض بينها وبين الآية الاولى كما ذكره
في انشاد وبيان ما يتعلق بها كانه استبعد ما ذهب اليه صاحب الكشاف من حمل الآية الاولى على كونها حكاية من الله تعالى
لما كانوا يقولونه قبل بعثته صلى الله عليه وسلم بناء على انه خلاف الظاهر اذ الظاهر انها اخبار من الله تعالى عن حالهم وتوجيه الدفع
ان مقتضى كلمة حتى ان يكون بعد تحقق مضمون مدخولها بخلاف ما كان قبل ذلك وهذه المخالفة حاصلة على هذا التفسير من غير
احتياج الى حمل الآية الاولى على الحكاية فان حكم المغيا بالبعثة هو بقاء الجميع على الكفر الذي كانوا عليه وعدم انفكاكهم عنه فاذا
تفرقوا بعد البعثة بان آمن بعضهم او تردد في دينه فقد تحقق مقتضى كلمة حتى من غير لزوم التناقض بين الآيتين لله دره
ما ادق كلامه واخفى رموزه واشاراته قوله او عن وعدهم اي وما تفرقوا عن وعدهم بان الرسول الموعود اذا بعث
يجتمع على التصديق له واتباع دينه بسبب ان اخلفوا الوعد واصروا على الكفر القديم قوله فيكون كقوله وكانوا من قبل
الآية تفريع على الوجه الثاني ووجه المشابهة بين الآيتين اشتراكهما في كونهما مسوقتين لتوبيخ من كفر بمن صدقه وعظم قدره
قبل فان من استفتح به صلى الله عليه وسلم اي طلب الفتح والظفر على اعدائه بحرمته ومكانته عند ربه بان يقول اللهم انصرنا
عليهم بحرمة نبيك الذي وعدتنا ببعثته ثم انه صلى الله تعالى عليه وسلم لما بعث كفر به لا شك انه كفر بمن صدقه قبل وكذا الى
كفر من وعد بانه صلى الله عليه وسلم اذا بعث اتفق على التصديق له ثم كفر حين بعثه قوله او بعد رسول مثل دحى
اوكتابه على تقدير ان يراد بالبينة القرآن ومعجزة رسول على تقدير ان يكون المراد بها المعجزة وعلى التقادير يكون رسول بدل
الكل ويكون يتلو صحفا صفة رسول وان جعل رسول مبتدا مخصصا بقوله من الله يكون قوله يتلو صحفا صفة رسول
خبره وان جعل مخصصا بقوله يتلو صحفا يكون قوله من الله في موضع النصب على الحال من صحفا او من المنوي في مطهرة
ويكون خبر المبتدا محذوفا والتقدير رسول يتلو صحفا مطهرة كائنة من الله كفى بينة او عظيم او جليل او وضح بينة
وقوله فيها كتب قيمة مبتدا وخبر والجملة في محل النصب على انها صفة لقوله صحفا
شيخ زاده رح

والمنصف حمل الآية على ظاهرها حيث قدر قوله بما فيها ليكون المعنى وما امروا بما في كتبهم لشيء من الامور الا لاجل ان يعبدوا الله
بالاخلاص على ان يكون الاستثناء من اعم العام ولم يحملها على معنى وما امروا بشيء الا بان يعبدوا الله بالاخلاص حتى
يكون المامور به مذكورا صريحا لكونه خلاف الظاهر من حيث استلزامه لان تجعل اللام صلة واضمار ان الناصبة والعاملة
قبلها وكل ذلك خلاف الظاهر وليدل الكلام على انهم انما امروا في كتبهم بما امروا لاجل عبادة الله تعالى بالاخلاص ليكون
اشارة الى ان الحكمة الاصلية في جميع ما يؤمرون به هو العبادة بالاخلاص ليكون تحريضا لهم على تحصيل هذه الحكمة وتوبيخا لهم على ما
فان قيل كيف يتاتى للمص حمل اللام على ظاهرها وجعل فعل الله تعالى معللا بالغرض وهو لا يقول به قلنا فعله تعالى وان لم يكن معللا
بالغرض الا انه مغيا بالحكم والمصالح وكثيرا ما يستعمل لام الغرض في الحكمة المترتبة على الفعل تشبيها لها به في ترتبها على الفعل بحسب الوجود
ملخص شيخ زاده رح

قوله تعالى مخلصين حال من الفاعل في ليعبدوا الله وكذا حنفاء حال اخرى على قول من جوز حالين من ذي حال واحد وحال من المنوي
في مخلصين على قول من لم يجوز ذلك
شيخ زاده رح

ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط

ظ ع غ ف ق ك ل م ن و ه لا ي

براعة [illegible]
جمع زاوية استهلال قصد

وعمر العالم وزواياه سوبا لسكن فيها
وعمر العالم وزوايا
فيشاكر ان يتخذ الى ربه سبيلا ويذكر اسم الله
وعمر وعمر الله [illegible] اي طالب دما او لين
[illegible] واحد الاستهلال [illegible]
[illegible]
ووقف ايضا حصره الكبل [illegible] الحجرات الملاصقة الواقعة
في حرم الجامع الشريف لسكن فيها طلاب العلم والتصوف
ويدفع لكل منهم درهمان يوميا [illegible]

براعة الاستهلال هي كون ابتداء الكلام مناسبا للمقصود
[illegible] الكتب [illegible]
[illegible]
براعة الاستهلال تجب [illegible] اللغوي تفوق الابتداء
وفي الاصطلاح كون الابتداء مناسبا للمقصود
وهو في التحقيق سبب لتفوق الابتداء لكنه
سمي باسم المسبب تنبيها على كماله [illegible]

وشرط الواقف المذكور تقبل [illegible] الملك الشكور
[illegible]
ان يرتب في الجامع الشريف شيخ [illegible] موصوف
بعلم التصوف ويدفع كل يوم [illegible] درهما وشرط
التبديل والتغيير والعزل والنصب والزيادة والنظارة
في الاوقاف المذكورة لنفسه الكريمة ثم النظارة كذلك لمن كان
واردم كلدي قد [illegible] [illegible] طالب

[illegible]

التصوف هو التخلق بالاخلاق الالهية تخلقا
التصوف الوقوف مع الاداب الشرعية ظاهرا فيسرى
حكمها في الظاهر في الباطن وباطنا فيسرى حكمها في
الباطن في الظاهر فيحصل التادب بالحكمين كمال التوفيق
التصوف الوقوف مع الاداب الشرعية ظاهرا وباطنا وهي
الخلق الالهية و[illegible] [illegible] مكارم الاخلاق
وعين الواقف المشار اليه لازال صدر الاحقاب مشار اليه
[illegible] يعني الاعظم لمصطفى افندي الشهير [illegible]
والمشيخة له مادام في قيد الحيوة

[illegible]
[illegible]

قال النبي عليه السلام صدقة مع العمامة خير من سبعين صدقة بغير العمامة . قنية

والنفس في الاصل في خصوص بروح القلب يفرج عنه بهبوبه عليه شبه اقبال الصبح من الروح
والنسيم بتلك الريح المخصوص المسمى النفس فاطلق اسم النفس عليه استعارة فجعل الصبح متنفسا
بتلك ثم كنى بتنفسه بتلك عن اقبال الصبح وطلوعه واضافة عنبرة لان التنفس بتلك المعنى المذكور
لازم له فهو كناية متفرعة على الاستعارة وفي بعض النسخ اذا تنفس اراد اضافة عنبرة
عن اقبال روح ونسيم ولا معنى له كما لا يخفى لان تنفس الصبح ليس عبارة عن اقبال الروح بل هو عبارة
عن طلوعه واذهاب ظلمة الليل الا ان يقال ان قوله عبرة عن اقبال روح ونسيم بيان لكون تنفس الصبح
مستعارا لاقبال الروح والنسيم الواقع عند طلوع الصبح وقوله اراد اضافة بيان
لكون التنفس بذلك المعنى المجازي كناية عن طلوع الصبح
في بعض النسختان وحاصل المعنى سيجا [illegible]

قوله لانه تعالى اذا كان الشهيد الخ يعني وضع الله
شهيدا مقام الله اكبر شهادة لانه اذا كان الشهيد
اي شهيده ينتج مع المقدمة المعلومة ان الله اكبر
شهادة ان شهيده اكبر شهادة والجواب بهذا
الوجه انسب بالمقام قوله واكتفى بذكر الانذار
عن ذكر البشارة الخ المتقابلين بذكر الاحد
سيما وقد تقدم ذكرهما معا

عصام الدين

ظاهر عبارته يوهم انه لا يحصل الانكار لاتخاذ غير الله وليا فى الدلالة على ان المنكر انما هو اتخاذ الانكار
غير الله وليا لا نفس اتخاذ الولى فمقتضى كلامه انه لما كان المقصود انكار غير الله وليا كان مناط
هو غير الله فكان الاهتمام بذكره اتم فكان التقديم اولى

وقوله فاطر السموات والارض بجر ليكون الانكار لاتخاذ غير الله وليا وتعليل له وكذا قوله وهو يطعم ولا يطعم
والمعنى ان المنافع كلها فالفيض من عند الله عز وجل كما اشار عليه ان سعد

غفور رحیم قوجه بك بعد

زمبك لنش ركی

قوله نسخ تلاوته فانسيناه كما هو الشيخ لان لم تنسخ تلاوته حرسا ان يتلى فيحفظ
وغيره مدرك ونسي قد حفظه اهل حران الشيخ لو حتى السماء

والحديث المذكور صحيح رواه البخاري وغيره وكانت صلاة صلاة الفجر قال قلت انسي النبي صلى الله عليه وسلم
ايضا وهذا الحديث مناف له ولا يمكن ان يقول فلا تنسى لانه يكون الكسار حرف النفي نفي وهو ليس
والحمل على التاكيد بعيد قلت اجاب عنه بعض شراح الكشاف بانه على هذا حمل قوله ولا تعب
فيهم عن ان ينسوهم والمعنى فلا تنسى الا نسيانا معدوما وهو النسيان المتعلق
مشيئة الله تعالى ان يكون هذا النسيان نسيانا الا انه لا يقع على النسيان فيما كان
من اصول الشرائع والواجبات وقد يقع على ما ليس منها او منها وهو من الاداب
والسنن كما ذكره الامام

الى الخنق

لا يقال كيف يصح ان يسمي خلقهم امواتا واماتته لان المراد الاثبات
على هذا الوصف كما صح ان يقال سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل

الموفق

زید فوت اولوب قزی هندی و لابوین قرنداشی عمرو ی و لابوین
قرنداشی زینبی ترك ایلسه قسمت نه وجهدر

آفندیلریم ن

أفندیلریم ج

أوفندیلریم دخی ج

اوفندیلریم